



في رحاب التراث العربي

دراسات في تجليات الفكر والحضارة والأدب



أ.د. يحيى وهيب الجبوري




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في رحاب التراث العربي

دراسات في تجليات الفكر والحضارة والأدب

في رحاب التراث العربي

دراسات في تجليات الفكر والحضارة والأدب

أ. د. يحي وهيب الجبوري



الطبعة الأولى

٢٠٠٩ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٩/٩/٤٠٠٧)

٩٥٦

الجبوري، يحيى وهيب

في رحاب التراث العربي/ يحيى وهيب الجبوري-عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩

(   ) ص.

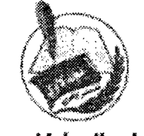
ر.أ: (٢٠٠٩/٩/٤٠٠٧)

الواصفات:/التاريخ العربي// التراث العربي/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-02-372-0 (ردمك)

Dar Majdalawi Pub.& Dis.
Telefax: 5349497 - 5349499
P.O.Box: 1758 Code 11941
Amman- Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص . ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الاردن

www.majdalawibooks.com
E -mail: customer@majdalawibooks.com

- **الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشره.**
- **الغلاف: للفنان د.بلاسم محمد.**



الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٧
الفصل الأول: بيت الحكمة في الحضارة العربية	١١
الفصل الثاني: الخيل والفروسية في المؤلفات العربية	٤٥
الفصل الثالث: اللغة العربية وتحديات العصر	٧٧
الفصل الرابع: أعلام الخط العربي في العصر العباسي	٩٩
الفصل الخامس: تجليات الخوف في الشعر العربي القديم العلماء المسنون بعد الثمانين وعطاؤهم الفكري العلماء وقولهم "لا أدري" من قال لا أدري فقد أفتى	١٢٧
الفصل السادس: المحـــراب	١٦٥

المقدمة

التراث العربي عريق أصيل يمتد في أعماق الزمان قبل ظهور الإسلام بقرون، منذ عُرِف الشعر العربي، وكُتبت الرقم والنقوش، وغني التراث وازدهر وأُثري ونما وتوسع بفضل القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ونمت الحضارة العربية الإسلامية وتيسرت وسائل الكتابة وعُرف الورق وصُنِّع في أقطار العالم العربي والإسلامي، فانتقل التراث المروي إلى الكتابة وكثر التدوين والتأليف بِدْءاً من العصر الأموي، وترسخ وانتشر في العصر العباسي فملأت الحضارة العربية الإسلامية أقطار العالم التي كانت تعيش في ظلام الجهل، وازدهر العلم والكتابة والتأليف، وملأ الحرف العربي والكتاب العربي أقطار الدنيا منذ القرن الثاني وحتى القرن السابع الهجري، فانتشرت العلوم العربية الإسلامية في أقطار العالم، وألف في هذه العلوم العرب والمسلمون، وكثرت الكتب وامتلأت المكتبات في كل أنحاء العالم الذي بلغته الحضارة العربية الإسلامية، وكان في طليعة المكتبات ماعُرِف ببيت الحكمة الذي بدأ منذ زمن معاوية، وبلغ أوج ازدهاره زمن المأمون العباسي، الذي جعل بيت الحكمة بيتاً للكتاب والمؤلفين والمكتشفين والمترجمين والفلكيين، وكثرت في زمنه وبعد زمنه ما عرفت ببيوت الحكمة، بفضل العلماء المؤلفين والمترجمين ومحبي العلم والكتاب، وقد وقفنا وقفة متأنية في فصل: (بيت الحكمة في الحضارة العربية).

وكانت الأمة العربية في عصورها الزاهية المزدهرة، أمة الفروسية والفتوح والشجاعة والرجولة والحمية العربية، وكان للفَرَس في حياتهم مكانة كبيرة عزيزة، فهي عُدة الفارس ورمز رجولته وبطولته وانتصاره، وكان للخيل في نفس العربي مكانة لا تقل عن مكانة الأهل والولد إن لم تزد، وكان الفارس يجوع ويظمأ ويؤثر فرسه بالماء والطعام، لأنها عدة النصر ورمز الرجولة والفتوة، وعلى ظهورها كانت الفتوح، وبفضلها عزَّ العرب والمسلمون، وقامت دولتهم يوم كان للعرب والمسلمين دولة، قادت العالم ونشرت الدين والعدل والحضارة. ولهذا كان العربي

يعدل الفرس بالولد، فمثلما يفرح بأن يرزق بالولد فهو يفرح حين تنتج فرسه مهراً، فكانوا يبتهجون ويهنئون بهذه الولادة العزيزة، وقد سجل ابن رشيق القيرواني هذه الظاهرة بقوله: "كان العرب لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج"، وبالخيل والفروسية عزت الأمة وارتفع شأن العرب والمسلمين، وكانت الأمة أمة فرسان وأمة بطولة ورجولة، فلعل عهد الفروسية يعود وإن اختلفت الوسائل. ومن هنا كان مضمون الفصل الثاني: (الخيل والفروسية في المؤلفات العربية).

وهذه الأمة أمة الفرسان والفروسية حملت راية النصر، ونشرت لغتها لغة القرآن الكريم التي بقيت خالدة على مر العصور، وتحدَّتْ كل الصعوبات، وواجهت كل الهجمات التي جاءت من الأمم المحتلة، التي دعا رجالها إلى القضاء على اللغة العربية التي تجمع العرب والمسلمين بالدعوة إلى العاميات، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، للقضاء على وحدة العرب والمسلمين وتراثهم الأصيل الذي يمتد في أعماق الزمان في مسيرة خمسة عشر قرناً، ومع اختلاف الدول العربية وتشتتها فإن اللغة العربية تجمعهم بأصالتها وثرائها وأدبها وعلمها وامتدادها في أعماق التاريخ، وقد باءت كل الدعوات التي ظاهرها الإصلاح وباطنها تشتيت الأمة والقضاء على فكرها وتراثها الذي يستضيء بالقرآن الكريم، وهكذا كان الفصل الثالث الذي يحمل اسم: (اللغة العربية وتحديات العصر).

وهذه اللغة الأصيلة الجميلة ألف فيها العلماء والأدباء ودونوا أدباها وعلمها، وتأنقوا في هذا التدوين فكتبوه بحروف عربية وخط بارع جميل، فبرع في هذه الخطوط مجموعة كبيرة منذ القرون الأولى وحتى هذا الزمن الحديث، وقد برع فنانون وخطاطون في كل الأزمان، وذاع اسمهم وشاع فنهم على مر العصور، وقد تميز في العصور السابقة ثلاثة من البارعين الموهوبين، فكانوا أئمة الخط والبراعة والجمال، وهم: ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي، فوقفنا وقفة متأنية عند كل من هؤلاء الأعلام المبدعين الثلاثة، وترجمنا لهم وعرضنا لفنهم وإبداعهم

الذي كان وما زال قدوة للمبدعين في الخط العربي في كل العصور، وهذا ما تضمنه الفصل الرابع: (أعلام الخط العربي في العصر العباسي).

وفي القضايا الفكرية والأدبية توقفنا عند ثلاث دراسات منتزعة من صميم التراث، الأولى: تجليات الخوف في الشعر العربي القديم، تناولت الدراسة موقف الشاعر من السلطة وما كان يعانيه من خروج على طاعة السلطان، أو كان الشاعر أداة لأغراض الحاكم يستخدمه في مآربه، فإذا قضى ما عليه استغنى عنه أو بطش به، وكثيراً ما يكون الشاعر ضحية للمآرب الشخصية والسياسية فيصبح الضحية ويكون الفداء.

والقضية الثانية: تناولنا فيها قضية العلماء عندما يبلغون سن الشيخوخة، ولكن نشاطهم الفكري والأدبي يبقى حيًّاً وخصباً، فيكون عطاؤهم الفكري بعد السبعين أو الثمانين غزيراً رصيناً فيه أصالة النضج وخبرة السنين، وقد حفل التراث الفكري العربي بأمثلة رائعة من المفكرين والأدباء، الذين أغنوا العربية بعطائهم المتميز الأصيل، منذ العصور العباسية وحتى هذا الزمن الحديث، وما زال قسم من هؤلاء الكبار المعاصرين يغنون الحياة الفكرية والأدبية في كل الأقطار العربية والإسلامية، وهم قمم شامخة قد جاوزت الثمانين، مدَّ الله في أعمارهم وبارك في عطائهم.

والقضية الثالثة: قضية اللاأدري، أي تثبت العلماء مما يقولون، فلا يجيبون أو يفتون بما لم يعلموا أو لم يتوثَّقوا من أقوالهم، فليس من العيب أن يقول العالم في قضية يُسأل عنها فلا يفتي إلا بما يعلم وهو واثق، أما أن يتسرع في الجواب والإفتاء فهذا نقص في علم العالم أو فكر الأديب، وقد شغلت هذه القضية مجموعة من العلماء، فكان منهم الحريص على علمه الذي لا يتسرع في الإجابة، وكان بعضهم يهرف بما لا يعرف، فتنقلب عليه الطامة ويسقط من أعين السائلين والعارفين، وهذا ما حواه: (الفصل الخامس).

وكان الفصل الأخير في هذه الدراسات التراثية هو المحراب الإسلامي في التراث، وهو دراسة من الدراسات الأصيلة التي قدمها البروفيسور ر. ب. سار جنت الأستاذ في جامعة كمبردج، وقد استأذنته في ترجمتها حين كنت متفرغاً في معهد الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج سنة ١٩٧٣-١٩٧٤، فوافق بعد أن أطلعته على الترجمة فسجل ملاحظات وتصويبات أخذت بها.

وبعد، فأرجو أن يكون هذا الكتاب لبنة خيرة في صرح التراث العربي، وأن يقع في قلوب محبي التراث العربي الموقع الحميد، وبالله العون ومنه التوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً.

يحيى الجبوري

٢٠٠٩

الفصل الأول

بيت الحكمة في الحضارة العربية

بيت الحكمة في الحضارة العربية

ورث العرب قبل الإسلام حضارات عريقة كانت في العراق والشام ومصر، وكانوا على صلات بهذه الحضارات، وخاصة أهل الحواضر في جنوب الجزيرة وشرقيها وشماليها، في اليمن والحيرة ودمشق وما وراء هذه الحواضر، وكان الأخذ والعطاء بين العرب في الجزيرة والأمم المجاورة، ولما ظهر الإسلام كان ظهوره في بيئة تجارية ثرية وهي مكة، وكان الإسلام في أول بزوغه قد دعا إلى العلم والمعرفة، وأول آية نزلت فيها دعوة إلى القراءة والعلم والتعلم: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ٣-٥[1]، وجاءت الآيات من ثَمَّ تدعو إلى التعلم والقراءة وذكر القلم والكتاب، وقد فضّل الله سبحانه العلماء على مَنْ لا علم لهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩[2]، وجاء ذكر العلماء في القرآن الكريم بعد الملائكة، تكريماً لهم، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨[3]، والذين يعلمون أقرب إلى التقوى، لأنهم يعرفون حقيقة الدين، فهم أكثر خشية لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨[4]، والصلة وثيقة بين العلم والإيمان، ولذلك فضل الله سبحانه العلماء المؤمنين: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١[5]، والعلم واسع يهدي الله سبحانه

---

(1) سورة العلق ٣-٥.
(2) الزمر ٩.
(3) آل عمران ١٨.
(4) فاطر ٢٨.
(5) المجادلة ١١.

إليه عباده ويعلِّمهم ما لا يعلمون: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١][1]، ومن هذا العلم علم القرآن وكل ما فيه بيان، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤][2]، والعلم والتعلم أساسه القراءة والكتابة، فقد أقسم سبحانه بأدوات العلم، وأكرمها القلم: ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١][3]، وجاءت أحاديث الرسول ﷺ في الحث على طلب العلم، والإشادة بمكانة العلماء، والأحاديث النبوية كثيرة في الحثِّ على العلم وإكرام العلماء، من ذلك قوله ﷺ وقد بيَّن ضروب العلم ووسائله:

"أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبَّاً، ولا تكن الخامسة فتهلك"[4]، وجعل النبي الكريم العلم فريضة على كل المسلمين، قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وفي رواية: ومسلمة[5]، والبذل في سبيل العلم وطلبه مهما كان بعيداً ونائياً، نسعى إلى العلم مهما بعد: "اطلبوا العلم ولو في الصين"[6]، فهل هناك من مزيد؟ فالعلم واسع وطريقته ممتدة طويلة ويبقى الإنسان عالماً ما طلب العلم، قال عليه السلام: "لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل"[7]، وطالب العلم في رعاية الله تحفه ملائكته، وطلب العلم جهاد كجهاد الشهداء، وقد قُرِن مِداد العلماء بدماء الشهداء وفضله، قال عليه السلام: "إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب، ولمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء

---

(1) البقرة ١٥١.
(2) الرحمن ١-٤.
(3) القلم آية ١.
(4) رواه الطبراني في طبقات علماء أفريقية، لأبي العرب: ٢٧.
(5) المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٤٠، جامع مسانيد أبي حنيفة ١/ ٢٣، ٨٣، ٩٣.
(6) ميزان الاعتدال: ٤٢١، لسان الميزان لابن حجر ١/ ٢٦١١.
(7) العقد الفريد ٢/ ٢٠٩.

الشهداء في سبيل الله"[1]، ومن شرف العلم أن الله سبحانه بعث رسوله معلماً، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل لم يبعثني معنِّفاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً"[2]، والأحاديث النبوية الشريفة في الحثِّ على طلب العلم وتكريم العلماء كثيرة، وكان الرسول الكريم يحرص على تعلُّم المسلمين القراءة والكتابة، وقد جعل فداء الأسرى يوم بدر أن يعلم كل أسير ممَّن يحسن القراءة والكتابة، عشرة من أبناء المسلمين في المدينة.

وكان من أثر حضِّ الإسلام على العلم والتعلُّم أنْ أحبَّ العرب والمسلمون الكتابَ وتحصيله والحرص عليه، فشغفوا باقتناء الكتب وقراءتها ونسخها والفخر بامتلاكها، وأكثرَ الأدباء والشعراء في ذكر فضائل الكتب، فهي الجليس الذي لا يُمَلّ، والصديق الذي لا يضرك ولا يفشي سرّك ولا يسأم عشرتك، وولع كثير من الأدباء بالكتاب فألهاهم عن الأهل والأصحاب، وكان من أكثر الناس ولعاً بالكتب والإشادة بها الجاحظ، الذي أفاض في ذكر فضائلها وفوائدها، ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الإشادة بها، سواء أكان في كتاب الحيوان أم في البيان والتبيين، أم في رسائله، وكان عشيراً لها حتى في ساعات مرضه وعجزه، وكان مقتله ووفاته تحت ركامها حين سقطت عليه فقتلته، بعد أن قتلها حباً وحفظاً وتأليفاً[3]، وقد شهد غير واحد من الباحثين الأوربيين باعتزاز المسلمين وشغفهم بالعلم والقراءة والكتب واقتنائها، من ذلك ما شهد به ول ديورانت حيث يقول: "ولم يبلغ الشغف باقتناء

---

(1) السابق والصفحة، مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٣٩، تفسير القرطبي ١/ ٢٨٨.

(2) صحيح مسلم ١٠/ ٨١.

(3) راجع في الكتاب ومكانته وما قيل فيه في: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ليحيى الجبوري في صفحات كثيرة.

الكتب في بلد آخر من العالم –اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هـوانج– مـا بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر"[1].

وبفضل من هذا الاستعداد لطلب العلم ونشر المعرفـة واكتـساب الحـضارة والتعلّق بها ونشرها، كانت الأجواء مهيّـأة لظهور بيت الحكمة ودور العلم، ومـن ثم كثرة الخزائن العامة والخاصة، وقبل البدء بالحديث عن بيت الحكمة نقف عنـد معنى الحكمة الذي اشتق منه اسم بيت الحكمة.

ونرجع إلى لسان العرب فنجد كيف فهم العرب الحكمة، وماذا أرادوا بها، قال في مادة (حكم): الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وهو الحكيم له الحكم سـبحانه وتعالى، قال الليث: الحَكَمُ الله تعالى، وقال الأزهري: من صفات الله الحَكَمُ والحكيم والحاكم، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، والله أعلمُ بما أراد بها، وعلينا الإيمان بأنّها من أسمائه. وقيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفـضل الأشـياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم. وقال الجـوهري: الحُكْمُ والحكمة من العلم، والحكيم العالم وصاحب الحكمة، وقـد حكـم أي صـار حكيماً، قال النمر بن تولب:

وأبغِضْ بغيضَكَ بُغْضاً رويداً إذا أنتَ حاولـتَ أنْ تحكمـا

أي إذا حاولت أن تكون حكيماً، والحكـمُ: العلـمُ والفِقْـهُ، قـال الله تعـالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ مريم: ١٢[2]، أي علماء وفقهاء، هذا ليحيى بن زكريا.

وفي الحديث: "إن من الشعر لحكماً" أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنـع مـن الجهل والسَّفَه وينهى عنهما، قيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس.

---

(1) قصة الحضارة، تعريب أحمد بدران، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٠، ١٣/ ١٧١، ويشير المؤلف إلى التاريخ الميلادي، ويريد من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري.

(2) مريم ١٢.

والحُكمُ: العلم والفقه والقضاء بالعدل، ويُروى: "إنَّ من الشعر لحكمة"، وهو بمعنى الحكم.

وقد جاءت الحكمة في القرآن الكريم مرافقة للكتاب، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٩[1]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١٥١﴾ ﴾ البقرة: ١٥١[2] وقوله: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴿٢٣١﴾ ﴾ البقرة: ٢٣١[3]، وتأتي الحكمة مرتبطة بالخير: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩[4]، وجاء ذكر الحكمة مع الكتاب والمُلك العظيم، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤[5]، والحكمة مرافقة للعلم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴿١١٣﴾ ﴾ النساء: ١١٣[6]، وتأتي الحكمة مرافقة للكتب السماوية: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿١١٠﴾ ﴾ المائدة: ١١٠[7]، والحكمة موصولة بالموعظة الحسنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥[8]، وجاء ذكر الحكمة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، فالحكمة العلم بالقرآن والنبوة،

---

(1) البقرة ١٢٩.
(2) البقرة ١٥١.
(3) البقرة ٢٣١.
(4) البقرة ٢٦٩.
(5) النساء ٥٤.
(6) النساء ١١٣.
(7) المائدة ١١٠.
(8) النحل ١٢٥.

والعلم بأمور الدنيا، واكتساب المعرفة، وفي الحكمة القوة والخير والموعظة الحسنة، والتقدم والرقي والحضارة، ومن هنا نستطيع أن نقول: إن بيت الحكمة هو بيت العلم والمعرفة والكتب التي حوت كل صنوف المعرفة والخير وأنوار العلوم التي نعرف بها أسرار الكون وقدرة الله، وكل ذلك يهدي إلى الإيمان والتقى وخشية الله سبحانه، وخاصة أولئك الذين يلتمسون العلم لأجل الخير والهداية ورضوان الله، ويسيرون في الأرض ويتفكرون في آلاء الله وخلقه، ويستثني من أولئك العلماء الذين لم يتبعوا الهدى ووسوس لهم الشيطان فانحرفوا وألحدوا وضلوا، وزاغوا عن سواء السبيل، والعياذ بالله سبحانه.

أما تسمية بيت الحكمة بهذا الاسم، فقد كان من معاني الحكمة في ذلك العصر (الفلسفة) وخاصة الفلسفة اليونانية، وكانت الفلسفة تشمل العلوم كالطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق، وغير ذلك، وتعال لنرَ ما قصة بيت الحكمة، وكيف بدأ ونشأ وتطور وامتدَّ على الزمان؟ فنقول وبالله التوفيق.

لا شك أنَّ أول كتاب عرفه المسلمون وحملوه معهم في فتوحاتهم، هو القرآن الكريم، وقد شهد المسلمون –في فتوحهم– لدى الأمم المجاورة كتباً مخطوطة، فما أعاروها اهتماماً أول الأمر، ولكنهم حين بدأوا يعتنون بالتفسير والحديث والشعر والخطب والأمثال والحكم، شعروا بالحاجة إلى التدوين ونسخ الكتب وحفظها في أماكن عرفت فيما بعد بـ (بيت الحكمة) أو (خزانة الحكمة)، فكانت الكتب التي يجلبها الفاتحون من الأمم المجاورة، والكتب التي يؤلفها العلماء المسلمون، تحفظ في هذه البيوت أو الخزائن، ليصار إلى الرجوع إليها، والإفادة منها، والنقل عنها.

وأول ذكر لبيت الحكمة يرد مرتبطاً بمعاوية بن أبي سفيان، ومنسوباً إليه، ففي المناظرة التي كانت بين عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣ م)، وبين بشر المريسي (٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م)، يقول الدارمي: "وادّعى المعارض أيضاً، أنه سمع أبا السلط يذكر أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان بيت يسمَّى (بيت الحكمة)، فكلما

وجد حديثاً ألقاه فيه، ثم رُويَتْ بعد"[1]، ومعروف أن معاوية كان مهتماً بسماع الحديث وسِيَر الملوك وأخبار الماضين وتدوينها والانتفاع بها، فممَّا عُرِف عنه أنه: "كان ينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد، ويحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبار الحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وُكِّلوا بحفظها وقراءتها"[2]، وكان معاوية قد استقدم عُبَيد بن شَرِيَّة الجرهمي (٦٧هـ/ ٦٨٦م)، وهو أول من صنَّف الكتب من العرب، فكان معاوية يسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم، فيحدثه، فأمر معاوية بتدوين أخباره، فأملى كتابين، أوَّلهما كتاب (الملوك وأخبار الماضين)، والثاني كتاب (الأمثال)[3] .

ويلمع في العصر الأموي نجم خالد بن يزيد بن معاوية، وهو أول شخصية مرموقة اهتمت بالكتب والعلم والعلماء، وأنشأ أول مكتبة عامة في الإسلام[4].

لقد ورث خالد بن يزيد مكتبة جده معاوية، ولم يُعرَف عن أحد من خلفاء الأمويين حبٌّ للكتب يوازي أو يقارب حبَّ خالد بن يزيد وولعه بالكتب، فقد أولاها عناية كبيرة، ويروى عنه أنه قال في هذا: "ما أنا من العلماء ولا من الجُهَّال، ولم أصنع سوى أن جمعتُ الكتب"[5]، وإذا صحّ هذا القول لخالد عن نفسه، فإن فيه كثيراً من التواضع ونكران الذات، فالمعروف عن خالد أنَّه كان بصيراً بالعلوم، منصرفاً إلى التأليف، وكان كما يصفه صاعد الأندلسي:

"بصيراً بالطب والكيمياء، وله في الكيمياء رسائل وأشعار بارعة، دالة على معرفته وبراعته فيها"[6]، وقد شكك ابن خلدون في تمكن خالد من معرفة العلوم

---

(1) الدارمي: رد الدارمي على المريسي ص ١٣٥، يوسف العش: دور الكتب العربية ص ٤٣.

(2) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٧٢.

(3) ابن النديم: الفهرست: ٨٩، ياقوت: إرشاد الأريب ٥/ ١٠.

(4) كرنكو: مادة: كتاب خانه، في الموسوعة الإسلامية، الأصل الانجليزي ٢/ ١١٠٥.

(5) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٠، ابن عساكر ٥ / ١١٧، ياقوت: إرشاد ٤/ ١٦٥.

(6) طبقات الأمم ص ٩٩.

والصنائع، بحجة أنه من جيل كانت البداوة إليه أقرب[1]، كما شكك بعض الباحثين المحدثين مثل البروفيسور روسكا[2]، وفي النصوص القديمة ما يدل على عناية خالد بن يزيد بالكيمياء وممارسته لها، وإن كان ذلك لا يعني علمه الواسع بالكيمياء، وتأليف الكتب العلمية الكبيرة فيها[3]، ومما يعزز ذلك ما رواه المدائني، قال: "قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام غازياً، فدخل على عمَّته آمنة امرأة خالد، فقال خالد: لم يقدم أحد من الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فقال محمد: وما يمنعهم وقد قدموا المدينة على النواضح[4] (يعني مروان الأول) فنكحوا أمك وسلبوا ملكك، وفرغوك لطلب الحديث، وقراءة الكتب، وطلب ما لا يُقدر عليه، يعني الكيمياء"[5].

ولا شك أن خالد بن يزيد قد استعان ببعض تراجمة العلوم، ليترجموا له كتباً في الكيمياء[6]، ويُذكَر من هؤلاء التراجمة اصطفان القديم الذي "نقل لخالد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها"[7]، وكان اهتمام خالد بالكيمياء أول محاولة لترجمة العلوم، قيل: "وعندما خطر ببال خالد الصنعة، أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصَّحَ بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من

(1) المقدمة ١/ ٩٧٧- ٩٧٨.
(2) الكيميائي خالد بن يزيد، عن يوسف العش، دور الكتب العربية ص ٤٦.
(3) العسكري: الأوائل ص ١٩٠، ابن النديم: الفهرست ص ٣٥٤.
(4) النواضح: الإبل.
(5) الأصفهاني: الأغاني ١٦/ ٨٦، البلاذري: أنساب الأشراف ٤ ب/ ٦٥.
(6) الفهرست: ٣٥٤.
(7) ابن النديم: الفهرست: ٢٤٤.

اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة"[1].

ونخرج من هذا كله إلى أن هذه الكتب التي ترجمت لخالد بن يزيد، والكتب التي كان يُعنَى بها من العلوم العربية والدينية، وهي كتب التفسير والحديث والشعر والأخبار، كل هذه الكتب العقلية والنقلية، والكتب التي ورثها عن جده معاوية، كانت النواة لخزانة خالد بن يزيد التي نوَّه بها باسم (بيت الحكمة)، وهي أول خزانة كتب عامة في الإسلام[2].

وبعد خالد بن يزيد لا نجد ذكراً لبيت الحكمة، أوخزانة الحكمة، إلا في زمن الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ/ ٧١٤م) حيث يُذكَر أن لمكتبته خازناً وناسخاً، ولكل منهما لقب محدد، فقد لُقِّبَ سعد بـ (المصحفي)، وعند الحديث عن مولاه، قيل: (زياد مولى سعد صاحب المصاحف) تلميذ ابن عباس (ت ٦٨هـ/ ٦٨٧م) ويذكر ابن النديم خالدَ بن أبي الهياج، وهو خازن الكتب بقوله: "أول من كتب المصاحف في الصدر الأول، ويوصف بحسن خط خالد بن أبي الهياج، رأيت مصحفاً بخطه، وكان سعد نصبه لكَتْب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك"[3]، ومعنى هذا أنه كان في مكتبة الوليد ناسخ وخازن، وهناك مصاحف وكتب مجلدة، وكلمة مصاحف تنصرف أولاً إلى القرآن الكريم، ولا يمنع أن تنصرف أيضاً للكتب المجلدة غير القرآن الكريم، ويعزز هذا الفرض ما ذكره ابن عبد البر عن الكتب التي ضُمَّتْ إلى مكتبة الوليد، يقول: "من جملة ما وجد في الأندلس اثنان وعشرون مصحفاً محلاة، كلها من التوراة، ومصحف آخر محلى بفضة فيه منافع الأحجار

(1) ابن النديم: الفهرست: ٢٤٢، الصفدي: شرح لامية العجم = الغيث المسجم في شرح لامية العجم ١/ ٤٦، القلقشندي: صبح الأعشى ١/ ٢٤٠.

(2) كرنكو: السابق ٢/ ١١٠٥.

(3) الفهرست: ٦، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٤٦٦.

والأشجار والدواب وطلسمات عجيبة، فحُمِل ذلك إلى الوليد، وكان في المصاحف مصحف فيه عمل الصنعة وأصباغ اليواقيت"[1].

ولا نجد بعد ذلك ذكراً واضحاً لخزائن الكتب والمكتبات، إلا ما يذكر عن مكتبة الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٢م) فبعد وفاته حُمِلَتْ الدفاتر التي كانت تحتويها مكتبته على دواب عديدة، وهي الدفاتر التي تضمُّ في معظمها أحاديث وروايات ابن شهاب الزهري[2]، ومن هذا يتبيَّن أن المكتبات الأموية كانت تحتوي على كتب في الحديث والشعر والأخبار والتاريخ والنجوم، والطب والكيمياء، وبعض الكتب الفلسفية، وكان فيها أمناء ونسَّاخ، وكان بعض المترجمين قد ترجموا كتباً في الطب، من ذلك أن ماسرجويه السرياني، تولّى ترجمة كتاب (أهْرُن القس) في الطب لعمر بن عبد العزيز: "وهو كناش[3] فاضل من أفضل الكنانيش القديمة"[4].

---

(1) ابن عبد البر: القصد والأمم: ٣٤.

(2) ابن النديم: الفهرست: ١١٧، ٢٤٥، ٣٠٥، ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٣٦، نالينو: علم الفلك: ١٢٤٣، يوسف العش: السابق: ٥١.

(3) الكناش والكُنَّاشة: الأوراق تجعل كالدفتر، تقيَّد فيها الفوائد والشوارد. المعجم الوسيط: كنش.

(4) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم: ١٥٧، القفطي: تاريخ الحكماء: ٣٢٤، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ١٩٢.

في العصر العباسي

أ. زمن المنصور:

لقد عُرِفَ عن المنصور ميله وولعه بعلم النجوم بالإضافة إلى العلوم الأخرى، يقول صاعد الأندلسي: "كان المنصور مع براعته في الفقه، كَلِفاً بعلم الفلسفة، وخاصة علم النجوم"[1]. وقد كلَّف المترجمين أن يترجموا له كتباً في الطب والفلسفة والفلك، فكلَّف الطبيب جرجس بن جبرائيل الذي حضر إلى بغداد من جنديسابور (سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) للإشراف على علاجه، وكان المنصور ممعوداً، فعالجه ووجد الشفاء على يديه، وكلَّفه أن يترجم له كتباً طبيّة، فنقل كتباً طبية من كتب اليونان إلى العربية[2]، وكذلك فعل ابن البطريق الذي ترجم له بعض المؤلفات القديمة[3]، ولشدة حرص المنصور على احتياز كتب العلوم، فقد كتب إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب العلوم لترجمتها، فبعث إليه بكتاب (إقليدس) وبعض كتب الطبيعيات[4]، وتُرجمت للمنصور كتب من اللغات الفارسية والفهلوية واليونانية والسريانية، منها كتاب (كليلة ودمنة)، وكتاب (السند هند)، وكتب أرسطو في المنطقيات، وترجم له كتاب (المجسطي) لبطليموس، وكتاب (الأرثماطيقي)، وكتاب (إقليدس) وغيرها[5].

وكانت عناية المنصور بالعلوم العربية، من الفقه والحديث ورواية الأخبار والتاريخ، لا تقلّ عن عنايته بالعلوم الطبيعية المترجمة، من ذلك انه أمر

---

(1) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم: ٩٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٦.

(2) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ١/ ١٢٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٤١٣، ابن النديم: ٢٤٤، العمري: مسالك الأبصار، مخطوطة أيا صوفيا: ٣٤٢٢ ص ٩٠.

(3) ابن النديم: ٢٤٤، ابن ابي أصيبعة ١/ ٢٠٣.

(4) ابن خلدون: المقدمة ٤٠١.

(5) المسعودي: مروج الذهب ٨/ ٢٩١، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ١٥٦، صاعد الأندلسي: ١٠٢، القفطي: ٢٧٠-٢٧٢.

محمد ابن إسحق (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م) أن يؤلف كتاباً في التاريخ لابنه المهدي، منذ آدم حتى زمن المنصور، فألَّف ابن اسحاق الكتاب، فلما وجده المنصور طويلاً، أمر باختصاره، وأودع الكتاب الأصلي في مكتبة المنصور[1]، وكذلك ألف عبد الجبار بن عدي للمنصور كتاباً في آداب الحروب[2]، وصنف المفضل الضبي بأمر المنصور كتاب (المفضليات)، الذي كان قصائد يؤدّب بها المهدي[3]، كل هذه الكتب وغيرها، حوتها مكتبة المنصور التي آلت من ثَمَّ إلى بيت الحكمة، أو دار الحكمة.

ب. زمن الرشيد:

وانتقلت مكتبة المنصور وما أُضيف إليها زمن المهدي إلى الخليفة هارون الرشيد، وقد أُثريَتْ خزانة بيت الحكمة زمن الرشيد، إذ جاءتها دفعة كبيرة من الكتب بعد فتح هِرَقْلَة[4] وأقاليم بيزنطية أخرى سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م، يقول ابن أبي أصيبعة: "وجلب إلى بيت الحكمة مما وُجِد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، حين سباها المسلمون"[5]، وقد دأب الرشيد على شنِّ الحملات العسكرية على بلاد الروم في سنوات متتابعة، وكان من جملة أهداف غزوات الرشيد جلب نفائس الكتب اليونانية إلى بغداد لترجمتها، وقد أطلق على غزواته هذه اسم الصوائف، لأنها كانت تُشنُّ في وقت الصيف، وكان الرشيد يسعى إلى خضد شوكة الروم والقضاء على قوّتهم لحماية مملكته، ومن جانب آخر كان حريصاً على اقتناء الكتب اليونانية في علوم الطب والفلك والفلسفة والهندسة وما إلى ذلك، وغزا الرشيد المدن العامرة بكتب العلوم كعمورية وأنقرة، وكان النصر حليفه في هذه الغزوات، وكان يشترط على

---

(1) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٢٢١.

(2) ابن النديم: ٣١٤.

(3) الأنباري: نزهة الألباء: ٦٧.

(4) هرقلة: مدينة ببلاد الروم، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، وكان الرشيد غزاها بنفسه بعد حصار وحرب شديدين. ياقوت: هرقلة.

(5) طبقات الأطباء ١/ ١٧٥، القفطي: ٣٨٠، صاعد الأندلسي: ٥٠.

المدن المغلوبة من شروط الصلح أن يحتاز الكتب التي يريدها، ولم يكن الرومان يبدون معارضتهم لهذه الشروط، فحصل منهم على كتب كثيرة نفيسة، وعهد الرشيد بترجمة هذه الكتب التي غنمها من أنقرة وعمورية إلى يوحنا بن ماسويه، وهو شيخ النَّقَلة في عصره، وكان يوحنا كما يقول ابن أبي أصيبعة: "مسيحي المذهب سريانياً، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة ممّا وجد بانقرة وعمورية وسائر البلاد الرومية حين سباها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة"[1].

وكان الرشيد حين أوكل إلى يوحنا بن ماسويه مهمة ترجمة هذه الكتب الرومية، قد رتَّب له كُتَّاباً حُذَّاقاً يكتبون بين يديه[2]، وصار لبيت الحكمة مكانة خاصة متميزة، فاقترنت فيه حركة الترجمة بالمراصد الفلكية، وبخزانة الكتب التي حفظت فيه، ونُظِّمَ لها مترجمون ونُسَّاخ وكُتَّاب مهرة، وكان من جملة النساخ الذين كان يكتب للرشيد والبرامكة الشاعر عِلاَّن الشعوبي[3]، ويضاف إلى النَّقَلة الذين خدموا في بيت الحكمة زمن الرشيد والمأمون بعده الحجاج بن يوسف بن مطر، الذي نقل كتاب إقليدس (أصول الهندسة) مرتين، الأولى زمن هارون الرشيد، ويُعرف هذا النقل بالهاروني، نسبة لهارون الرشيد، والثانية زمن المأمون وعُرِف هذا النقل بالمأموني[4]، وهكذا نمت وازدهرت خزانة بيت الحكمة في عهد الرشيد، الذي أوكل القيام بشؤونها والإشراف على نفائسها وإدارتها إلى الفضل بن نوبخت، وهو فارسي الأصل من العلماء المتكلمين، وكان ينقل العلم من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي[5].

---

(1) ابن أبي لأصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٧٩.

(2) القفطي: ٣٨٠.

(3) ابن النديم: ١٠٥.

(4) ابن النديم: الفهرست: ٣٧١ ط المكتبة التجارية، مصر ١٣٤٨هـ.

(5) القفطي: تاريخ الحكماء: ٢٥٥.

ولم يكن هارون الرشيد يشجع الترجمة والمترجمين وحسب، بل كان يشجع العلماء كافة، وخاصة علماء الشريعة والعربية، وكان يحضر مجالس العلم ويشارك العلماء في محاوراتهم، وكثيراً ما يكرم هؤلاء العلماء ويغدق عليهم الهبات والعطايا، ومن قراراته في زيادة عطاء العلماء قوله: "من عمَّر مجالس العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه في ألفي دينار في العطاء"، "ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحره، فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر" أي من الشيوخ الكبار(1).

وهكذا ازدهر بيت الحكمة ونما وكثرت فيه نفائس الكتب المؤلفة والمترجمة عن اليونانية والسريانية والفارسية.

ج- زمن المأمون:

إنَّ زمن المأمون هو زمن ازدهار بيت الحكمة وتوسعه ورسوخه، وقد كان المأمون رجلَ علم وأدب، اهتم بقراءة الكتب، ومجالسة العلماء، وتحصيل ما عندهم من علوم، يصف المؤرخون القدماء المأمون بأنه كان إماماً في كل فن من العلوم العربية، والفلسفة والنحو والشعر، والحديث والطب، وعلوم الأوائل والنجوم والأرصاد(2)، ويروى أنه كان يناقش جلساءه ويحاورهم في أمور العلم، وله بصر صالح بالعلوم، ذكر الجاحظ أنَّ سهل بن هارون قال يوماً وهو عند المأمون: "من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يُرغَبُ عن بعض العلم، كما يُرغب عن بعض الحلال. قال المأمون: قد يسمى بعض الشيء علماً وليس بعلم، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرناه، ولو قلتَ: العلم لا يُدرك غورُه، ولا يُسْبَرُ

---

(1) عبد الجبار جومرد: هارون الرشيد ٢/ ٣٢٦-٣٢٧، ط بيروت ١٩٥٦.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان (مخطوطة المكتبة الوطنية ١٥٠٥) ٩٣/ ١، ٩٤ ب، صاعد الأندلسي: ١٠٠، ابن العبري: ٢٣٦، حاجي خليفة ١/ ٢٦.

قعرُه، ولا تُبلَّغ غايتُه، ولا يُستقصى أصنافه، ولا يُضبَط آخرُه، فالأمر على ما قلت. فإذا فعلتما ذلك كان عدلاً وقولاً صدقاً"[1].

وكان همُّ المأمون أن يزوِّد بيت الحكمة بكتب الفلسفة والعلوم لترجمتها والإفادة منها، فدأب على مراسلة امبراطور الروم، وإرسال البعثات إلى بلاد الروم لاجتلاب الكتب، يقول صاعد: "داخل المأمون ملوك الروم، واتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون، وأرسطوطاليس، وأبقراط، وجالينوس، وإقليدس، وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة"[2]، وأرسل المأمون إلى بلاد الروم بعثات للحصول على كتب اليونان، ويذكر من هؤلاء الذين أرسلهم المأمون ممَّن يجيدون اليونانية حنين بن إسحاق، ويروى عن حنين أنَّه كان قد قدم إلى بغداد وهو شاب مولع بطلب العلم، وكان يتقن اليونانية والسريانية، ولكنه كان ضعيفاً في العربية، فقصد إلى بلاد فارس حيث كان الخليل بن أحمد هناك، فلزمه حنين وأخذ عنه اللسان العربي وأتقنه، وعاد إلى بغداد ومعه كتابه العين للخليل بن أحمد الفراهيدي[3]، والتحق حنين بخدمة المأمون وتولَّى العمل في بيت الحكمة، والنقل من اللسان اليوناني إلى العربي، ثم أرسله المأمون إلى بلاد الروم للبحث عن الكتب اليونانية النادرة، فذهب إلى القسطنطينية وكان فيها مكتبة عظيمة أسّست سنة ٣٣٦م، وعنى بعض الأباطرة بتوسيعها، حتى ليقال إن مجلداتها بلغت مائة ألف مجلد، وعلى الرغم من أنّ بعض الأباطرة قد أحرقوا قسماً من كتبها خوفاً على دينهم من الكتب ذات الصبغة الدينية، ولكنها جُدّدت فيما بعد، وكانت عامرة زاخرة بالكتب في عصر المأمون[4].

(1) البيان والتبيين ٣/ ٣٧٣-٣٧٤.

(2) صاعد الأندلسي: ١٠٠، ابن العبري: ٢٣٦، حاجي خليفة ١/ ٢٦.

(3) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ٢/ ١٤٦-١٤٧.

(4) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ٦٣.

وكان حنين قد سافر إلى بلاد كثيرة مرات، ووصل إلى أقصى بلاد الروم، وحصل على كتب كثيرة تمَّ نقلها إلى العربية، ولم تقتصر بعثات المأمون إلى بلاد الروم على حنين بن إسحاق، بل أرسل أكثر من بعثة، فقد أرسل إلى ملك الروم بعثة فيها: الحجاج بن مطر، ويوحنا بن البطريق، وسليمان صاحب بيت الحكمة، فاستجاب ملك الروم إلى طلب المأمون بعد امتناع، فاختاروا مما وجدوا من الكتب، فحملت إلى المأمون، وأمرهم بنقلها إلى العربية، فنُقلت[1].

واستقدم المأمون من قبرس خزانة كتب اليونان، يصف ابن نباتة كيفية حصوله على هذه الخزانة، قال: "ولما هادن المأمون صاحب جزيرة قبرص، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد أبداً، فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي، واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون، كلُّهم أشاروا بعدم الموافقة، إلا مطراناً واحداً، فإنه قال: الرأي أن تعجل بإنفاذها إليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها، فأرسلها إليه، واغتبط المأمون بها"[2]. والروايات كثيرة في مراسلة المأمون ملوك الروم، ودأبه للحصول عليها، وكان المأمون محباً للعلم واقتناء كتبه وترجمتها إلى العربية، وقد وصف القاضي صاعد الأندلسي هذا الميل العلمي لدى المأمون ورغبته في نقل علوم الإغريق إلى العربية، ومجالسة العلماء ومذاكرتهم، وحثّهم على اكتساب هذه العلوم، قال: لما أفضت الخلافة إلى المأمون: "تمم ما بدأ به جده المنصور، فأقبل على طلب العلم من مواضعه واستخراجه من معادنه، بفضل همَّته الشريفة، وقوَّة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب إفلاطون وأرسطوطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم من

---

(1) ابن النديم: ٢٤٣، ابن أبي أصيبعة ١/ ١٨٦.

(2) ابن نباتة: سرح العيون: ١٣٠، الصفدي: شرح لامية العجم ١/ ٤٦.

الفلاسفة، فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلَّفهم إحكام ترجمتها، فتُرجمت له على غاية ما أمكن، ثم حضَّ الناس على قراءتها ورغَّبهم في تعلّمها، فنفقت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم، لما كانوا يرون من إعطائه لمنتحليها واختصاصه لمتقلديها، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذّ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية"[1]، وما كانت حفاوته بالعلوم الفلسفية والطبية والفلكية الدخيلة وإكرام علمائها وحسب، بل كان شغوفاً وميالاً للعلوم العربية وإكرام علمائها، فهو يقرب الفقهاء والمحدثين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب وما إلى ذلك، فازدهرت في عصره حركة الترجمة والتأليف، وكثرت الكتب، وحفلت بها المكتبات الخاصة والعامة، وفي طليعتها بيت الحكمة، وكل هذا النشاط العلمي يؤكد أنَّ المأمون كان له الفضل الكبير في الازدهار الحضاري وحركة الترجمة والتأليف، واقتنى مجموعة كبيرة من الكتب وأمر بترجمتها، فكانت ذخيرة نفيسة وقيِّمة من ذخائر بيت الحكمة.

مقتنيات بيت الحكمة:

ويمكن أن نتعرف على بعض محتويات خزانة بيت الحكمة[2]، فبالإضافة إلى الكتب التي ورثها المأمون عن أبيه الرشيد وجده المنصور، فإنَّ الكتب التي استقدمها المأمون من بلاد الروم، قد حفظت أصولها وترجماتها، وأصبحت من مقتنيات بيت الحكمة، ومن هذه الترجمات: ترجمة يوحنا بن البطريق لكتب أرسطو[3]، وترجمته لكتب أبقراط، وكذلك فعل حنين بن إسحاق وغيره[4]، وترجم

---

(1) طبقات الأمم: ٤٧.

(2) راجع في بيت الحكمة: كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق: ١٠٥-١١٢، يوسف العش: دور الكتب العربية: ٥٨-٨٨، فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين: ١٠٠-١٠١.

(3) القفطي ٣٧٩، ابن العبري: ٢٣٩.

(4) السابق والصفحة.

الحجاج بن مطر مؤلفات في الرياضيات، ومنها المجسطي لبطليموس[1]، وكان قد ترجم للرشيد أصول الهندسة لإقليدس، ثم أعاد ترجمتها للمأمون، وعُرِفت هذه الترجمة الأخيرة باسم (النقل المأموني)[2]، وترجم كتاب المرآة لأرسطو، وكتابه الآخر أثولوجيا[3]، وترجم يوحنا بن البطريق أمين الترجمة في بيت الحكمة كتاب (السماء والعالم) لأرسطو، وصححه حنين بن إسحاق، لأن يوحنا لم يكن يجيد العربية[4].

وبالإضافة إلى الكتب المترجمة، فإن خزانة بيت الحكمة حوت كتباً كثيرة مما أُلِّفَ للمأمون في هذا العصر، فكان هناك مجموعة من العلماء يؤلفون للمأمون خاصة، وكانت صلتهم وثيقة ببيت الحكمة، مثل: سهل بن هارون، ومحمد بن موسى الخوارزمي -الذي اختصر كتاب (السند هند الكبير)-[5]، وعمرو بن الفَرَّخان الذي ألَّف كتباً في النجوم، وتفسير بعض كتب اليونان، فألَّف: تفسير الأربع مقالات لبطليموس، وكتاب (اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب)[6]، وألَّف يوحنا بن ماسويه: (رسائل ومختصرات موجّهة إلى المأمون)، وألف جبرائيل بن بختيشوع للمأمون رسالة في الأطعمة والأشربة، ومقالة في تركيب العطور[7].

وفي مجال الدراسات الأدبية والتاريخية، أُلِّفَتْ للمأمون:

(حكايات ملوك الفرس)، وألف الأصمعي (تاريخ ملوك بني هود وغيرهم)، وألف سهل بن هارون كتاب (ثَعْلَة وعَفْرة) يعارض به كتاب (كليلة ودمنة)، وألَّف

---

(1) ابن النديم: ٢٤٤.

(2) ابن النديم ٢٦٥.

(3) ابن النديم: ٣٠٤، ٣١٢، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ٢٨٠.

(4) ابن النديم: ٢٤٦، ٢٥٠، ابن أبي أصيبعة ١/ ٢٠٥.

(5) صاعد الأندلسي: ١٠٢، القفطي: ٢٧٠.

(6) ابن النديم: ٢٧٣، القفطي: ٢٥٢، صاعد الأندلسي: ٢.

(7) يوسف العش: ٦٦-٦٧.

الفرّاء للمأمون كتاباً في النحو، وألف الهرثمي الشعراني كتاب (الفنون الحربية) المسمَّى بالحِيَل[1]. هذا بالإضافة إلى الكتب التي ورثها المأمون، وكانت في عهد أبيه الرشيد وجدِّه المنصور، ومن الكتب التي كان يعتز بها المأمون، تلك الكتب التي لها صلة بنسبهم وأصلهم، من ذلك كتاب ذكره ابن النديم ووجد في خزانة المأمون، وهو: "بخط عبد المطلب بن هاشم، في جلد أدَم، فيه حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة، على فلان بن فلان الحميري، من أهل وزل صنعاء، عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة، ومتى دعاه بها أجابه، شهد الله والملكان، قال: وكان الخط يشبه خطّ النساء"[2].

وهكذا نجد أنَّ (بيت الحكمة) كان خزانة أدب، ومركزاً للترجمة والتأليف، ومركزاً للأبحاث ورصد النجوم، وأنَّ الكتب التي حواها هذا البيت لها جملة مصادر؛ أولها الكتب القديمة التي وصلت عن طريق الوراثة والاقتناء، وهي كتب عربية ويونانية وفارسية وسريانية، وثانيها: الكتب التي ترجمت عن تلك اللغات الأجنبية، وثالثها: الكتب التي ألفت للمأمون ولغيره من الخلفاء، وغير الخلفاء، ورابعها: الكتب التي نسخها النسّاخ الذين يعملون في بيت الحكمة، من أمثال علاّن بن الحسن الشعوبي وغيره[3].

الترجمة والتأليف:

وكان لتشجيع المأمون ورعايته أن أقبل العلماء على بيت الحكمة، ينهلون منه، ويؤلفون في ظلاله، وينهلون من هباته وكرمه، وفي نصوص التراث ما يعزز هذا ويدعمه، يقول صاعد الأندلسي إن المأمون: "حضَّ الناس على قراءة الكتب

---

(1) ينظر في هذه الكتب: المسعودي: مروج الذهب ١/ ١٢٩، الأصبهاني: تاريخ سني ملوك الأرض: ٩، الأنباري: نزهة الألباء: ١٢٧-١٢٨، ياقوت: إرشاد الأريب ٨/ ٢٧٧، ابن النديم: الفهرست: ٣١٤.

(2) الفهرست: ٨، ط رضا تجدد.

(3) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة: ١١٠-١١١، يوسف العش: دور الكتب العربية: ٦٧.

المترجمة وشجَّعهم على دراستها... فتنافس أولو النباهة في دراستها لما كانوا يرون من إحصائه لمنتحليها، واختصاصه لمقلديها، فينالون عنده المنازل"[1].

لقد لمع مجموعة من العلماء الذين برعوا في معرفة اللسان اليوناني أو السرياني أو الفارسي، بالإضافة إلى اللسان العربي وهم الذين تولّوا الترجمة في زمن المنصور والرشيد والمأمون، يتردد ذكرهم وذكر كتبهم في المصادر، وذُكِرت أسماء كثير من العلماء الذين كانوا يعملون أو يختلفون إلى بيت الحكمة، فعرف منهم في زمن المنصور والرشيد يحيى بن البطريق، وعبد الله بن المقفع، ويوحنا بن ماسويه، وعُرف في زمن المأمون وبعده في القرنين الثالث والرابع كثرة من المترجمين، من أولئك: عمر بن شبَّة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)[2]، وصالح بن الوجيه[3]، وحنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، ويوحنا ابن البطريق، والحجاج بن مطر، وابن ماسويه، وابن النوبخت، وثابت بن قرة الصابي، وأبناء شاكر، والخوارزمي، ومتى بن يونس، وسنان بن ثابت بن قرة، ويحيى بن عدي، وأبو علي بن زرعة، وعِلاّن الشعوبي، وسهل بن هارون، وسعيد بن هارون، وغيرهم.

وكان أبرز من تولّى ترجمة الكتب اليونانية في بيت الحكمة حنين بن إسحاق، فقد أوكل إليه المأمون مراقبة النقل من اليونانية إلى العربية، وهيَّأ له كل الأسباب التي تيسّر عمله، وكانت الترجمة قبل حنين تتمُّ من اليونانية إلى السريانية، ثم من السريانية إلى العربية، فلما تولّى حنين أمرَ الترجمة جعل النقل يتمُّ من اليونانية إلى العربية مباشرة، ونُقِلت في هذا العهد كتب كثيرة طبية وفلكية، مثل كتب جالينوس وأبو قراط وبطليموس، وغيرهم، وترجمت كتب فلسفية وسياسية من اليونانية إلى العربية، ومنها كتب أرسطو وغيره من الفلاسفة.

---

(1) صاعد الأندلسي: ١٠٠، ابن العبري: ٢٣٦، حاجي خليفة ١/ ٢٧، يوسف العش: ٦٨.

(2) ابن النديم: ٥.

(3) الفهرست ١٩، ٥.

وكانت طريقة الترجمة قبل حنين بن إسحاق تقوم على وضع كلمة عربية مقابل الكلمة الأجنبية، وهذه الطريقة لا تفي بالغرض، ولا تنقل المعنى المطلوب، ولما تولّى حنين أمرَ الترجمة جعل النقل حسب المعاني، فيقرأ المترجم الجملة المراد نقلها، ويفهم معناها، ثم يعيد صياغتها باللغة العربية السليمة الفصيحة، غير متقيِّد بمواقع الكلمات في الجملة، وقد نال حنين بن إسحاق رضى المأمون وإعجابه بعمله هذا، وأغدق عليه الهبات والعطايا، وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل(1).

وقد أفاد حنين من سخاء المأمون هذا، وأراد أن يحصل على الذهب الكثير، فعمد إلى كتابة منقولاته على ورق غليظ ثقيل الوزن، ثم باعد بين السطور، ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة فقال: "وجدت من هذه الكتب كتباً كثيرة، وكثيراً منها اقتنيته، وهي مكتوبة بمولد الكوفي بخط أزرق كاتب حنين، وهي حروف كبار بخط غليظ، في أسطر متفرقة، ورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات أو أربع، وذلك في تقطيع مثل الثلث البغدادي، وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب، وتكثير وزنه لأجل ما يقابل به وزنه دراهم، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ولا جرم أن لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان"(2). وقد بقي قسم من هذه الكتب زمناً طويلاً إلى عهد ابن أبي أصيبعة في القرن السابع الهجري وما بعده.

وأقول: قد يستهجن بعض القارئين فعلة حنين بن إسحاق التي وراءها الطمع في الوزن والذهب الكثير، أما أنا فأبارك لحنين فعلته، فمن ناحية إن غلظ الكتاب وثقله وكبر حروفه أتاح للكتاب أن يبقى زمناً طويلاً لم يتهرَّا ولم يتلف، ومن ناحية

(1) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ٢/ ١٤٣، وينظر: المكتبات في الإسلام: محمد ماهر حمادة: ٦٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨.

(2) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ٢/ ١٦٠.

ثانية فإن إنفاق الذهب والمال على العلم والعلماء خير من إنفاقه على مجالس الطرب واللهو والغناء، أو إنفاقه على شعراء المديح الكاذب الذين يريقون ماء وجوههم لأجل الكسب المنافق الذليل في كل آن وزمان.

صاحب بيت الحكمة:

صاحب بيت الحكمة أو خازن المكتبة، هو المسؤول عنها، وعن إدارتها، وحفظ الكتب فيها، وتنظيم أمور البيت، وقد تولّى الإشراف على بيت الحكمة مجموعة من العلماء، وأوّل شخصية تذكر على أنه صاحب بيت الحكمة هو سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل[1]، ويبدو انه كان يشرف على بيت الحكمة وعلى خزانة المأمون الخاصة وكانت له منزلة كبيرة لدى المأمون[2]، ويذكر معه سعيد بن هارون (أو إبن هريم)[3]، ولعله كان معاوناً لسهل، وكان سعيد هذا بليغاً فصيحاً مترسلاً[4]. ووصف بـ (صاحب بيت الحكمة) أشخاص آخرون، منهم: سلم أو سلمان الحرّاني، وكان يعمل في بيت الحكمة مع سهل بن هارون، وله نقول من الفارسي إلى العربي[5]، وذُكِرَ سلم هذا مع الوفد الذي ذهب إلى بلاد الروم لاختيار الكتب القديمة، ولعله كان صاحب بيت الحكمة زمن الرشيد[6]، ولعل سلمان هذا كان يعرف اليونانية بالإضافة إلى الفارسية، فقد شرح ليحيي بن خالد البرمكي وزير الرشيد كتاب المجسطي[7]، وترجم بعض الكتب الفارسية[8].

---

(1) الفهرست ١٧٤.

(2) كرد علي: أمراء البيان: ١٥٢، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩.

(3) ابن نباتة: سرح العيون: ١٣٠.

(4) السابق نفسه.

(5) ابن النديم: ١٢٠.

(6) ابن النديم: ٢٤٣، ابن أبي أصيبعة ١/ ١٨٦.

(7) القفطي: ٩٧-٩٨.

(8) ابن النديم: ١٢٠.

الفلكيون في بيت الحكمة:

كان في بيت الحكمة في زمن المأمون مرصد فلكي، وقدعمل فيه مجموعة من العلماء، ويذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنّ المرصد الفلكي الذي ترد الإشـــارة إليه في المصادر، كان في بيت الحكمة[1]، والمعروف أن بيت الحكمة أنشأ مرصداً فلكياً في بغداد في منطقة الشماسية (سنة ٢١٤هـــ/ ٨٢٩م) وعمل فيه فريـــق مـــن المنجمين (الفلكيين)[2]، وترد أسماء بعض الفلكيين الذين كانوا يعملون فـــي بيـــت الحكمة، أو كانوا مسؤولين عن أقسام منها، من أولئك: أبو سهل الفضل بن نوبخت، كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وكان اعتماده على كتب الفرس، ومن كتبه: كتاب الفأل النجومي، وكتاب المواليد، وكتاب المنتخل من أقاويـــل المنجمـــين فـــي الأخبار والمسائل والمواليد وغيرها[3]، ومحمد بن موسى الخوارزمي، الذي كـــان منقطعاً إلى خزانة الحكمة للمأمون، وله مؤلفات عن عمـــل الاســـطرلاب وكتـــاب الزيج[4] وما شاء الله بن أثري، كان في أيام المنصور والمأمون وله كتـــب منهـــا: صنعة الاسطرلابات، وكتاب ذات الحلق، وكتاب الأمطار والريـــاح، وغيرهـــا[5]، وأبو جعفر أحد فلكيي المأمون[6]، ويحيى بن أبي منصور، كـــان أحـــد أصـــحاب الأرصاد في زمن المأمون، له من الكتب: كتاب الزيج الممتحن، وكتاب مقالة فـــي ارتفاع سدس ساعة أعرض مدينة السلام، ورسائل إلى جماعـــة فـــي الأرصـــاد، وغيرها[7]، وقد اعتمد عليه المأمون حين قرّر استحداث مرصد في الشماسية لرصد

---

(1) فيليب حتي: تاريخ العرب: ٢٧٣، ٤١٠، بروكلمان ١/ ٢٠٢، أسعد طلس: النظامية: ١٥.

(2) ابن النديم: ٢٤٨، صاعد الأندلسي: ١٠٣، القفطي: ٢١٩، ٢٤٢، ٢٧١، ٣٥٧.

(3) الفهرست: ٣٣٣.

(4) الفهرست: ٣٣٣.

(5) السابق والصفحة.

(6) ابن العبري: ٢٣٧.

(7) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤/ ٣١٨، الفهرست: ٣٣٤.

حركات النجوم، مع نخبة من العلماء[1] وممّن كانوا يعملون مع يحيى بن أبي منصور في بيت الحكمة أبناء موسى بن شاكر[2]، ومن المنجمين الذين كانوا يعملون في بيت الحكمة أيضاً في زمن المأمون: سند بن علي اليهودي منجم المأمون، كان يهودياً وأسلم على يد المأمون، كان منجماً وعمل في جملة الراصدين، بل كان على الأرصاد كلها، وله من الكتب: كتاب المنفصلات والمتوسطات، وكتاب الحساب الهندي، وكتاب الجمع والتفريق، وكتاب الجبر والمقابلة، وغيرها[3] وحبش بن عبد الله المروزي الحاسب، أحد أصحاب الأرصاد، له من الكتب: كتاب الزيج المأموني، وكتاب الأبعاد والأجرام، وكتاب عمل الاسطرلاب، وغيرها[4]، والحسن بن إبراهيم الأبح، ألف كتاب الاختيارات للمأمون، وله كتاب المطر، وكتاب المواليد[5]، وأبو معشر جعفر بن محمد البلخي له في الرصد كتب كثيرة[6] وذكر القفطي[7] أن له مؤلفات كثيرة عن النجوم والمواليد والأزياج، ومن العلماء البارزين عبد الله بن سهل بن نوبخت المنجّم، كان كبير القدر عند المأمون، وكان المأمون لا يقدم إلا عالماً مشهوداً بعد الاختيار[8]، وعمر بن الفرخان الطبري الذي وصفه القفطي بقوله: "أحد رؤساء التراجمة والمحقّقين بعلم حركات النجوم وأحكامها"[9]، وكان ابن فرخان منقطعاً إلى يحيى بن خالد، ثم إلى الفضل بن سهل الذي قدّمه المأمون، فأمره بترجمة عدد من الكتب

---

(1) القفطي: أخبار العلماء: ١٤٩.

(2) القفطي: ٤٤١، ابن العبري: ٢٦٤.

(3) ابن النديم: ٣٣٤.

(4) الفهرست: ٣٣٤.

(5) السابق والصفحة.

(6) الفهرست: ٣٣٥.

(7) القفطي: ١٠٦-١٠٧.

(8) القفطي: أخبار العلماء: ١٤٩.

(9) القفطي: أخبار العلماء: ١٦١، ١٦٢.

في النجوم، وأما عمر بن محمد بن خالد المروروذي فله زيج مختصر لزيج جده خالد بن عبد الملك، وقد تولّى الرصد للمأمون مع سند بن علي، ويحيى بن أبي منصور، والعباس بن سعيد الجوهري، والعباس الجوهري هذا كان خبيراً بصناعة التسيير وحساب الفلك، وقد صحب المأمون وأمره بمباشرة الرصد مع جملة من العلماء في الشماسية(1)، ومن علماء الأرصاد أيضاً أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، له كتاب المدخل إلى علم الهيئة والأفلاك، وكتاب حول حركات النجوم، وهو كبير تضمن ثلاثين باباً(2)، ويذكر مع هؤلاء العلماء محمد بن الجهم الذي ألف للمأمون كتاباً في الاختبارات(3)، وغير هؤلاء كثير، ونقف آخراً عند العباس بن سعيد الجوهري المنجم، الذي فوَّضه المأمون بتعيين من يراهم من المنجمين الأكفياء في خدمته(4)، فاختار العباس بن سعيد سنداً السابق ذكره، ويذكر سند بن سعيد كيف جرى تعيينه وأدخل إلى المأمون بالهيئة والرسم المخصوص، قال: "عندما قرَّر العباس أن يصلني بالمأمون، أمر أن يُقْطَع لي أقبية ويُرتاد لي منطقة مذهبة، فُفرِغ من جميع ذلك من تلك الليلة، وأُدْخِلَ بي إلى المأمون، وأمرني بملازمته، وأجرى لي أنزالاً ورزقاً"(5)، ومعنى هذا أن سكن المنجمين وطعامهم وكسوتهم، كان في بيت الحكمة، وهذا أمر بدهي، حتى يكون هؤلاء بإمرة الخليفة يدعوهم متى احتاج إلى مشورتهم، وهناك كقرائن أخرى تدل على ما كان يُهَيِّئه المأمون وغيره من الخلفاء للعلماء، من ذلك أن المأمون حين أمر الفرَّاء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م): "أن يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن يُفْرَدَ في حجرة من حَجَر الدار، ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج

(1) القفطي: أخبار العلماء: ١٤٨-١٤٩.

(2) السابق: ٥٦.

(3) القفطي: ١٨٦.

(4) أحمد بن يوسف: كتاب المكافأة: ١٤١.

(5) أحمد بن يوسف: كتاب المكافأة: ١٤١.

إليه، حتى لا يتعلق قلبُه، ولا تتشوف نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصَيَّرَ له الوراقين وألزمهُ الأمناء والمنفقين"[1]. وفي زمن المتوكل عُيِّن حُنَين بن إسحاق أميناً للترجمة، فأمر المتوكل: بإصلاح ثلاث دور من دوره، التي لم يسكن حنين منذ نشأ في مثلها، ولا رأى لأحد من أهل صناعته مثلها، وحمل إليها سائر ما كان إليه محتاجاً"[2].

أهداف بيت الحكمة:

وقد صار بيت الحكمة، بعد أن توسعت مهامه، وكثر رواده، ونشطت أعماله، صار مجمعاً علمياً، وخزانة كتب، ومرصداً فلكياً، وموئلاً للمناظرات والمجادلات، وقد اتضح أنَّ مهمة بيت الحكمة لا تقتصر على شأن واحد، وإنما تتكفل بمهام كثيرة، منها:

جمع الكتب وترجمتها وشرحها والتأليف في موضوعاتها، وإقامة فريق من المنجمين إقامة دائمة في بيت الحكمة، ليكونوا قريباً من الخليفة، يجيبون عن تساؤلاته في التنبُّؤ وما تقول النجوم.

بالإضافة إلى اجتماع العلماء، وعقد مجالس المناظرات والمجادلات التي نشأت في ذلك العصر، ومن ذلك قضية القول بخلق القرآن.

وربما كان الخليفة المأمون يحضر تلك المجالس التي تقوم على المناظرات والمجادلات، ومن دلائل ذلك ما ذكره ابن تغري بردي، قال: "وفي سنة (٢٠٩هـ-٨٢٤م) قرَّب المأمون أهل الكلام، وأمرهم بالمناظرة بحضرته، وصار ينظر فيما يدلُّ عليه العقل، وجالسه بشر بن غياث المريسي، وثمامة بن الأشرس، وهؤلاء الجلوس"[3]، وأين تكون هذه المناظرات العلمية إن لم تكن في بيت الحكمة موئل العلماء ومجتمعهم.

---

(1) البغدادي: تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٠.

(2) ابن أبي أصيبعة ١/ ١٩٦.

(3) النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٧.

ومعنى هذا أن بيت الحكمة صار في زمن المأمون أكاديمية علمية فيها أنـواع العلوم والفنون، من ذلك ما يُذكَر أنَّ أولاد شاكر المعـروفين باهتمامـاتهم الفلكيـة والرياضية كانوا يعملون في بيت الحكمة، وفي هذا البيت أقسام كثيـرة ومتنوعـة، منها للترجمة ولها أقسام: لليونانية، والفارسـية، والهنديـة، والسـريانية، وهنـاك مواضع للتأليف، وأماكن للبحث الفلكي، والرصد العلمي، وقد توصل العلمـاء فـي بيت الحكمة إلى ابتكار الجبر والمقابلة، أمَّا أولاد شاكر فاستطاعوا أن يقيسوا محيط الأرض، وذلك عن طريق قياس دائرة نصف النهار في صحراء سـنجار، وكـان تقديرهم لها قريباً من الطول الحقيقي لها(1).

نفقات بيت الحكمة:

لم نقف على ذكر واضح لمصروفات بيت الحكمة التي هـي مركـز للعلـوم والترجمة والتأليف والمراصد الفلكية، وكان بعض العلماء يقيمون في هـذه الـدار وتخصَّص لهم أماكن للعمل والراحة والنوم، وفيها كل ما يحتاجه المرء من طعـام وشراب ورواتب، وقد مرَّ بنا أن المأمون كان يعطي حنين بن إسحاق وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً، وكان هناك بالإضافة إلى هؤلاء العلماء، نُسَّاخ ومجلدون وخدم، ونستطيع أن نستنتج من مصروفات الخزائن الأخرى كخزائن الوزراء في زمن المأمون أو بعده، فنجد أن ابن أبي أصيبعة يذكر: "أنَّ بني شاكر محمد وأحمد والحـسن، كـانوا يرزقون جماعة من النقلة، منهم حُنين بن إسحاق، وحُبَيْش بن الحسن، وثابت بن قـرة، وغيرهم، في الشهر نحو خمس مائة دينار للنقل والملازمـة"(2)، وكـان الـوزير محمد بن عبد الملك الزيات في زمن الواثق يعطي للنقلة والنـساخ حـوالي ألفـي دينار(3).

---

(1) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام: ٦٥.

(2) طبقات الأطباء ٢/ ١٤٣.

(3) طبقات الأطباء ٢/ ١٧٦.

وقياساً على هذا فلا بدَّ أن تكون رواتب النقلة والنساخ في بيت الحكمة مبالغ كبيرة جداً، بالإضافة إلى مصروفات الورق والحبر وإعاشة المقيمين وما إلى ذلك.

خلاصة ونظرة عامة:

وخلاصة ما يقال في أبرز سمات بيت الحكمة ومعطياته:

١. لم يكن بيت الحكمة خزانة كتب كالخزائن الأخرى، بل كان مؤسسة علمية للبحث والترجمة والإرصاد.

٢. كان معنى الحكمة الذي ارتبط بهذه المؤسسة يعني الفلسفة، ولذلك كان أكثر اهتمام المأمون بالعلوم الفلسفية، وترجمة الكتب الفلسفية اليونانية، ثم الاهتمام بالمقام الثاني بالعلوم الطبيعية، كالطب والفلك والنجوم والهيئة.

٣. لم تحدد المصادر موقع بيت الحكمة، وقد يكون ملحقاً بقصر الخليفة.

٤. كانت الترجمة من أبرز مهمات بيت الحكمة، ولذلك وجدت فيه أقسام ومواضع لكل لغة، فقسم للترجمة من اليونانية أو السريانية، وقسم للترجمة من الفارسية، وآخر للترجمة من الهندية أو العبرية، وهكذا.

٥. كان لكل قسم من أقسام بيت الحكمة سواء للترجمة أو التأليف مشرف أو مسؤول، ومعنى هذا كانت هناك تخصصات محدَّدة.

٦. وكان منصب صاحب بيت الحكمة هو المنصب الكبير وبيده زمام الإدارة، ويتبعه مشرفو الأقسام الأخرى.

٧. كان هناك مرصد تابع لبيت الحكمة، وكان المأمون مهتماً بالمرصد، يقول ابن النديم: إن آلات الرصد كانت تعمل في مدينة حرَّان ثم اتسعت صناعتها في الدولة العباسية منذ أيام المنصور إلى وقتنا هذا، فإن المأمون لما أراد الرصد تقدم إلى خَلَف المروذي فعمل له ذات الحلق[1].

---

(1) الفهرست: ٣٤٢.

٨. كان في بيت الحكمة حُجَر خاصة لإقامة العلماء ومواضع لعملهم، مع توفير الخدمة وأسباب العيش.

٩. رُصدت لبيت الحكمة ميزانية كبيرة بحيث وفرت للعاملين مرتباتهم ومصروفات كثيرة للإقامة والطعام والخدمة، وأموال لتغطية مستلزمات الوراقة والنسخ والتجليد والخط والتذهيب وما إلى ذلك. وقد ذُكِر من النساخين المشهورين علاّن الشعوبي الذي كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة[1]، وعُرِف من المجلدين في بيت الحكمة زمن المأمون ابن أبي الخريش[2]، وهناك خطاطون مشهورون في بيت الحكمة أيضاً[3].

علماء بيت الحكمة:

كان بيت الحكمة مباءة للعلماء الذين أثروا الفكر وأغنوا الحضارة العربية، وقد استطاع بيت الحكمة بوصفه جامعة امتدَّ عطاؤها على مدى أربعة قرون، منذ زمن المنصور إلى الاجتياح المغولي ونهب الكتب وحرقها، ومنها كتب بيت الحكمة، قد شجعت العلماء على العطاء تأليفاً وترجمة، وعاش هؤلاء العلماء في ظلال بيت الحكمة وخيراته، فأينع بعلوم كثيرة ممدودة الأغصان، في الطب والفلك والرياضيات والطبيعة وعلوم العربية والعلوم الشرعية وغيرها، ولا بأس أن نجمل ما تقدم ذكره من أعلام العلماء في بيت الحكمة، فقد ازدهر في دوحة بيت الحكمة، وازدهر بيت الحكمة بهذه الكوكبة من العلماء، وكان أبرزهم على مدى سني بيت الحكمة[4]:

---

(1) الفهرست: ٦٥.

(2) الفهرست: ١٢.

(3) الفهرست: ١١.

(4) راجع الجميلي: حركة الترجمة: ١٦٣-٢٣٧.

أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري (ت ١٦١هـ/٧٧٧م)، مترجم السند هند زمن المنصور، وجرجيس بن جبريل، وبختيشوع بن جرجيس (ت ١٧١هـ/ ٧٨٧م)، وسلم صاحب بيت الحكمة وأحد رؤسائه زمن المأمون، ويحيى بن البطريق (ت ٢٠٠هـ/ ٨٢٥م)، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، ويوحنا بن ماسويه رئيس بيت الحكمة (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، والحجاج بن يوسف ابن مطر الكوفي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)، والفضل بن سهل بن نوبخت، والحسن بن سهل بن نوبخت، وعلان الوراق النسابة، وحنين بن إسحاق العبادي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) رئيس بيت الحكمة، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، وسلمون بن بنان، ومحمد بن عبد الملك الزيات (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)، وإبراهيم بن عبد الله النصراني السرياني المترجم، وأحمد بن يحيى البلاذري، وإسحاق بن أبي الحسن بن إبراهيم، وعلي بن يحيى المنجم (منتصف ق٣ هـ)، وأبو حفص عمر بن الفرخان، وحبيش بن الحسن، وعلي بن موسى بن شاكر، وأحمد بن موسى بن شاكر، والحسين بن موسى بن شاكر، وإبراهيم بن الصلت الفلكي، وداود بن حنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين بن إسحاق (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، ولوقا بن إسرافيون، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)، وأحمد بن الطيب السرخسي البغدادي، وقسطا بن لوقا (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي(ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، ومتى بن يونس (ت ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م)، وسنان بن ثابت (ت ٣٣١هـ/ ٩٣٤م)، وأبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، ويحيى بن عدي (ت ٣٦٤هـ/ ٩٦٤م)، وابن النديم صاحب الفهرست (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، وعيسى بن زرعة (ت ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧م)، وأبو سليمان المنطقي (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وأبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، وابن مسكويه (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، وأبو الفرج عبد الله بن الطيب البغدادي (ت ٤٣٥هـ/ ١٠٣٤م)، وأبو العلاء المعري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، والحسن بن بطلان المتطبب (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦١م)،

وابن أبي الحديد المعتزلي عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٧م)، بالإضافة إلى مئات من طلبة العلم الذين الذين كانوا ينهلون ويجتنون من ثمار بيت الحكمة.

نهاية بيت الحكمة:

بدأ اسم بيت الحكمة يتضاءل، ويكاد يختفي بعد وفاة المأمون ومجيء المعتصم، وانتقال الخلافة إلى سامراء، ولم يعد يذكر بيت الحكمة إلا باسم خزانة كتب المأمون، أو مكتبة المأمون، فقد ذهبت صفته العلمية، وخبا ضوؤه، بعد أن كان يحفل بالعلماء والمترجمين والمنجمين، وكانت عناية الخلفاء بالعلماء بعد المأمون قد انحطت وتفاوتت، إلا ما كان من عناية المتوكل بالعلماء ورعايتهم، ورصد الهبات والأموال لبيت الحكمة، ولكن بقية الخلفاء لم يكن لهم اهتمام بالعلم، إلا القلة القليلة، فقد شغلتهم السياسة وتدهور أحوال الدولة، وسيطرة الجند التركي، ولم يعد يذكر من بيت الحكمة إى خزانة، وحتى هذه الخزانة أو المكتبة، لم يعد لها ذكر في مصادر التراث بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[1].

ولعل آخر ذكر لبيت الحكمة يرد عند ابن النديم في القرن الرابع[2] عند حديثه عن القلم الحميري، يقول: "زعم الثقة أنه سمع مشايخ أهل اليمن يقولون: إن حميَر كانت تكتب بالمسند على خلاف أشكال ألف باء وتاء، ورأيت أنا جزءاً من خزائن المأمون ترجمته: ما أمر بنسخه أمير المؤمنين المأمون عبد الله، أكرمه الله من التراجم، وكان في جملته القلم الحميري، فأثبت مثاله على ما كان في النسخة"[3]، ويبدو أن بيت الحكمة قد انطفأ توهجه بعد المأمون، وإن بقي مستمراً في عهود الخلفاء العباسيين، ولكن دون عناية، وبقي كخزانة كتب، ثم كانت نهايته مع خزائن الكتب الإسلامية الأخرى في العراق عند غزو المغول وحرق الكتب

---

(1) ابن النديم: ٥، ١٩، الخطيب البغدادي: ١٠/ ٣٩١.

(2) ألف ابن النديم كتابه سنة ٣٧٧ هـ.

(3) الفهرست: ٨.

وتغريقها، ويتضح ذلك من قول القلقشندي عند كلامه عن مصير خـزائن الكتـب الشهيرة في الإسلام، يقول: "فقد كان للخلفاء والملوك في القديم مزيد اهتمام، وكمال اعتناء، حتى حصلوا منها على العدد الضخم، وحصلوا على الخزائن الجليلة، ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن؛ إحداها خزانة الخلفاء العباسـيين، فكان فيها من الكتب ما لا يُحصى كثرةً، ولا يقوم عليه نفاسةً، ولم تزل على ذلـك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقتلَ ملكُهم هولاكو المستعصمَ آخر خلفـائهم ببغـداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وعفيت آثارها"[1].

وهكذا خبا نور بيت الحكمة الذي ملأ الحياة العلمية طيلة عهود العباسيين منذ زمن المنصور وحتى بعد وفاة المأمون، وكان بيت الحكمة مناراً زاهياً للحـضارة العربية الإسلامية التي ما زال صداها يتردد في أسماع الزمان، وفـي كثيـر مـن أقطار الأرض.

(1) صبح الأعشى ١/ ٤٦٦.

الفصل الثاني

الخيل والفروسية في المؤلفات العربية

الخيل والفروسية في المؤلفات العربية

الخيل في حياة العربي:

لم تعن أمة من الأمم بالخيل عناية العرب بها، فقد أحبها العرب وعنوا بهـــا، وبالغوا في تربيتها وترويضها وبيطرتها، وحافظوا على أنسالها وأنسابها، وأحلوها من نفوسهم مكانة لم يحتلها حيوان آخر قط، ذلك أن طبيعة الحياة العربيـــة حيـــاة فروسية، وقد كانت الصلة بين العربي والفرس صلة مصيرية، ولذلك كانت الخيـــل أقرب المخلوقات إلى نفوسهم، وهي بعض من الأسرة، وربما كانت أفضل وأعز ما في الأسرة.

وموطن الخيل الجزيرة العربية في نجد وعسير واليمن، وقد كانـــت الجزيـــرة قديما تحفل بالمياه والزرع والخصب، وكانت مرتع الناس ومرعى الحيوان، وكانت المناطق الصحراوية الآن خصبة مأهولة بالناس والحيوان منذ عـــصور مـــا قبـــل التاريخ، وقد أثبتت الكشوف الأثرية صحة هذا الرأي[1]، وليس صحيحاً ما يقال من أن الخيل نشأت خارج الجزيرة، ثم أدخلت إلى فلسطين وسورية من الشمال الغربي لبلاد العراق إبان غزو المديانيين في القرن الحادي عشر قبـــل المـــيلاد، أدخلهـــا – فيما يزعمون- الهكسوس الرعاة من سورية إلى مصر، ومنهـــا إلـــى الجزيـــرة العربية[2]، وكيف يكون موطنها في الشمال الغربي من العراق وهي مناطق جبلية، والخيل موطنها السهول.

وعروبة الخيل وأصالتها وقدمها أمر تؤكده المـــصادر العربيـــة، والأحاديـــث النبويـــة الشريفة، ففي كتب الحديث أن: "أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، ولذلك سُـــمِّيَتْ

---

(1) الدقس: وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ٣١.

(2) حتي: تاريخ العرب ص ٢٧.

بالعِراب، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش"[1]، وقيل في أول خلقها: "أول ما خلق الله من الخيل، خلق فرساً كميتاً، وقال عز وجل: خلقتك عربياً، وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق، والغنائم تقاد على ظهرك، والخير معقــود بناصيتك"[2]، ونقل عن رسول الله ﷺ قوله: "اركبوا الخيل فإنهــا ميــراث أبــيكم إسماعيل"[3].

وسميت الخيل عرابا لأنها عربية، ففي حديث سطيح: "تقود خيلا عِرابــا، أي عربية منسوبة إلى العرب"[4]، وقد فرقوا بين الناس والخيل، فقالوا في الناس: عرب وأعراب، وفي الخيل: عِراب، والإبل العراب والخيل العِــراب خــلاف البَخَــاتي والبراذين، ويقال: أعرب الرجل إذا ملك خيلا عِرابا، أو إبلا عِرابا أو اكتسبها فهو مُعْرِب، قال النابغة الجعدي[5]:

ويصْهَلُ في مثْلِ جَــوْفِ الطــوِى　　　صَــــــهيلا يُبَــــــينُ للمُعْــــــرِبِ

أي: إذا سمع صهيله من له خيل عِراب، عرف أنه عربــي. والتعريــب: أن يتخذه فرساً عربياً، ورجل مُعْرِب: معه فرس عربي، وفــرس مُعْــرِب: خلــصت عربيته[6].

كل هذه الأقوال والتسميات تبين عروبة الخيل وأصالتها وقدمها، ولولا ذلك ما استخدمت هذه التسميات في اللغة منذ القديم، ولو كانت الخيل طارئة مــن خــارج البيئة، لبقيت في اللغة إشارات إلى الأصل القديم.

---

(1) ابن الأثير: جامع الأصول ٥/٤٥، الدميري: حياة الحيوان ١/٤٤١، وانظر الرسولي: الأقوال الكافية، فصل في ذكر أوائلها ص ١٠٢ وما بعدها.

(2) الدميري: حياة الحيوان ١/ ٤٤، والرسولي: الأقوال الكافية ص ١٠٢.

(3) المصدر السابق والصفحة، وابن الأثير: جامع الأصول ٥/ ٤٥.

(4) ابن منظور: اللسان (عرب).

(5) النابغة الجعدي: شعره ص ٢٣، واللسان (عرب).

(6) ابن منظور: اللسان (عرب).

في الجاهلية:

وإذا كانت الناقة رفيقة البدوي في صحرائه، يقطع بها الصحارى ويجوب بها الفلوات في أسفاره ورحيله، فإن الفرس رفيق العربي في البادية والحاضرة، فهو عدته في الحرب، ووسيلته في الصيد، وفخره في الحياة، فهو من أسباب الملك والزينة، والفخر والبطولة والفروسية، ولأمر ما اشتق لفظ الفروسية من الفرس، فالفارس صاحب الفرس، والفَراسة (بالفتح) مصدر قولك: رجل فارس على الخيل، قال الأصمعي: يقال فارس بين الفُروسة والفَراسة والفُروسية، وإذا كان فارساً بعينه ونظره، فهو بين الفِراسة (بكسر الفاء)[1].

وإذا حذق الرجل في أمر الخيل، يقال: فَرُس يَفْرُسُ وفُروسة وفَرَاسةً، ومنه حديث النبي ﷺ: "علموا أولادكم العوم والفَراسة"[2]، والفَراسة (بالفتح): العلم بركوب الخيل وركضها، من الفروسية، والحياة العربية في الجاهلية حياة بطولة وفروسية وقتال، وكان لا بد أن يكون ارتباط العربي بالفرس ارتباطه بحياته ومصيره، فهو عدته في الحرب، ومنجاته عند القتال، وبغيته عند الغنيمة، وزينته في السلم، وعلى ظهره رزقه في صيد الوحش ومطاردة الأوابد، ومن هنا جاء احتفال العرب بالخيل، وعنايتهم بها، ورغبتهم في تكثيرها، ومحافظتهم على صفاء نسلها، ومعرفتهم بأنسابها.

ومثلما كان العربي حريصاً على نسبه، فقد حرص أنساب الخيل، فعرفوا نسب كل فرس وآباءه، ولم يقفوا في ذلك عند الآباء وحسب، بل حرصوا على حفظ نسب الخيل من الأمهات، لأنها تحمل الصفات الأصيلة النقية، وقد عنيت كتب الخيل بأسماء الخيل وأنسابها، وقد حرص فريق من المؤلفين على أن يكون نسب الخيل

---

(1) ابن منظور: اللسان (فرس).

(2) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٢٨.

هو مدار تأليف الكتاب، وصار عنوان مؤلفهم (أنساب الخيل) كما فعل ابن الكلبي، وكذلك فعل الغندجاني، إذ جعل كتابه في (أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها)، ولذلك شهرت كثير من الخيل بنسبتها إلى الجد الأكبر، وبقيت أنسالها تتوارث هذا الاسم في الإسلام، ودائما يفخر الفرسان بأن أفراسهم من نسل أعوج، أو زاد الراكب، أو لاحق، أو الوجيبه، وهكذا.

ونقف في كتب الخيل والتراث على أعاجيب من حفظ الرواة لأنساب الخيل وحرصهم على أنسالها، من ذلك ما رواه الجاحظ، قال: " قاد عياش بن الزبرقان بن بدر إلى عبد الملك بن مروان، خمسة وعشرين فرساً، فلما جلس لينظر إليها، نسب كل فرس منها إلى جميع أمهاته وآبائه، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر، فقال عبد الملك بن مروان: عجبي من اختلاف إيمانه أشد من عجبي من معرفته بأنساب الخيل"[(1)].

وقد صح عن العرب أنهم كانوا يجعلون الفرس ندا للوليد أو الشاعر، وكانوا يحتفلون بولادة هذه الندائد الثلاثة، يقول ابن رشيق: "كان العرب لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"[(2)]. وقد بالغ العرب بالعناية بالخيل وصيانتها وإكرامها، يقول أبو عبيدة: " لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها ولا تكرمه، صيانتها الخيل وإكرامها لها، لما كان لهم فيها من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم، حتى إن كان الرجل من العرب ليبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقيه المحض، ويشربون الماء القراح، ويعيِّر بعضهم بعضاً بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها، ويذكرون ذلك في أشعارهم"[(3)]. ومن صور هذه العناية والصيانة: الإيثار على النفس، وتسويته

---

(1) الجاحظ: البيان والتبين ١/ ٣٠٥.

(2) ابن رشيق: العمدة ١/ ٦٥.

(3) أبو عبيدة: كتاب الخيل ص ٢.

بالأبناء، وتفضيله على العيال، لأنه عدة الحرب، وعليه الفوز والنجاة، يقول أبو مكنف زيد الخيل بن مهلهل الطائي في فرسه الهطال[1]:

أُقَرّبُ مَرْبَطَ الهطال إني	أرى حرباً تُلَقحُ عن حِيالِ
أُسوِّيه بمكْنفَ إذ شتَونا	وأُوثِرُهُ على جُل العِيالِ

وأي مكانة يحتلها هذا الفرس الذي يقرب ويجلل عند الشتاء، ويُفَدى بالنفس، ويُسوى بالأبناء، وما كان قول زيد الخيل هذا بدعا أو فلتة من الفلتات، بل هو رأي الكثير من الفرسان في الجاهلية يرددونه في أشعارهم ويفخرون بالمجاهرة به، من ذلك قول خالد بن جعفر بن كلاب في فرسه حذفة[2]:

أريغوني إراغَتَكُمْ فإني	وحَذْفَةَ كالشَّجَا تحتَ الوريدِ
أسَويها بجارِىَ أو بجَزءٍ	وأُلحِفُها رِدَائيَ في الجليدِ

بل هم يُؤثرونها على أنفسهم ويفدونها بما يملكون، وقد يضحى الفارس بحياته وقاية لفرسه، وكيف لا يضحى لأحب حبيب وأدنى قريب، كما يقول ثعلبة العبدي في فرسه عَرِيب[3]:

إن عَرِيباً وإنْ ساءنَي	أحب حبيبٍ وأدْنَى قريبِ
سأجعلُ نفسي له جُنةً	بشاكي السلاح نهيبٍ أريب

وفكرة المحب والحبيب المتبادلة بين الفارس وفرسه، تتكرر لدى الفرسان، ويعززها مالك بن نويرة الذي يؤثر فرسه بلبن الإبل، ويدفئه بالجل، ويبذل له ما يستطيع، كما يعطي المحب الموسع[4]:

---

(1) ابن هذيل: حلية الفرسان ص ١٥٩.

(2) ابن الكلبي: أنساب الخيل ص ٦٦، ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٧٥.

(3) الغندجاني: أسماء خيل العرب وفرسانها ص ١٧٥.

(4) أبو عبيدة ص ١٢.

داويتُـــهُ كـــل الـــدواءِ وزدتُـــهُ بَذْلاً كما يُعْطي المُحب المُـــوْسعُ

فلهُ ضَرِيبُ الـشوْلِ إلا سُــــوْرَهُ والجُـــل فهـــوَ مُلَبَـــبٌ لا يُخلَـــعُ

وليس أشد على الفارس من أن يرى الخيل جائعة أو مهانة، فإن في ذلك عاراً وسُبة، فالخيل عز القبيلة، وفي إكرامها إكرام النفس، وحماية للأهل والعشيرة، لأنها تخوض الحروب، وتقاتل كما يقاتل الفرسان، وإنها -كالسيوف- معاقل القوم، وذلك قول لبيد[1]:

معاقِلُنَـــا التـــي نـــأْوي إليهـــا بنـــاتُ الأعوجيـــةِ والـــسيوفُ

والخيل وقاية للنفس إذا جَد الجد وقامت الحرب، ومتى أكرمها المرء فقد أكرم نفسه، وكذلك يقول أحد فرسان بنى عامر[2]:

متى تُكْرِمُوها يُكْرِمُ المـــرءُ نفـــسَهُ وكل امرئٍ من قومه حيـــثُ ينـــزِلُ

بنـــى عـــامرٍ إن الخُيـــولَ وقَايَـــةٌ لأنْفُسِـــكُمْ والموتُ وقتٌ مُؤجـــلُ

والشواهد كثيرة على إعزاز الخيل وإكرامها، وإيثارها بالطعـــام والـــشراب، وسقيها اللبن، وإسقائها الماء الدافئ في الشتاء، وتدفئتها، ويحرصون كل الحـــرص على خدمتها وتنظيفها ورياضتها وعلاجها، وما إلى ذلك مـــن صـــنوف الإعـــزاز والإكرام والعناية، ولذلك فهم يضنون بها، ولا يعيرونها لأحد، ولا يبيعونها مهمـــا غلا ثمنها، رغم حاجتهم إلى المال، وقد يبلغ ببعضهم بأن يجعل بيع فرسه مستحيلاً مهما نزلت به من أحداث وحاجات، يقول القتال البجلي في فرسه الشهباء[3]:

---

(1) لبيد: ديوانه ص ٣٥١.

(2) أبو عبيدة ص ١٢، ابن هذيل: حلية الفرسان ص ١٧٦.

(3) الغندجانى ص ١٣٨.

لا تُقصيا مَـرْبَطَ الـشهباءِ مُنْتَبَـذاً بخَلْوَةٍ إن رَيْـبَ الـدهرِ مَرْهُـوبُ

وقَرباها إنـي لـن تَمَـس يـدي يداً ببَيْـع لهـا مـا حَنـتِ النيْـبُ

وكانت المرأة كثيراً ما تغار من هذه الخيل، وهي ترى عناية الزوج منصرفة إليها، واهتمامه مقصوراً عليها، وهو يفضل فرسه على زوجه، فإذا أصابتهم ضائقة سارعت الزوجة إلى إغراء زوجها كي يبيع فرسه، وفي بيعها الثراء والمال ويسر الحال، ويكون جواب الزوج الرفض، والرفض القاطع، فهو يضحى بكل شيء مما يملك إلا فرسه، وكذلك يصور المقْعَد بن شماس السعدي في حواره مع زوجه التي تغريه ببيع فرسه كَنْزَة، كي تكتسي وترفل بالريط[1]:

أتـأمُرُني بكَنْـزَةَ أُم قَـشْعٍ لأشْـريها فقلـتُ لهـا دَعينـي

فلـو فـي غيـر كَنْـزَةَ آمَرتَنـي ولكنـي بكَنْـزَةَ كـالـضنينِ

أُداويهـا دَواءَ أخٍ لطيـفٍ إذا خَمص الوِطـابُ مـن الحَقـينِ

فـلا وأبيـكِ لا أحبـو خلـيلاً بكَنْـزَةَ مـا حَيِيـتُ فـلا تَهُـوني

رأتْ جاراتهـا خُـدِّرْنَ رَيـطاً وأُكْثِـرَ فـوقَهُن مـن العُهُـونِ

وما تزال المرأة تغرى زوجها في بيع فرسه، ويتجاوز الإغراء إلى اللجاجة، فلا يكون جواب الفارس إلا الصد والممانعة، فالتهديد بالطلاق إن لم تمسك عن لجاجتها، وتطليق الزوجة أهون على الفارس من التفريط بفرسه، وكذلك يقول عُيينة ابن أوس المالكي فارس النعامة[2]:

ولستُ بشاريهن مـا لـم تُطَلَقـي ولو لُمْتنـي أو لامنـي لـكِ لائِـمُ

هذا على الرغم من أن أثمان الخيل كانت تغرى النساء لغلاء أثمانها، وأنها تجلب الغنى واليسر والرخاء، فقد كان ثمن الفرس يبلغ عشرة آلاف درهم، وهو ثروة طائلة في ذلك الوقت، يقول ابن الأعرابي في بلعاء فرس الأسود بن رفاعة:

---

(1) ابن الكلبي ص ١٠٠، ابن هذيل ص ١٦٢.

(2) الغندجاني ص٢٤٧.

"باع سخلة منها بعشرة آلاف من خليفة بن واثلة"[1]، وذكر ابن الكلبي: "أن عمر ابن الخطاب اشترى فرساً بعشرة آلاف درهم، وكانت من نجل الغبراء فرس قيس ابن زهير"[2]، وقد يجاوز ثمن الفرس هذا المقدار بكثير، فقد روى البيهقي في سننه في كتاب البيوع: "أن عبد الرحمن بن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضي الله عنهما فرساً بأربعين ألف درهم"[3]، وقد بلغت أثمان الخيل الأصيلة في العصور الأموية والعباسية مبالغ طائلة، هي أضعاف هذه المبالغ المذكورة، ولم تكن أثمان الخيل هذه لأنها سلعة تجارية أو مالاً من المال، بل لأن الفارس يرى في فرسه رفيق الحياة المغامر معه في سبيل النصر والبقاء، ويربطهما مصير واحد وهدف مشترك، ولذلك فإن الفارس يحمي فرسه ويقاتل في سبيله، كما يحمي الفرس فارسه ويصبر على ألم الطعن وضربات السيوف، وقد صور هذه الحال فارس بني عبس شداد بن معاوية أبو عنترة العبسي، إذ يقول في مديح فرسه الأغر[4]:

جزى اللهُ الأغر جزاءَ صِدقٍ ... إذا ما أُوقِدَتْ نارُ الحروبِ

يقيني بالجبينِ ومَنْكِبَيْهُ ... وأحميهِ بمُطَّرِدَ الكُعُوبِ

وأُدفِئُهُ إذا هبت شَمَالٌ ... بَلِيْلٌ حَرْجَفٌ عند الغُروبِ

وأُكْرِهُه على الأبطالِ حتى ... يُرَى كالأرْجُواني المَجُوبِ

ألست بصاحبي يومَ التقَيْنا ... بسيفَ وصاحبي يومَ الكَثِيبِ

وقلت: (يقول في مدح فرسه)، نعم، والخيل تُمدح كما تمدح الرجال، وتُرثى كما يرثى الصاحب والأهل والولد، ولم يكن وصف الخيل إلا مديحاً لها، وإعجاباً بها، وعشقاً لها، ولأمر ما اشتهر مجموعة من شعراء الجاهلية وفرسانها بوصف

---

(1) الغندجاني ص ٩٠.

(2) ابن الكلبي ص ١١٦.

(3) الدميري: حياة الحيوان ٢/ ١٥٥.

(4) الغندجاني ص ٣٢، وتروى لعنترة في ديوانه ص ٣٢٠-٣٢٢.

الخيل، أو قل مدحها، وغلب عليهم هذا اللون، والشعراء هم أبو داود الإيادي، وهو أحد نُعات الخيل المجيدين، وطُفَيل الغنوي، والنابغة الجعدي[1]، وكان الطفيل الغنوي من أوصف الناس للخيل، ويُسمى المُحَبر لحسن شعره، وكان عبد الملك بن مروان يقول: "من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليروِ شعر طفيل"[2].

في الإسلام:

وحين جاء الإسلام ازدادت مكانة الخيل، وأصبحت عدة للجهاد في سبيل الله ونشر راية الإسلام، فالخيول تقاتل ولها سهمان، وللفارس سهم، فكان للفارس وفرسه ثلاثة أسهم، وقد كرم الإسلام الخيل وأوصى برعايتها والرفق بها وإكرامها، وهل من إكرام أكبر من أن يقسم الله سبحانه بها: قال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾[3]، وقد حث القرآن الكريم على إعداد الخيل وارتباطها للجهاد، لأنها رمز القوة والنصر، ووسيلة المجاهدين لإعلاء كلمة الله، وقذف الرعب في قلوب الأعداء، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۝٦٠﴾[4].

وقد كان حب العرب للخيل في الجاهلية غريزة تمليها عليهم طبيعة الحياة، وما جبلوا عليه من فروسية، وصاروا في الإسلام يحبونها عقيدة بالإضافة إلى الغريزة، فأصبح لهم فيها، كما يقول الجزائري: "حبان، حب من جهة الشرع، وحب من جهة الطبع، فلأجل ذلك كانت عندهم كقطع الأكباد، ويحفظونها ولو بضياع الأولاد، حتى كان الرجل يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده"[5]، ورأوا رسول الله ﷺ يحبها ويقتنيها،

---

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١٢١.

(2) السابق ص ٢٧٥.

(3) العاديات: ١–٥.

(4) الأنفال: ٦٠.

(5) الجزائري: عقد الأجياد ص ١٣–١٤.

ويرتبطها في سبيل الله، ويسابق بينها، ويعطى الفارس السابق ويدعو له، ويثني عليه، وكان عليه السلام يقرب الخيل ويحب صهيلها، ويحث صحابته على أن يباهوا بصهيلها المشركين، وجعل الخير معقوداً بنواصيها، وفيها الأجر والمغنم، روى جرير بن عبد الله ﷺ، قال: "رأيت رسول الله ﷺ يلوى ناصية فرسه بإصبعيه، وهو يقول: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنيمة"[1]، وقد يسر الإسلام في اقتنائها فأعفاها من الصدقة، وذلك لقوله عليه السلام: " ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة"[2]، وأوصى النبي بارتباطها لأنها ميراث إسماعيل، فقال: "ارتبطوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل"[3].

وفي الخيل البركة، وفي خدمتها أجر، وقد كان رسول الله ﷺ يقوم على خدمتها بنفسه، وكان يمسح وجه فرسه بثوبه، وينقى شعير فرسه، وحث المسلمين على ذلك، ويبين لهم الأجر في خدمة الخيل، فقال: "من نقى لفرسه شعيراً ثم جاءه حتى يعلفه، كتب الله له بكل شعيرة حسنة"[4]، وجعل في الإنفاق عليها أجراً وثواباً كثواب الصدقة: "إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها"[5]، وجعل رياضتها وتدريبها من الحق، فقد روى عنه ﷺ، أنه قال: "كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله"[6].

وما دامت الخيل وسيلة الجهاد، وأداة الفتح، وقوة للمسلمين، فكان لا بد من تكثيرها والمحافظة على نسلها، وقد جعل الإسلام في ذلك أجراً، وقد بين رسول

---

(1) البغوي: شرح السنة ١٠/ ٣٨٦، الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/ ٢٥٨، الدمياطي: فضل الخيل ص ٥-٦.

(2) ابن الأثير: جامع الأصول ٤/ ٦٢٣.

(3) ابن الأثير:٥/ ٤٥، وتروى: اركبوا الخيل.

(4) الدميري: حياة الحيوان ٢/ ١٥٦.

(5) المنذري: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ٢/ ٢٦٢.

(6) الدمياطي: فضل الخيل ص ٢٥، ٢٦.

الله ﷺ ذلك في قوله: "من أطرق فرساً فعقب له كان له كأجر سبعين فرساً حمل عليها في سبيل الله تعالى، وإن لم يعقب كان كأجر فرس حمل عليها في سبيل الله"[1]، ومن هنا جاء الحث على الحفاظ على إناث الخيل والاستكثار منها، لأنها وسيلة النسل والتكاثر، فقد روى أن النبي ﷺ، قال: "عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها حرز، وبطونها كنز"[2].

وقد فرق الإسلام بين اقتناء الخيل للتباهي أو الرهان أو الكِبْر في الحياة، وبين اقتنائها لتربط في سبيل الله، وتعد لتكون عزاً للدين وقوة للمسلمين، فقد ورد الحديث وفيه: "الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فما اتخذ في سبيل الله وقوتل عليه أعداؤه، وفرس الإنسان ما استطرق عليه، وفرس الشيطان ما روهن عليه"[3]، وإن فرس الرحمن المحتبس في سبيل الله، الذي يقاتل عليه أعداء الله، له مكانة كبيرة عند المسلمين، ولصاحبه أجر عظيم، جزاء العناية به، والقيام على خدمته، قال عليه السلام: "من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى، إيماناً بالله عز وجل، واحتساباً وتصديقاً بوعده، فإن شِبْعَه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة"[4]، وقد جعل الإسلام أجر من يرتبط فرساً في سبيل الله أجر شهيد، فقد روى عنه ﷺ، قوله: "من ارتبط فرساً في سبيل الله بنيةٍ صادقة أعطى أجر شهيد"[5].

وما كانت هذه العناية بالخيل، والرعاية البالغة بها لتكون، لولا الوظيفة المناطة بها في أعلاه شأن الدين والحفاظ على حوزة المسلمين، وحمل راية الإسلام في أرجاء الأرض، وبذلك وصلت راية الإسلام إلى أقصى الأرض، ووطِئتْ سنابك خيل المسلمين أرض

---

(1) الدميري: حياة الحيوان ٢/ ١٥٧.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/ ١٥٣.

(3) المنذري: الترغيب والترهيب ٢/ ٢٦١، الدمياطي: فضل الخيل ص ١٥.

(4) النووي: رياض الصالحين ص ٥١٠.

(5) ابن الكلبي: أنساب الخيل ص ١٠.

الكافرين، من الصين شرقاً، إلى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً، فكانت خيل المسلمين بحق معقوداً بنواصيها الخير، وقد جعل الإسلام للفرس من المكانة والكرامة والعزة ما للفارس، ومن هنا فقد جاءت الروايات التي تجعل للخيل العربية دعوة كدعوة المؤمنين، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ما من فرس عربي إلا يؤذن له كل يوم بدعوتين، يقول: اللهم كما خولتني منْ خولتني، فاجعلني من أحب ماله إليه"(1)، وجعل الخيل مباركة، وتتبعها البركة حيثما حلت: "إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق، ولا داراً فيه فرس عتيق"(2).

ومثلما كان إكرام الخيل في الجاهلية شرفاً، وإذلالها عاراً، فإنها في الإسلام ازدادت كرامة وعزاً، وجاءت الأحاديث في النهى عن إيذائها وإذلالها، ونهى كذلك عن امتهانها في العمل الشاق والحمل، ففي حديث مسلمة بن نفيل السكونى: "أن النبي ﷺ نهى عن إذالة الخيل، وهو امتهانها في الحمل عليها واستعمالها"(3) وروى عن النبي ﷺ أنه مسح وجه فرسه بثوبه، وقال: "إن جبريل بات يعاتبني الليلة في إذالة الخيل"(4)، وقد نهى النبي عليه السلام عن جز أعراف الخيل وهلب أذنابها، إكراماً لها ورفقاً بها، فعن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تهلبوا أذناب الخيل، ولا تجزوا أعرافها، وأذنابها مذابها"(5)، وكان ينهى عن خِصَاء الخيل لما في ذلك من التمثيل والمهانة وقطع النسل، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: "أصاب رسول الله ﷺ فرساً من جدس، حي من اليمن، فأعطاه رجلاً من الأنصار، وقال: إذا نزلت فانزل قريبا منى، فإني أتسار إلى صهيله، ففقده ليلة فسأل عنه، فقال: يا رسول الله إنا خصيناه، فقال: مثلت به، يقولها ثلاثا، الخيل معقود في

---

(1) المنذري: الترغيب والترهيب ٢/ ٢٦٢، الدمياطي: فضل الخيل ص ٢٣.

(2) الدميري: حياة الحيوان ٢/ ١٥٣، الدمياطي ص ٢٤.

(3) الدميري ١/ ٤٤٠.

(4) الدمياطي ص ٣٧.

(5) الدمياطي ص ٣٠.

نواصيها الخير إلى يوم القيامة، أعرافها أدفاؤها، وأذنابها مذابها، التمسوا نسلها، وباهوا بصهيلها المشركين"[1].

وأحاديث الرسول عليه السلام في شأن الخيل كثيرة، وكلها تدعو إلى الحفاظ على الخيل وإكرامها وترويضها وخدمتها وتكثير نسلها، وتقريبها والسرور بسماع صهيلها، فإن الخيل كانت وما تزال رمز الفروسية والقوة وأداة القتال ووسيلة النصر، وزينة في الحياة الدنيا، ظهورها حِرْز، وبطونها كنز، والخير معقود بنواصيها، وفيها الأجر والغنيمة، وبها العز والنصر، وسيعود لهذه الأمة عزها القديم، ومجدها الزائل، يوم تعود إلى فروسيتها، وتتحلى بشمائل الفرسان، فالفروسية منهج في الحياة، وبطولة وخلق كريم.

التأليف في الخيل والفروسية:

أولاً: لقد حظيت الخيل بعناية المؤلفين القدامى، فأفردوا لها الكتب والرسائل، والفصول في الكتب، وتابعهم المتأخرون في هذه العناية، وقد وصل جزء يسير مما ألف الأقدمون، وضاع كثيرهُ، وقد عرفنا من خلال الإشارات التي تذكرها كتب الخيل واللغة وفهارس الكتب بعضاً مما ألف عن الخيل والفروسية، وما جهلناه أكثر، ونذكر هنا ما أُلف في هذا الفن وما يتعلق به منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث، مراعين التسلسل الزمني ما أمكن[2]:

---

(1) أبو عبيدة: كتاب الخيل ص ٧، الدمياطي: فضل الخيل ص ٢٩.

(2) ينظر: ابن النديم: الفهرست، حاجي خليفة، كشف الظنون، والمقال النفيس للمرحوم أحمد تيمور باشا: نوادر المخطوطات وأماكن وجودها، المنشور في مجلة الهلال السنة الثامنة والعشرين١٩١٩م، وحسين نصار: المعجم العربي ص ١٢٦–١٢٧، ومقدمة كتاب الدمياطي: فضل الخيل، وياقوت: معجم الأدباء في تراجم كثيرة، والزركلي: الأعلام، في صفحات كثيرة يصعب حصرها.

❖ عمرو بن كركرة: أبو مالك، من أساتذة الخليل بن أحمد، له: كتاب الخيل.

❖ خلف الأحمر: (توفي نحو ١٨٠هـ)، له: كتاب الخيل.

❖ محمد بن الحسن: أبو عبدالله مولى بني شيبان (ت ١٨٩هـ)، له: كتاب الخيل.

❖ النضر بن شميل: (ت ٢٠٤هـ)، له: كتاب خلق الفرس.

❖ ابن الكلبى: أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ أو ٢٠٦هـ)، له كتاب الخيل، طبع باسم: (أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) نشر في ليدن سنة ١٩٢٨م، وباسم (نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) تحقيق أحمد زكي باشا، طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٦م، وأعيد طبعه في القاهرة سنة ١٩٦٥م، ولابن الكلبي أيضاً كتاب: فحول خيل العرب.

❖ قطرب: أبو علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ)، له: كتاب خلق الفرس.

❖ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، له: كتاب الخيل، طبع بعناية كرنكو في حيدر أباد سنة ١٣٥٨هـ، وكتاب أسمائها وحضرها (كتاب أسماء الخيل) (الفهرست ٥٩)، وذكرت له كتب أخرى، لعل بعضها متداخل باختلاف الأسماء، من ذلك كتاب: حضر الخيل (خصي الخيل)، كتاب صفة الفرس، كتاب الفرس، طبقات الفرسان، كتاب اللجام، كتاب السرج، مقاتل الفرسان.

❖ الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، له: كتاب الخيل، طبع بعناية هافنر في فيينا ١٨٩٥م، ثم أعيد طبعه في بغداد سنة ١٩٦٩م، ثم حققه هلال ناجي وفق مخطوطة دار الكتب الظاهرية، ونشره في مجلة المورد العدد الرابع سنة ١٩٨٣م، وللأصمعي أيضاً: كتاب خلق الفرس، وكتاب السرج واللجام.

- الكرنبائي: هشام بن إبراهيم الأنــصاري، تلميــذ الأصــمعي، لـــه: كتاب الخيل.
- الريحاني: علي بن عبيدة (ت ٢١٩هـ)، له: كتاب صفة الفرس.
- العتابي: أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب (ت ٢٢٠هـــ)، لـــه: كتاب الخيل.
- المدائني: أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله (ت ٢٢٥هـــ)، لـــه: كتاب الخيل، وكتاب الخيل والرهان.
- العتبي: أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالله بن عمرو (ت ٢٢٨هـ)، له: كتاب الخيل.
- ابن الأعرابي: أبو عبدالله محمــد بــن زيــاد (ت ٢٣١هـــ)، لـــه: كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، طبع بعناية جرجس لوى دلافيدا، ليدن ١٩٢٨م. وكتاب الخيل، وكتاب نسب الخيل.
- أحمد بن حاتم: أبو نصر (ت ٢٣١هـ)، له: كتاب الخيل.
- الشيباني: عمرو بن أبى عمرو (إسحاق بــن مــرار) (ت ٢٣١هـــ)، لـــه: كتاب الخيل.
- الجمحي: أبو عبدالله محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ)، له: كتاب الحلاب وإجراء الخيل.
- الشيباني: أبو الحسن عمر بن الحسن بن مالك، له: كتاب الخيل.
- الجمحي: الفضل بن الحباب، من رواة محمد بن سلام الجمحي، لـــه: كتاب الفرسان.
- العكلي: أبو ثروان، ذكره ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، وكان معاصراً لسيبويه، له: كتاب خلق الفرس.
- التوزي: عبدالله بن محمد (٢٣٣ هـ)، له: كتــاب الخيــل وســبقها وأسنانها وشياتها وعيوبها وإضمارها ومن نسب إلى فرسه.

❖ محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، له: كتاب الخيل.

❖ الشيباني: أبو محلم بن سعد (ت ٢٤٨هـ) له: كتاب الخيل.

❖ الضبي: أبو عكرمة عامر بن عمران بن زياد (ت ٢٥٠هـ)، له: كتاب الخيل.

❖ الخطلي (الختلي): محمد بن يعقوب ابن أخي حزام (ت ٢٥٠هـ)، له: الفروسية والبيطرة، والخيل والبيطرة، والفروسية وشيات الخيل[1].

❖ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، له: كتاب فضل الفرس على الهملاج.

❖ الكندي: يعقوب بن إسحاق (ت ٢٥٦هـ) له: كتاب في الخيل والبيطرة.

❖ الرياشي: أبو الفضل العباس بن الفرج (ت ٢٥٧هـ)، له: كتاب الخيل.

❖ ثابت بن أبى ثابت: وراق أبى عبيدة في القرن الثالث، له: كتاب خلق الفرس.

❖ ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، له: كتاب الفرس[2]، وكتاب الخيل.

❖ أحمد بن أبى طاهر: (ت ٢٨٠هـ)، له: كتاب الخيل الكبير، وكتاب مقاتل الفرسان.

❖ ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد (ت ٢٨١هـ)، له: كتاب السبق.

❖ إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك، له: كتاب الخيل[3].

❖ الأنباري: أبو محمد قاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٠٤هـ)، له: كتاب خلق الفرس.

❖ اليزيدي: أبو عبدالله محمد بن العباس (ت ٣١٠هـ)، له: كتاب خلق الفرس.

---

(1) ينظر الزركلي: الأعلام ٧/ ١٤٥، وجاء اسمه في فضل الخيل ص ٢٥: الختلي، وكتابه: الفروسية وعلاجات الدواب.

(2) قال ابن النديم: "يقع في ٤٦ باباً"، الفهرست ص ٨٥.

(3) قال ابن النديم: "رأيته لطيف"، الفهرست ص ٨٧.

- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١٠هـ)، له: كتاب خلق الفرس.
- ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، له: كتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير، وكتاب السرج واللجام، طبع الأخير بتحقيق إبراهيم السامرائي، في مجلة كلية الآداب، بغداد ١٩٧٠م.
- الوشاء: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي (ت ٣٢٥هـ) له: كتاب خلق الفرس.
- البرقي: أحمد بن أبي عبدالله بن محمد الكوفي، له: كتاب الخيل.
- لغدة: الحسن بن عبدالله (كان معاصراً للزجاج)، له: كتاب خلق الفرس.
- ابن الأشناني: أبو الحسين عمر بن الحسن بن علي (ت ٣٣٩هـ)، له: كتاب الخيل.
- القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، له: كتاب الخيل.
- النمري: الحسين بن علي (ت ٣٨٥هـ)، له: كتاب الخيل.
- الأقصرتي: محمود بن عيسى بن إسماعيل الحنفي، له: نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية(1) ابن مهرويه، له: كتاب الخيل السوابق(2).
- الزجاجي: يوسف بن عبدالله (ت ٤١٥هـ)، له: كتاب خلق الفرس.
- الغندجاني: أبو محمد الحسن بن أحمد الأسود الأعرابي (ت ٤٣٠هـ)، له: أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، طبع بتحقيق محمد علي سلطاني، بيروت ١٩٨١م.
- المعري: أبو العلاء أحمد بن عبدالله (ت ٤٤٩هـ)، له: كتاب دعاء وحرز الخيل.

---

(1) منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية باريس، وأخرى في المتحف البريطاني.

(2) ذكره ابن النديم ص ٨٨، ولم أقف على بقية اسمه ولا زمانه.

- البغدادي: أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ)، له: كتاب الخيل.
- الدقيقي: سليمان بن بنين النحوي المصري (ت ٦١٣هـ)، له: كتاب آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجياد.
- اليمني: عبدالله بن حمزة (ت ٦١٤هـ)، له: أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وما يحمد منها وما يذم. طبعت بشرح ابنه أحمد بن عبدالله بن حمزة، مطبوعات وزارة الإعلام، صنعاء ١٩٧٩م.
- اللخمي: محمد بن علي (ت ٦١٦هـ)، له: كتاب الخيل.
- ابن المستوفي: المبارك بن أحمد الأربلي اللخمي (ت ٦٣٧هـ)، له: كتاب الخيل.
- النمري: محمد بن رضوان (ت ٦٥٧هـ)، له: كتاب الخيل.
- الأحدب: نجم الدين حسن الرماح (ت ٦٩٤هـ)، له: الفروسية والمناقب الحربية(1)، والبنود في معرفة الفروسية.
- الرسولي: الملك الأشرف عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ)، له: المغنى في البيطرة.
- التاجي: محمد بن كامل (ت ٦٩٧هـ)، له: الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. طبع بتحقيق عبدالله الجبوري، الرياض ١٩٨١م، ثم ظهر بتحقيق حاتم الضامن، بغداد ١٩٨٣م، وطبع ثانية في بيروت ١٩٨٥م.
- الدمياطي: الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف (ت ٧٠٥هـ)، له: فضل الخيل، طبع بعناية محمد راغب الطباخ، حلب ١٩٣٠م.
- الصاحب: تاج الدين محمد بن محمد (ت ٧٠٧هـ)، له: كتاب البيطرة.

(1) منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية، باريس.

- ابن هذيل: علي بن عبدالرحمن الأندلسي (ت القرن الثامن هـ)، له: حلية الفرسان وشعار الشجعان، نشره مصوراً لويس مرسييه سنة ١٩٢٢م، ثم حققه محمد بن عبد الغني حسن، ط دار المعارف، مصر ١٩٥١م.
- البيطار: علي بكر بن البدر (ت ٧٠٩هـ)، له: كتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري، وكتاب علم الفروسية[1].
- بكتوت الرماح الخزندار: (ت ٧١١)، له: كتاب في علم الفروسية ولعب الرمح والبرجاس وعلاج الخيل ولعب الدبوس[2]، وكتاب كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة.
- ابن جزي: عبدالله بن محمد الكلبي (ت في القرن الثامن هـ)، له: مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال في الخيل، حققه محمد العربي الخطابي، بيروت ١٩٨٦م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبى بكر (ت ٧٥١هـ)، له: الفروسية[3]، طبع في القاهرة ١٩٤١م ثم في بيروت، دون تاريخ.
- الرسولي: الملك المجاهد علي بن داود (ت ٧٦٤هـ)، له: الأقوال الكافية والفصول الشافية، وهو كتاب في الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها ورياضتها، طبع بتحقيق يحيى الجبوري، بيروت ١٩٨٧م، وللرسولي أيضاً: كتاب الصريح في الخيل.
- البلقيني: عمرو بن رسلان بن نصر (ت ٨٠٥هـ)، له: قطر الليل في أمر الخيل[4].

---

(1) مخطوطة المكتبة الوطنية، باريس.

(2) منه نسخة في دار الكتب المصرية (فنون حربية)، وأخرى في باريس.

(3) ذكره تيمور باسم: (الفروسية المحمدية)، وقال: "وهو نادر".

(4) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية.

- العراقي: أحمد بن عبد الرحيم (ت ٨٢٦هـ)، له: فضل الخيل وما فيها من الخير والنيل.
- الحموي: ابن حجة (ت ٨٣٧هـ)، له: مجرى السوابق.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ)، ينسب له: الكنز المدفون والفلك المشحون، طبع في مصر، ط بولاق ١٢٨٨هـ.
- الطبري: علي بن عبد القادر المكي (ت ١٠٨٠هـ)، له: فوائد النيل بفضائل الخيل(1).
- البخشي: الشيخ محمد البخشي الحلبي (ت ١٠٩٨هـ)، له: رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد، طبع مع كتاب فضل الخيل للدمياطي، بعناية محمد راغب الطباخ، حلب ١٩٣٠م.
- الرملي: نجم الدين بن خير الدين الحنفي (ت القرن الحادي عشر هـ)، له: إسبال الذيل في ذكر جياد الخيل.
- الجزائري: الأمير محمد بن عبدالقادر الحسني (ت ١٣٣١هـ)، له: عقد الأجياد في الصافنات الجياد، طبع سنة ١٣٣١هـ في القاهرة، ثم في دمشق ١٩٦٣م، اختصره المؤلف باسم: نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، طبع سنة ١٣٢٦هـ.
- الحاصباني باك، له: سراج الليل في سروج الخيل، طبع في بيروت سنة ١٨٨١م.
- خوري نجيب، له: الخيل وفرسانها، طبع في لبنان سنة ١٩١٦م.

(1) ذكره الشيخ حمد الجاسر في كتابه رحلات ص ١٨٦-١٨٧، ومنه نسخة المؤلف في استانبول (نور عثمانية).

- الملك عبدالله بن الحسين: (ت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، له: جواب السائل عن الخيل الأصائل، طبع في عمان سنة ١٣٥٤هـ، ثم طبع مع كتاب عقد الأجياد للجزائري.
- قدري الأرضروملي، له: الخيل العراب، طبع في بيروت سنة ١٩٧١م.
- يوسف إبراهيم يزبك، له: الجواد العربي، التحفة الكنز، طبع في باريس سنة ١٩٨١م.

ثانياً: واستكمالاً لحصر ما ألف عن الخيل وما يتعلق بها -ما أمكن- نذكر المخطوطات التي وقفنا عليها في خزائن الكتب، منها ما هو منسوب لمؤلفه، ومنها المجهول النسبة، وكثير من هذه المؤلفات ذكرها المرحوم أحمد تيمور باشا في مقالته السالفة عن نوادر المخطوطات، والمخطوطات هي:

- فنون علم الفروسية و(الزجالة) بالدواب وأحوالها، لمجهول، في المكتبة الوطنية، باريس.
- كتاب عن علم الفروسية: لعلي بكر بن البدر البيطر(ولعله البيطار السابق ذكره).
- كامل الصناعتين في علم الفروسية والشجاعة: للطف الله الرماح، في دار الكتب المصرية.
- كراس من كتاب في الخيل وتدريبها وما يتعلق بها: لمجهول، في دار الكتب المصرية.
- سياسة الخيل والأدوية وطريقة... والأوصاف والعلامات والعلاجات والأصيل والخسيس والرديء والطيب ونحو ذلك: لقنبر، (يقال إنه فتى علي بن أبي طالب)، في دار الكتب المصرية.
- الفروسية والبيطرة: لمحمد بن يعقوب.
- الفروسية: للصوفي.

- الكمال في الفروسية، وكتاب الفروسية: للملكي السيفي كسباي.
- المخزون لأهل الفنون: لناصر الدين الطرابلسي، مأخوذ عن (كتاب الفروسية) لنجم الدين حسن الأحدب الرماح.
- الدر المطابق في علم السوابق، في الخيل وتعليمها ومعالجتها: لمجهول.
- كتاب الزردقة في معرفة الخيل وأجناسها وأمراضها: لمجهول.
- كتاب في الفروسية وركوب الخيل ومعرفة أنواعها وعللها: لمجهول.
- في الفروسية والحيل الحربية: لمجهول.
- كتاب الجهاد والفروسية وفنون الآلات الحربية: لطيبغا الأشرفي.

وأكثر هذه المخطوطات منها نسخة أو نسخ في دار الكتب المصرية، والمكتبة الوطنية بباريس، والمتحف البريطاني، وهناك مجموعات أخرى في خزائن الكتب العالمية، لم نظفر بها بعد.

ثالثاً: كتب فيها فصول عن الخيل: لم يقتصر الاهتمام بالخيل على تأليف كتب أو رسائل فيها، بل شمل ذكرها الكتب المؤلفة في علوم وفنون أخرى، فقد أفرد العلماء، علماء اللغة والأدب فصولاً أو أبواباً في كتبهم لذكر الخيل والفروسية وأخبارهما، نذكر فيما يلي أهم هذه الكتب على سبيل الاختيار، لا الاستقصاء:

- أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): في كتاب الغريب المصنف.
- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): في الحيوان، والبيان والتبيين.
- ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): في عيون الأخبار، وفي المعاني الكبير، وفي أدب الكاتب.
- كراع النمل، علي بن الحسن (ت ٣٠٩هـ): في المنتخب، وفي المجرد.
- ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ): في العقد الفريد.

- أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ): في النوادر، وفي الأمالي.
- ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ): في شرح مقصورة ابن دريد.
- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): في ديوان المعاني، وفي التلخيص في معرفة الأشياء.
- الشمشاطي، علي بن محمد العدوي (ت في القرن الرابع هـ): في الأنوار ومحاسن الأشعار.
- الاسكافي (ت ٢٤٠هـ): في مبادئ اللغة.
- الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): في فقه اللغة.
- الأسود الغندجاني (ت بعد ٤٣٠هـ): في فرحة الأديب.
- المعري، أبو العلاء (ت ٤٤٩هـ): في الصاهل والشاحج.
- الحصري (ت ٤٥٣هـ): في زهر الآداب.
- ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ): في العمدة.
- ابن سيده (٤٥٨هـ): في المخصص، وهو أوسع من كتب عن الخيل ضمن كتابه، وأحسنهم نظاما وترتيبا.
- الربعي (ت ٤٨٠هـ): في نظام الغريب.
- ابن الأجدابي (ت القرن الخامس هـ): في كفاية المتحفظ.
- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): في محاضرات الأدباء.
- الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): في ربيع الأبرار.
- ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ): في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب.
- النويري (ت ٧٣٣هـ): في نهاية الأرب.
- الدميري (ت ٨٠٨هـ): في حياة الحيوان.
- محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ): في تحرير الرواية في تقرير الكفاية.

مصادر البحث عن كتب الخيل ومراجعها

❖ ابن الأثير:مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت٦٠٦هـ).

- أصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط دمشق ١٣٨٩هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥.

❖ الأصبهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (٣٦٠هـ).

- الأغاني، ط دار الكتب المصرية، ط بولاق.

❖ الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ).

- الخيل، تحقيق هافنر، ط فيينا ١٨٩٥م، وتحقيق هلال ناجي، مجلة المورد، العدد الرابع مجلد١٢، بغداد ١٩٨٣م.

❖ ابن الأعرابي: محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ).

- أسماء خيل العرب وفرسانها، تحقيق جرجي لوي دلافيدا، ط بريل، ليدن ١٩٢٨م.

❖ تيمور: أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا (ت ١٣٤٨هـ).

- نوادر المخطوطات وأماكن وجودها، مجلة الهلال، السنة ٢٨، سنة ١٩١٩م.

- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).

❖ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط مصر ١٩٦١م.

❖ الجاسر: الشيخ حمد الجاسر.

- رحلات، ط دار اليمامة، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- معجم أسماء خيل العرب وفرسانها، القسم الأول: الخيل القديمة، ط دار اليمامة، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ الجزائري: محمد بن عبد القادر الحسيني (ت ١٣٣١هـ).

- عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ط المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٣م.

❖ الجعدي: النابغة قيس بن عبدالله (ت ٤٠هـ).

- شعر النابغة الجعدي، ط المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٤م.

❖ الجلبي: الشيخ محمد البخشي (ت ١٠٩٨هـ).

- رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد، بعناية محمد راغب الطباخ، ط حلب ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

❖ حاجي خليفة: مصطفي بن عبدالله كاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط إستانبول ١٩٤١م.

❖ حتي: فيليب حتي وآخرون.

- تاريخ العرب (مطول)، ط دار الكشاف، بيروت ١٩٦٥م.

❖ الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٥٦هـ).

- معجم الأدباء، ط دار المأمون، مصر ١٩٣٦م.

❖ ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).

- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة. بيروت.

❖ الدقس: كامل الدقس.

- وصف الخيل في الشعر الجاهلي، ط الكويت ١٩٧٥م.

❖ الدمياطي: عبدالمؤمن بن خلف (ت ٧٠٥هـ).

- فضل الخيل، بعناية محمد راغب الطباخ، ط العلمية، حلب ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

❖ الدميري: محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ).

- حياة الحيوان، ط البابي الحلبي، مصر ١٩٧٠م.

❖ الرسولي: الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف الغساني (ت ٧٦٤هـ).

- الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل)، تحقيق يحيـــي الجبـــوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م.
❖ ابن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـــ).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الـــدين عبـــد الحميـــد، ط دار الجيل بيروت ١٩٧٢م.
❖ الزبيدي: محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـــ).
- تاج العروس، ط الخيرية، مصر ١٣٠٦هـــ.
❖ الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت ١٣٩٢هـــ/ ١٩٧٢م).
- الأعلام، الطبعة الخامسة، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
❖ الطبراني: سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـــ).
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، ط بغداد ٧٨-١٩٨٠م.
❖ عبد الباقي: محمد فؤاد.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط مطابع دار الشعب، مصر.
❖ أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـــ).
- كتاب الخيل، ط حيدرأباد، الهند ١٣٥٨هـــ.
❖ عنترة العبسي: عنترة بن شداد بن معاوية (ت ٢٢ ق. هـــ/ ٦٠٠م).
- ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٧٠م.
❖ الغندجاني: الحسن بن أحمد الأسود الأعرابي (ت بعد ٤٣٠هـــ).
- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، تحقيق محمد علي ســـلطاني، ط بيروت ١٩٨٢م.
❖ فنسنك: أرند جان (ت ١٣٥٨هـــ/ ١٩٣٩م).
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ط ليدن ٣٦-١٩٦٩م.

❖ ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).

– الشعر والشعراء، تحقيق دي غويه، ط ابريل، ليدن ١٩٠٤م، وتحقيق أحمد شاكر، ط دار المعارف، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٦م.

– عيون الأخبار، ط دار الكتب المصرية، ٢٥-١٩٣٠م.

❖ ابن الكلبي: هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ).

– أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، تحقيق أحمد زكى، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٦م.

❖ لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤٠هـ).

– ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، ط الكويت ١٩٦٢م.

❖ المنذري: الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ).

– الترغيب والترهيب في الحديث النبوي، بعناية مصطفي محمد عمارة، ط دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

❖ ابن منظور: جمال الدين محمد بن المكرم الإفريقي الأنصاري (ت ٧١١هـ).

– لسان العرب، ط بيروت ١٩٦٨م.

❖ مهملات: عثمان مهملات.

– الحصان العربي، بصمات ذهبية على سلالات الخيول في أوروبا وأمريكا، ط دار الجوهرة، بيروت ١٩٨٦م.

❖ ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ).

– الفهرست، تحقيق فلوجل، ط ليبسك ١٨٧٢م، وتحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

❖ نصار: حسين نصار.

– المعجم العربي، ط دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٦م.

❖ النووي: يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ).

– رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، كتبه عبد الرحمن محمد، ضبط محمد إسماعيل الصاوي، ط مصر ١٣٥١هـ.

❖ ابن هذيل: علي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي (ت القرن الثامن هـ).

– حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط دار المعارف، مصر ١٩٥١م.

❖ الهروي: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

– غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط حيدر أباد، الهند ١٣٨٧هـ.

❖ الهيثمي: علي بن أبى بكر (٨٠٧هـ).

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

الفصل الثالث

اللغة العربية وتحديات العصر

اللغة العربية وتحديات العصر

اللغة والحضارة:

اللغة العربية هوية الأمة العربية والإسلامية وكل الناطقين بها والمعتزين بالانتماء إليها، وهي رمز اعتزاز العرب بوجودهم ووحدتهم وانتمائهم مهما تقسمت وتنابذت الدول سياسياً، وهي مرآة الفكر والحضارة والعلم، وقد أكرم الله سبحانه هذه اللغة فجعلها لغة مقدسة معجزة باقية موحدة، فأنزل بها القرآن الكريم فحفظها وجمع أهلها على لسان واحد، وفكر واحد، وحضارة واحدة، وكان من فضل الله سبحانه أن أنزل القرآن على نبينا الكريم بلفظه ومعناه، على خلاف الكتب المقدسة الأخرى التي حفظت بالمعنى فتطرق إلى لغاتها الوهن والخلاف وكثرة الروايات، ومن ثم زوال اللغة التي أنزلت فيها. ولذلك كانت العربية وما زالت وستبقى لغة الدين والدنيا، وبقيت محفوظة على مر القرون والأزمان، وصمدت لتحديات الغزاة الحاقدين من المستعمرين والشعوبيين، فكانت وما زالت أقدم لغة من لغات العالم، وليس هناك لغة عمرها كعمر العربية التي بلغ أكثر من خمسة عشر قرناً، وهي متعاقبة ومتطورة ونامية ومنتشرة، وصمدت أمام الدعوات التي تسعى إلى تقسيم لسان الأمة وكيانها عن طريق الدعوات المسمومة إلى الكتابة بعامية كل بلد وكيان، واستبدال الحروف اللاتينية بالخط العربي الجميل، الذي ساد كثيراً من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، وقد خابت –بحمد الله– كل الدعوات التي تصدت للغة العربية بسهام ظاهرها العلم والتطور، وباطنها تفتيت شمل الأمة والإجهاز على فكرها وحضارتها وتراثها، وإقامة سدود صفيقة مظلمة بين حاضر الأمة وماضيها الذي يجمعها. والهدف الأكبر الذي يسعى له سماسرة السياسة والتبشير، هو الإجهاز على الدين الإسلامي وكتابه المعجز الخالد، ولا بأس بعد ذلك –فيما يرون– أن تبقى العربية لغة الدين في بعض المساجد، فتكون لغة عبادة أثرية، كما صارت اللغة اللاتينية، لغة عدد ضئيل من القساوسة وعلماء الآثار.

لقد يئس الأجنبي الحاقد الذي يريد تفريق الأمة، والغارة على دينها وقرآنها من الغزو العسكري المكشوف، فتزيًّا بزي الناصح الحريص على اللغة من الاندثار وعدم مواكبة علوم العصر، فشخَّص التخلف في اللغة، وجند لها علماء من بلاده، وعملاء من أبناء هذه الأمة، فغسل أدمغتهم باسم العلم والحضارة والتطور، وقرَر أن داء هذه الأمة وتخلفها يكمن بوجود هذه اللغة –وهو يريد قرآنها ووحدتها وحضارتها وتراثها– فقال: إن داء هذه الأمة –وهو حريص على نهضتها فيما يزعم– يتمثل بوجود اللغة الفصحى وما فيها من صعوبة في نحوها وصرفها وعلامات إعرابها وخطها، فاقترح أن تكون لكل دولة أو دويلة لغتها الرسمية، وهي لهجتها العامية التي تنفض عنها غبار التخلف فتكتب بالعامية وبالخط اللاتيني، ويحسن بعد ذلك أن يكون التعليم باللغة الأجنبية، نبذاً للتخلف ولحاقاً بالأمم الحاكمة المتطورة، وقد وضع الحاكم الأجنبي لهذه العاميات أسساً، وأطلق أقلام صنائعه في كل بلد يروجون لهذه الفكرة، ويكتبون نماذج من هذه اللغة المزعومة قصصاً وأبحاثاً وخطابات، وكانت هذه المحاولات قد بدأت أول ما بدأت بمصر، ومصر بما فيها من قلة عميلة ومعها لبنان، سبَّاقة دائماً لنداء الأجنبي النصراني أو اليهودي، فسرعان ما يطلق السيد الغريب إشارة البدء، تنطلق أقلام وحناجر المأجورين والمتبرعين بالدعوة لهذا الجديد الغازي، ولكن كان لرسوخ الدين في نفوس الكثرة المخلصة، وجلال لغة القرآن الكريم، أن صمد الأزهر ورجاله، والمسجد ومصلوه في كل مكان في وجه هذه الغارة، فما كانت إلا سحابة صيف وانقشعت، وإن كان قد بقي منها آثار وأصداء، هنا وهناك وهنالك، وقد أيقن العدو الغازي المتخفي بلباس الإصلاح والعلم والتطور أنَّ وحدة العرب والمسلمين تكمن في لغتهم، أصل فكرهم وحضارتهم ولغة قرآنهم، لأن الوحدة السياسية منفصمة ومتهرئة، ومن السهل تدميرها، أما الوحدة اللغوية فتصمد أمام كل غزوات الغازين، وغارات المعتدين، لأن الوحدة اللغوية ركيزة صلبة من ركائز الأمة، ووحدة قائمة رغم خلافات السياسة، وهذه الوحدة عصيّة على الأجنبي والعميل والدخيل، لا يمكن

تفكيكها ما دام في العربية كتاب لا يختلف في نطق حرف واحد منه اثنان، وهو يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، ولنا في التاريخ الإسلامي مثل وعبرة، فقد انفصمت الوحدة السياسية في الدولة العباسية، فانشقت من الدولة دول، فصار خليفة عباسي في بغداد، وخليفة أموي في الأندلس، وأمير حمداني في الموصل ثم حلب، وحاكم إخشيدي ثم فاطمي في مصر، وحكام آخرون في المغرب، وكل هذه الدويلات وغيرها متنافرة متناحرة، ولكن مع كل ذلك كان يجمعها، حكاماً وشعوباً لسانٌ واحد، وحضارة واحدة، وتراث واحد، ويُتلى في كل مساجدها وبيوتها قرآن واحد، وأراد الأجنبي الحاقد أن يُغيِرَ على القرآن فلم يجرأ، ولكنه اتبع إستراتيجية الغارة على اللغة ليصل بعدها دون جهد إلى الغارة على القرآن.

وكان من أول خطط الأجنبي تشجيع العامية واللهجات المحلية، وكان في ذهن الأجنبي الغازي التجربة الأوربية حين إنشعبت اللاتينية إلى لهجات فصارت لغات معترفاً بها، وتقسمت شعوب تلك اللهجات فصارت أمماً لا يجمعها لسان ولا ثقافة ولا فكر ولا حضارة، وقامت دول متتابعة لا يجمعها جامع، فصارت الفرنسية، والألمانية، والإسبانية، وغيرها، وكانت العامية أو اللهجة في انجلترا أن حجزت بين أدبها وحضارتها، فصار الأدباء والشعراء والمثقفون في عهد شكسبير لا يفهمون الأدب الذي كتب في عهد تشوسر، وصار يترجم إلى اللغة الحديثة كأنه لغة أجنبية، وما كُتب في عهد شكسبير صار يترجم إلى الإنجليزية الحديثة، ولن تجد في مثقفي الإنجليز فضلاً عن عامتهم من يقرأ شعر شكسبير ومسرحياته إلا مترجماً إلى اللغة الحديثة، اللهم إلا فئة قليلة من المختصين بتلك اللغة، كما يختص علماء الآثار باللغات القديمة المنقرضة، وقد تنبه الفرنسيون لهذه الظاهرة فحرصوا على لغتهم من غزو اللهجات، فمنذ الثورة الفرنسية كان الفرنسيون يحذرون من خطر اللهجات في تقسيم الوطن، فقد جاء في بيان من بيانات الثورة الفرنسية قوله: "أيها المواطنون، ليدفع كلاَ منكم تسابقٌ مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد"، وكان

الراهب غريغوار يحذر ويقول: "إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظيف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة -والحالة هذه- أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين"(١)، وحتى الآن تجد الفرنسي الأصيل يحرص على لغته، وكثيراً ما ترى المثقفين حين يسأله أحد بالإنجليزية، وهو يجيدها، يجيب بالفرنسية الفصيحة، اعتزازاً بلغته، علماً بأن لغته لم تكن لغة شريفة نزل بها كتاب كالعربية، ولكن الفرنسي يعتبر اللغة وطناً وأمّاً وإرثاً حضارياً عزيزاً.

وحرصاً من الفرنسيين على إعزاز لغتهم والحفاظ عليها، والرغبة في انتشارها، فقد أصدروا سنة ١٩٩٤ قانوناً في مواده ٢، ٣، ٤ ينص على لزوم استخدام اللغة الفرنسية في البيانات (وتسمية الممتلكات والمنتجات والخدمات وتقديمها وعرضها، وكذلك في النصوص الدعائية والإعلانات المخصصة للإعلام الجماهيري، ومنها:

أ. جميع الوثائق المخصصة لإعلام المستخدم أو المستهلك الملصقات أو الكراسات، المنشورات الدعائية، الكتولوجات، وغيرها من الكتيبات الإعلامية، وكذلك إيصالات الطلبيات، وإيصالات التسليم، وشهادات الضمان وطرائق الاستعمال.

ب. قوائم وجبات الطعام والفواتير وبراءات الذمة وإيصالات الدفع وتذاكر النقل، وعقود التأمين وعرض الخدمات المالية، وكذلك طرائق الاستعمال المرفقة ببرامج الحاسب وألعاب الفيديو المتضمنة تعليمات تظهر على الشاشة أو إعلانات صوتية مصاحبة لطرائق الاستخدام)(٢)، وفرنسا الحريصة على لغتها فهي تحرص أن تنشر هذه اللغة في البلدان التي استعمرتها ففرضت لغتها بالقوة، وما زلنا نرى بلدان المغرب العربي حتى

بعد زوال الاستعمار، تتكلم وتكتب أكثرها بالفرنسية وتتعثر في العربية، وأذكر في زياراتي لتونس والمغرب فكنت كثيراً ما أعاني عند كتابة البيانات في الفندق بالفرنسية، وتُمنع ولا تُقبل الكتابة بالعربية أو الإنجليزية.

ولم يكن الألمان والإسبان أقل حرصاً من الفرنسيين على لغتهم، وعلى الرغم من كون إسبانيا من أشهر الدول السياحية، فإن التعامل في كل المجالات لا يكون إلا باللغة الإسبانية، على خلاف ما يجري في البلدان العربية، حيث تتبنى دوائر السياحة اللغات الأجنبية وتهمل العربية. ومن دواعي اعتزاز الدول الأوربية بلغاتها فإنها تحرص على تصديرها إلى الدول التي استعمرتها، وفرضها على هذه الدول المقهورة، فتكون لغة الغالب هي اللغة الرسمية ولغة التعليم، مع العمل على إزاحة وإبادة لغة الدولة المغلوبة بكل الوسائل، والشواهد كثيرة على ما جرى ويجري في المغرب العربي ومصر ولبنان وأفريقية والهند وغيرها.

ولذلك كانت الهجمة على العربية من أهداف الغزاة، وغزو اللغة أهم من الغزو العسكري، فالغزو العسكري زائل مهما طال أمده، ولكن الغزو اللغوي الذي يستهدف كيان الأمة ووحدتها وتراثها ودينها، هو سرطان يستشري على مر القرون والأزمان.

وقد بدأت هذه الهجمة على اللغة منذ الاستعمار الأوربي للبلاد العربية، متخذاً سياسة تشجيع اللهجات المحلية، والدعوة إلى العامية، والكتابة بالحروف اللاتينية، لتنقطع اللغة العربية عن ماضيها وحضارتها وتتغرب، وقد رافق ذلك التعليم باللغات الأجنبية، كما حصل في بعض البلاد العربية كلبنان ودول المغرب العربي.

الدعوة إلى العامية:

كانت الدعوة إلى العامية قضية فكرية وسياسية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وكان لها دعاة يضعون لها الأسس، ويعملون من أجلها، ويؤلفون فيها وبها، وأكثر الذين تبنوا هذه الدعوة أول الأمر من المستشرقين، وكان الاهتمام باللهجات العربية مرتبطاً بغايات استعمارية، فقد تبنت القناصل الأوربية في البلاد العربية هذه الفكرة

للتمهيد لبلدانها باستعمار البلاد العربية وحماية مصالحهم، وقد أيقنوا أن التركيز على العامية سيؤدي حتماً إلى تفرقة البلدان الناطقة بالعربية، ومن ثم إقامة كيانات مستقلة مرتبطة بالمصالح الأجنبية، ولكن هذه الدعوات لم تلقَ القبول لدى جمهور المسلمين الذين يرون أن الهجمة على اللغة العربية هي هجمة على القرآن الكريم والدين الإسلامي بكل معطياته وتراثه المشرق المتنامي(٣).

ولنقف قليلاً عند هذه الهجمة ونتعرف على بداياتها ومسيرتها:

كانت حجج القائلين بالعامية وترك الفصحى: "أن للهجات دوراً مهماً لأنها هي التي يتكلمها الناس في حياتهم اليومية، وهي التي يستخدمونها بكل عفوية في عواطفهم وأحاسيسهم دون تفكير"(٤)، وكانت بداية الدعوات التي تنادي بالكتابة بالعامية، ومن ثم استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في مصر، وكانت المناداة بالكتابة بالعامية المصرية أي تمصير اللغة العربية(٥) فتكون هي اللغة الرسمية والأدبية، وكانت مجلة المقتطف قد دعت سنة ١٨٨١م رجال الفكر والثقافة إلى كتابة العلوم باللهجة العامية، ولكنها لم تلق القبول، وكان أول من دعا بهذه الدعوة المستشرق الألماني (ولهلم سبتا) المتوفى سنة ١٨٨٣م، وكان من كبار موظفي دار الكتب المصرية في عهد الاستعمار، فألف كتاباً حوى فكرته بعنوان (قواعد اللغة العامية بمصر)، ورافق ذلك الدعوة إلى التعليم باللغة الإنجليزية، فصدر القرار الوزاري بمصر سنة ١٨٨٩ يقضي بأن تكون لغة التعليم في المدارس المصرية هي اللغة الإنجليزية، ووجهت كل البعثات التعليمية إلى انجلترا، وأغلقت مدرسة الألسن(٦).

وفي عام ١٨٩٣ دعا (ويلكوكس) -وهو مهندس للري في مصر- إلى إحلال العامية محل الفصحى في الكتابة والتأليف، وذلك في محاضرة له في نادي الأزبكية، وكان موضوع المحاضرة هو السؤال: (لِمَ لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟)، وكان جوابه: (أن العربية الفصحى، ولا شيء غيرها هي التي أماتت قوة الاختراع فينا، ولا أمل في إحيائها إلا إذا اتخذنا العامية لغة كتابة

وتأليف)[٧]. وتدعيماً لهذه الدعوة استولى ويلكوكس على مجلة الأزهر ليجعل منها منبراً للدعوة إلى العامية وإماتة الفصحى[٨]. ولما لم يجد ويلكوكس صدى لدعوته لدى الأكثرية من المثقفين تخلى عن التحرير في مجلة الأزهر، وصار بعد ذلك يهجو المصريين ويسبهم في المجلات الأوربية قائلاً: "إنهم قوم لا يعرفون قدر جنسيتهم ولا حق وطنهم ولا فضل لغتهم، ولا شرف دينهم، فهم هَمَل لا لغة لهم ولادين"[٩].

ثم أثيرت القضية سنة ١٩٠١م حين زعم (سيلدون ولمور) أحد القضاة الإنجليز في مصر أن العامية لغة مستقلة عن العربية، ووضع كتاباً بعنوان (لغة القاهرة، أو العربية المحكية في مصر) ووضع قواعد لها ودعا الناس إلى اتخاذها لغة العلم والأدب[١٠]، إلا أن هذه الدعوة لم تلقَ القبول وخلفت ضجة ساخطة، فهاجمت الصحف دعوة هذا الأجنبي الذي قصد بها تهديم اللغة العربية، وكان من نتيجة ذلك أن نظم حافظ إبراهيم قصيدته الشهيرة (اللغة العربية تتحدث عن نفسها) والتي أولها:

رجعت لنفسي فاتهمتُ حصاتي   وناديت قومي فاحتسبت حياتي

وكان من أشد المتحمسين إلى العامية من المصريين سلامة موسى، الذي نشر في مجلة الهلال سنة ١٩٠٢ مقالة بعنوان (اللغة الفصحى واللغة العامية) قال فيها: "إن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافي، ومن الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية، وإنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية على اختلاف لهجاتهم من العربية الفصحى"[١١]. وفي سنة ١٩٢٦ جدد الانجليزي وليام ولكوكس الدعوة إلى الاستغناء عن العربية الفصحى، وقدم لذلك نموذجاً لما أسماه باللغة المصرية، وذلك بترجمة أجزاء من الإنجيل بالعامية المصرية[١٢].

وكان وما زال الحُرَّاص على لغة القرآن التي تجمع شمل العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يذودون عن العربية ويرون في العاميات

-بالإضافة إلى تشتيت الأمة والتنكر لدينها وتراثها ونسيانه والانفصال عنه، والتخلي عن تراث فكري وحضاري عمره أكثر من خمسة عشر قرناً- أنها تخلو من كل تصريف وإعراب وتركيب جمل، فضلاً عما فيها من أغلاط في الإملاء، و"أنها لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي، وهي إلى ذلك مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وأساليبها ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض"(١٣)، والعامية فوق هذا وذاك: "تقبل الدخيل والمولد، واقتراف اللحن، وضعف التأليف، ومخالفة القياس، والإخلال بنطق الكلمات اختلاساً أو مطلاً وحذفاً، والتصرف بحركات الكلمة، وتسكين أواخر الألفاظ، وإلغاء الإعراب إلغاء تاماً... إلى غير ذلك من شوائب تمس صحة الكلام العربي وتشوه جماله، وتقطع صلته بالفصحى"(١٤).

وقد رافق الدعوة إلى العامية الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، ففي عام ١٩٤٤م في أثناء انعقاد مؤتمر اللغة العربية بالقاهرة، قدم عبد العزيز فهمي باشا اقتراحه أن تكتب العربية بحروف لاتينية، مبرراً دعوته بأن اللغة: "كائن كالكائنات الحية الأخرى، ينمو ويهرم ويموت مخلفاً من بعده ذرية متشعبة الأفراد" ثم يتحدث عما فعله التطور باللغة اللاتينية لغة الإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم الشعوب الأوربية اللاتينية، فيقول:

"فأتى عليها التطور فاشتقت منها الإيطالية والفرنسية والإسبانية وغيرها"(١٥)، ويريد عبد العزيز فهمي أن تصير الشعوب العربية كما صارت الشعوب الأوربية، فهو يلوم الدول العربية فيقول: "ولم يَدُرْ في خَلَدِ أي سلطة في أي بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً -يريد الدول العربية- أن تجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها لها نحوها وصرفها، وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ، وفي الكتابة معاً، تيسيراً على الناس، كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والإسبان"(١٦). ويدعو العرب أن يقتدوا بالأتراك حين كتبوا بالحروف اللاتينية. وعبد العزيز فهمي يعلم، أو لا يعلم بأن

الأتراك حين كتبوا بالحروف اللاتينية إتباعاً والتصاقاً بالأوربيين الذين ما زالوا معرضين عنهم، قد قطعوا الصلة الحضارية بين العرب والمسلمين، وتركوا النتاج الفكري العربي الإسلامي، وتنكروا للتراث العربي الإسلامي الذي يمتد خمسة عشر قرناً في عمق التاريخ، وهو تراث لم تبلغه في القِدَم أية حضارة أخرى، إلا ما يقال عن الحضارة الصينية(١٧).

ومعروف أن الخط العربي جميل ومختزل، أما الكتابة بالحروف اللاتينية ففيها تطويل للألفاظ والعبارات، وقد أعجب غير العرب بهذا الخط فاستعملوه في كتاباتهم، سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين، وقديماً أعجب ملك الروم في زمن المعتمد بالخط العربي، لما فيه من حسن وجمال وإتقان وهندسة متقنة في رسم حروفه، فقال: "ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل، وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه"(١٨).

والكتابة بالحروف اللاتينية تستوجب الإطالة والبطء، وقد لاحظ أحد المستشرقين الذين يدرّسون اللغات الشرقية في جامعة استانبول، فقال: "إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أملي عليهم من المحاضرات بالحروف العربية، وبالسرعة التي اعتدت عليها، لأن الكتابة العربية مختزلة من نفسها، أما اليوم فإن الطلبة يكتبون ما أملي عليهم بالحروف اللاتينية، لذلك لا يفتئون يسألون أن أعيد لهم العبارات مراراً، وهم معذورون في ذلك؛ لأن الكتابة الإفرنجية معقدة.... وطبيعة الكتابة العربية السهولة والوضوح"(١٩). وقد رافق هذه الدعوات دعوة أخرى، وهي أن يكون التعليم باللغة الأجنبية لمواكبة الحركة العلمية في العالم، ومعلوم أن وراء هذه الحجة أطماعاً أجنبية في تغريب الدول المستعمرَة وجعلها تابعة ولاءً وفكراً بلغة المستعمر، فقد دعا العالم الفرنسي جوليا باندا سنة ١٩٤٦ إلى إنشاء لغة غربية تجمع بين أمم لا رابطة بينها، يقول: "إذا كنا نريد أن نضمن للغرب وحدة روحية فعلينا أن نجهز الحملات في سبيل إنشاء لغة غربية

تضاف إلى لغات مختلف القوميات الغربية.... هذه اللغة يتلقنها الأولاد جنباً إلى جنب مع لغة بلادهم.... بالإضافة إلى لغتهم"[٢٠].

وتجاوزت العربية هذه الدعوات التي جاء أكثرها من المستعمرين وأعوانهم، وتعافت العربية مما أصابها من وهن في العصور المظلمة، وعادت نشطة قوية متعافية، واستطاعت أن تواكب المسيرة العلمية العالمية وما فيها من تقنيات حديثة في عصر العولمة، بفضل علمائها وباحثيها وجامعاتها ومجامعها، وإن كان الطموح يتطلع إلى بذل المزيد من العناية في وضع المصطلحات العلمية والتقنية في مختلف نواحي المعرفة باستخدام المنهجية السليمة في وضعها، واستخدام جميع الطرائق المتاحة كالاشتقاق والوضع والتعريب والنحت وغيرها، والسعي لتوحيد المصطلحات واستخدامها في المؤلفات والكتب المترجمة ووسائل الإعلام المختلفة.

ولا خوف بعد ذلك على العربية ما دام فيها ألسنة تنطق وأقلام تكتب وعقول تؤمن بجلال العربية لغة القرآن، ومعلوم أن أية غارة أو هجمة لا يراد بها اللغة من حيث هي كلام منطوق أو مكتوب، بل يراد ما وراءها من دين وتاريخ وحضارة وتراث عظيم، واللغة العربية هي لسان الدين الإسلامي، فهي التي وسعت كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وإن الدعوة إلى العامية بعد ذلك -من الوجهة الإسلامية- هي دعوة إلى هجر لغة القرآن، وإيجاد جيل مسلم من غير قرآن، وعربي من غير اللغة العربية، إن اللغة أداة التفاهم، ووحدتها طريق لكل وحدة، وهي ليست كلمات ورموزاً، بل هي مرآة لشخصية الأمة وطرائق تفكيرها، وهي منطوقة ومكتوبة بعض من كيان الأمة ومستودع تاريخها وتراثها وحضارتها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها ومثلها، ومن عرف اللغة عرف الأمة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "من عرف لغة قوم أمن مكرهم"، نعم، ومن أضاع لغته فقد أضاع نفسه، وتنكر لأمته وأصله، ولا ضير أن يتقن المرء لغة أجنبية أو لغات، بل من المحمود أن يفعل ذلك، ولكنه لا ينسلخ عن لغته ويتنكر لحضارته، وهذا ما يفعله الأوربيون الذين يرون أن لغتهم هي الأصل، ولا يستبدلون بها لغة أخرى، فلماذا يريد من يزينون لنا هجر لغتنا ما لا يريدونه للغتهم؟!.

العربية وعلوم العصر:

لقد استطاعت العربية بفضل جهود أبنائها المخلصين أن تصمد أمام تحديات وهجمات الاستعمار والتبشير والشعوبية، فخرجت من محنة تجزئة اللغة العربية إلى عاميات، والكتابة بالحروف اللاتينية، وقد مر بنا الأهداف الحقيقية من وراء ذلك، وهو الهجمة على القرآن الكريم، مهما تبرقعت الحجج بالعلم والتطور والحرص على هذه الشعوب العربية البائسة.

والتحدي الذي واجه ويواجه العربية في العصر الحاضر هو علوم العصر، فماذا كان موقف اللغة، وهل عجزت عن أن تواكب العلوم وتستوعبها تعريباً وترجمة وتأليفاً؟

لقد واجهت العربية العلوم منذ القرن الأول الهجري، واستطاعت أن تكون لغة العلوم كلها، وعبرت عن الأفكار المستحدثة، وما أن انتشرت الفتوح الإسلامية وعمَّت الأمم شرقاً وغرباً، حتى انطمست لغات أقوام كثيرة واتخذت العربية -طائعة مختارة- لغة الدين والعلم والحضارة، ووجدت الأقوام المفتوحة بلدانهم أن العربية خير لغة للعلم والحياة، فاتخذها المسلمون وغير المسلمين لغة في كتابتهم ومعاملاتهم وعلومهم.

وقد استطاعت بغداد في العصر العباسي، لكونها أم الدنيا، أن تجتذب طوائف من الأمم أحبوا العربية لغة القرآن، فشاركوا وأبدعوا في إقامة الصرح الثقافي للدولة الإسلامية، ونقلوا علوم اليونان والفرس والهند، فنشطت حركة الترجمة، ونقلت معارف كثيرة استوعبتها اللغة العربية، ثم أبدع العلماء المسلمون في هذه العلوم فألفوا بالعربية علوماً كثيرة في الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك وغيرها، ومن أمثلة ذلك جهود هؤلاء العلماء:

فقد ألف الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) كتاب (البصريات)، وأوضح فيه الوضع الظاهري للصورة المنعكسة في المرآة، وانكسار الصورة والحجم الظاهري للأشياء. وألف فيها ابن سينا كتابه المشهور (القانون في الطب)، وألف ابن زهر الأشبيلي في

الأندلس كتاب (الجراحة)، وألف ابن النفيس (ت ٦٨٧هـ) بالعربية مجموعة من الكتب، وهو أول من اكتشف الدورة الدموية قبل أن يعرفها الأوربيون، ومن كتبه (الموجز في الطب) اختصر فيه القانون لابن سينا، و(بغية الطالبين وحجة المتطببين)، و(المهذب) في الكحل، و(الشامل) في الطب وهو كبير جداً و(شرح فصول أبقراط) في الطب، و(بغية الفطن في علم البدن) وغيرها[٢١].

وفي الفيزياء ألف أبناء موسى بن شاكر في عصر المأمون كتاب (الميكانيك)، ووصف صاحب الفهرست ولعهم بالعلوم وبذلهم الأموال في سبيلها وما برعوا فيه، يقول:

"وهؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة، وبذل فيها الرغائب، وأتبعوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلد الروم من أخرجها إليهم، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السني، فأظهروا عجائب الحكمة، وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم"[٢٢]، وكتب جابر بن حيان كتبه في الكيمياء باللغة العربية.

وفي علم الرياضيات ألف محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٢هـ) كتاب (الجبر والمقابلة)، وألف محمد بن الحسن الكَرَجيُّ (ت ٤١٠هـ) كتاب (الفخري في الحساب)، وألف ابن البناء المراكشي كتاب (تلخيص أعمال الحساب)، وفي القرن التاسع الهجري ألف غياث الدين الكاشي كتاب (مفتاح الحساب) وضح فيه اختراعه للكسور العشرية، والكتاب مطبوع.

وفي الهندسة كتب أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ) كتاب (الإسطرلاب) وبالعربية كتب عمر الخيام (ت ٥١٥هـ) كتابه في الهندسة (رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس)، وهو مطبوع بمصر، وكتب بالعربية نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) كتبه في الهندسة والفلك، ومنها كتاب (الرسالة الشافية) عن الشك في الخطوط المتوازية، وقد طبع في حيدرأباد، الدكن ١٣٥٩هـ. وتواصل التأليف في العلوم باللغة العربية على مر العصور بما فيها عصور الدول المتتابعة، وما يسمى بالعصور المظلمة.

وفي العصر الحديث نشط الحرّاص على العربية وأهلها في حفظ اللغة وإزاحة ما ران عليها من عجمة وغلبة اللغات الأجنبية، فالحكم العثماني فرض اللغة التركية لغة رسمية وهي لغة الكتابة والتعليم، وجاء المستعمرون ففرضوا لغاتهم واستبعدوا اللغة العربية، فتنادى المخلصون في كل الأقطار العربية إلى إنشاء الجمعيات والمدارس الأهلية، والمجامع التي تعيد للعربية كرامتها وعزها، وتكون العربية لغة الدولة ولغة الثقافة والتعليم، والعناية بالعلوم الحديثة، ففي عهد إسماعيل في مصر أعيدت المدارس العليا التي أسسها محمد علي، وأغلقها عباس، وأصبحت مدرسة الإدارة والألسن في عهدها الجديد مركزاً للدراسات النظرية الحديثة في اللغات والقانون والاقتصاد، وأنشئت في عهد إسماعيل مدارس تعنى بالعلوم الحديثة، منها المهندس خانة سنة ١٨٦٦م، والزراعة سنة ١٨٦٧م، والفنون والصنائع سنة ١٨٦٨م، والمساحة سنة ١٨٦٨م، ومدرسة التلغراف سنة ١٨٦٨م، ومدرسة اللسان المصري القديم سنة ١٨٦٩م، ومدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢م[٢٤].

وكانت المدارس في بلاد الشام أجنبية غير إسلامية، ومدارس الحكومة العثمانية غير عربية، وكذلك الأمر في العراق، فأنشأ المواطنون العرب مدارس عربية منها: المدرسة العثمانية في دمشق للتدريس باللغة العربية، ومدارس المقاصد الإسلامية في بيروت، فأتيحت الفرصة للارتقاء الثقافي والعلمي، ونشط المثقفون العرب في استانبول وغيرها لإنشاء الجمعيات الثقافية للاهتمام باللغة العربية الفصحى، وجعلها معبرة عن الحياة الحديثة، وجعلها لغة التعليم والإدارة والجيش في الأقطار العربية من الدولة العثمانية، فكانت جمعية النهضة العربية سنة ١٩٠٧م، والمنتدى الأدبي سنة ١٩٠٩م، وجمعية العربية الفتاة سنة ١٩١١م، وجمعية العهد سنة ١٩١٣م، وقد أعلنت هذه الجمعيات في بيروت أن من أهدافها جعل العربية لغة رسمية في البلاد العربية.

وحين قامت الدولة العربية في دمشق سنة ١٩١٨م أصبحت اللغة العربية لغة الدولة ولغة التعليم، وبدأت المناداة بتعليم العلوم ومنها الطب باللغة العربية، وأنشئ

المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩١٩م واهتم بتعريب لغة الإدارة والتعليم ووضع المصطلحات العلمية[٢٥]، وبقي اهتمام العرب بالعلوم ووضع المصطلحات العلمية في أقطار من البلاد العربية، ومنها العراق الذي كان من علمائه انستانس ماري الكرملي (ت ١٩٤٧م) الذي أنشأ مجلة (لغة العرب) منذ سنة ١٩١١م، وكانت تنشر الموضوعات اللغوية والثقافية، واهتمت بنشر مصطلحات حديثة في: "الموضوعات العصرية والمدلولات العقلية والأدوات الفنية أو الصناعية والتصاوير الخيالية، والأفكار العلمية التي لا مقابل لها ولا مرادف في لساننا لهذا العهد"[٢٦]، وقد فكر الكرملي ومعروف الرصافي (ت ١٩٤٥م) في إنشاء مجمع علمي لغوي، وكان موضوع إنشاء المجامع اللغوية مطروحاً في البلاد العربية، وهو ضرورة من ضرورات الحفاظ على اللغة العربية وإحياء التراث العربي في العلوم والفنون والآداب وتوحيد المصطلحات في اللغة العربية، وكانت سورية سبَّاقة في إنشاء مجمع اللغة العربية في دمشق سنة ١٩١٩م، ومن أعمال المجمع المذكورة العناية بالآثار الإسلامية والاهتمام بالتراث العربي تحقيقاً وفهرسة، وظهرت ضمن مطبوعات المجمع مجموعة من المخطوطات المحققة بالإضافة إلى سلسلة من فهارس المخطوطات، ونشر مجموعة من الدواوين والكتب التي تعنى باللغة والنحو[٢٨].

وفي سنة ١٩٣٢م أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة، وكان من أهدافه المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المعاصرة، وتوحيد المصطلحات في اللغة العربية، وإحياء التراث العربي في العلوم والفنون والآداب، ويضم المجمع عدداً من اللجان المتخصصة بالمصطلحات، منها لجان: الطب، والكيمياء، والصيدلة والأحياء، والرياضة والهندسة، والطبيعة، والجيولوجيا، والفلسفة، والقانون، والإحصاء، والجغرافيا، والتاريخ، والآثار، والعمارة، والفنون، وألفاظ الحضارة، بالإضافة إلى اهتمام المجمع بالمصطلحات العلمية، فاهتم بتحقيق كتب التراث والمعجمات خاصة، فنشر

منها كتاب الجيم للشيباني، وديوان الأدب للفارابي، والتكملة والذيل والصلة للصغاني[٢٩].

وفي سنة ١٩٤٧م أنشئ المجمع العلمي العراقي، وجعل من أهدافه العناية بسلامة اللغة العربية والسعي لجعلها وافية بمطالب الحضارة المعاصرة، وتشجيع حركة نشر التراث العربي الإسلامي، وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب والفنون، مع عناية بالمصطلحات العلمية، فانبثقت منه عدة لجان، منها لجنة المصطلحات الطبية، وأخرى للمصطلحات الهندسية، وقد طبع المجمع عدداً كبيراً من الكتب المؤلفة والمحققة.

وفي عام١٩٧٦م أنشئ مجمع اللغة العربية الأردني، الذي يعمل كغيره من المجامع العربية على صيانة اللغة وإحياء التراث العربي الإسلامي، ووضع المصطلحات العلمية وتوحيدها، وجعل اللغة العربية تواكب متطلبات العصر الحديث في مجالات العلوم والفنون والآداب، ويستعين المجمع بالخبرات العلمية في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ووزارة التربية والتعليم، وكان من نتيجة هذا التعاون أن أصدر المجمع معجم الرياضيات الذي قام بإعداده مجموعة من أساتذة الجامعة الأردنية بتكليف من لجنة التعريب والترجمة والنشر في المجمع، ويضم المعجم مصطلحات الرياضيات التي تقابل الطالب حتى نهاية المرحلة الجامعية الأولى (خمسة آلاف مصطلح)، وهو معجم انجليزي-عربي، يذكر المصطلح ويعرفه تعريفاً موجزاً دقيقاً، ثم يذكر ما يقابله بالعربية، ويردف ذلك بالمصطلحات المتفرعة منه فيعرفها[٣٠].

وفي سنة ١٩٧٠ تم التوقيع على مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومقره في القاهرة، ويهدف هذا الاتحاد إلى التنسيق بين عمل المجامع العربية في القضايا المتصلة باللغة العربية عامة، ويعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها[٣١].

ويقوم مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالتنسيق بين الجهود العربية المختلفة في إطار خطة شاملة، وقد اتضحت فكرة التنسيق وضرورة القيام به على المستوى العربي العام لتلبية الحاجات اللغوية المعاصرة في دول المغرب التي تواجه تحدياً قوياً من قبل اللغة الفرنسية، وقد وفق مكتب التنسيق بالتعاون مع المجامع العربية إلى انجاز عدد كبير من المعاجم التي أقرت في مؤتمرات التعريب، ومن هذه المعاجم: معجم الرياضيات، ومعجم الفيزياء، ومعجم الكيمياء، ومعجم الجيولوجيا، ومعجم النبات، ومعجم الحيوان، أما المعجمات الفردية الأخرى فينشرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في مجلة اللسان العربي، أو في طبعات مستقلة، مثل معجم الفقه والقانون، ومعجم الاقتصاد، ومعجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم، وغيرها[٣٢].

وكل هذه المجامع وغيرها تسعى إلى جعل اللغة العربية تواكب العلوم العصرية وتسعى لوضع معجمات المصطلحات العلمية، وقد نشطت المجامع والمؤسسات والأفراد لإحياء التراث العلمي، ومن ثم التأليف في العلوم الحديثة إحساساً منهم بهذا التحدي الكبير الذي يواجه اللغة العربية، فنشرت كتب كثيرة من كتب التراث نشراً علمياً محققاً، من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي (ت ٢٣٦هـ)، نشره علي مشرفة ومحمد مرسي، القاهرة ١٩٣٧م.

صورة الأرض للخوارزمي، نشره متزك وهونجمان ١٩٢٩م.

الذخيرة في علم الطب لثابت بن قرة (ت ٢٨٨هـ) نشره جورجي صبحي، ط الجامعة المصرية ١٩٢٨م.

الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية (ت ٤٢٢هـ)، نشره مصطفى نظيف، ط الجامعة المصرية ١٩٤٢م.

المناظر للحسن بن الهيثم، نشره كرنكو، ط حيدر أباد ١٩٢٨م.

استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني منها، للبيروني (ت ٤٤٠هـ)، نشره أحمد سعيد الدمرداش، ط الدار المصرية للنشر، القاهرة.

القانون في الطب لابن سينا (ت ٤٢٨هـ) ١٣ جزءاً، ط بولاق ١٨٧٧م، وط طشقند ١٩٥٦م.

الشفاء، في المنطق والطبيعيات والإلهيات، لابن سينا، ط المجمع اللغوي بالقاهرة ١٩٥١، ١٩٦٥ م.

المعتمد في الأدوية لابن البيطار (ت ٦٤٦هـ)، نشره مصطفى السقا، ط الحلبي ١٩٥١م.

وكان لفضل تدريس العلوم في سورية أن ألف أساتذة جامعة دمشق كتباً في الطب، فقد ألف الدكتور مرشد خاطر سفراً في علم الجراحة من ستة مجلدات، وأوجزها في مجلدين، وألف الدكتور أحمد حمدي الخياط كتاباً في علم الجراثيم، والأستاذ محمد جميل في علم الطبيعة، والدكتور حسني سبح في الأمراض الباطنية في سبعة مجلدات، وللدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي في الكيمياء. وغير ذلك من الكتب الطبية والعلمية(٣٣). والكتب العلمية تنشر في كل الأقطار العربية من قبل العلماء العرب بالإضافة إلى حركة الترجمة العلمية من اللغات الأوربية وهي كثيرة.

وهكذا نجد أن اللغة العربية تواجه التحديات العلمية بفضل جهود أبنائها الحريصين على بقائها ومواكبتها للحركة العلمية الحديثة، وإن كانت هذه الجهود دون الطموح المأمول من اللغة العربية وأبنائها البررة الذين يدركون أن دينهم وقرآنهم يحثهم على العلم والسعي والاجتهاد في كل مناحي الحياة، والله سبحانه يرفع العلماء درجات: قال تعالى ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ المجادلة: ١١، صدق الله العظيم.

الهوامش:

١. ساطع الحصري: آراء وأحاديث في اللغة والأدب ص ٧٠.

٢. أحمد الضبيب: اللغة العربية في عصر العولمة، ط مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠١م، ص ٥٩.

٣. إبراهيم كيلاني: شخصيات وصور أدبية، دمشق ١٩٩٣م، ص ١٢٣.

٤. هارتمان بويتسين، عن مجلة التراث العربي، العدد ٧٣، ص ١٥.

٥. إبراهيم كيلاني: شخصيات وصور أدبية ص ١٢٣.

٦. عائشة عبد الرحمن: لغتنا والحيـــاة، ط دار المعـــارف، مـــصر ١٩٩١م، ص ١٠١.

٧. لغتنا والحياة، ص ١٠١-١٠٢.

٨. السابق ص ١٠٢.

٩. من مقالة لعبد الله نديم في صحيفة الأستاذ الصادرة عام ١٨٩٢م.

١٠. لغتنا والحياة ص ١٠٧.

١١. شخصيات وصور أدبية ص ١٢٤.

١٢. لغتنا والحياة ص ١٠٧.

١٣. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة ص ١٥١.

١٤. جميل علوش: مجلة الوحدة، العدد ٣٣، ٣٤، ص ٧٥، عن التراث العربي ص ٢٣.

١٥. إبراهيم كيلاني: السابق ص ١٢٥.

١٦. السابق ص ١٢٦.

١٧. السابق ص ١٣٠، والرأي لمحمد كرد علي.

١٨. عبد الفتاح الحموز: مجلة تراث، العدد ٢٤، سنة ٢٠٠٠ ص ٦٧.

١٩. السابق ص ٦٧.

٢٠. L’esprit Europeen. P 27.

٢١. الأعــلام للزركلــي، ط٥، دار العلــم للملايــين، بيــروت ١٩٨٠م، ٤/ ٢٧٠-٢٧١.
٢٢. الفهرست، ط رضا تجدد، طهران د.ت. ص ٣٣٠-٣٣١.
٢٣. من شاء الاستزادة فليراجع الفهرست لابن النديم، وكشف الظنــون عــن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.
٢٤. محمود حجازي: اللغة العربية في العصر الحديث، ط دار قباء، القــاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠.
٢٥. السابق ص ٢٤-٢٥.
٢٦. مقدمة العدد الأول من مجلة لغة العرب، بغداد ١٩١١م.
٢٧. لغة العرب، العدد الأول ص ٢٥٥-٢٦٠.
٢٨. حمد فتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي، مجلة مجمــع اللغــة العربيــة بالقاهرة ٣٩ (١٩٧٧) ص ٣٧-٤٧.
٢٩. إبراهيم مدكور: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، القــاهرة ١٩٦٤م، وشوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً، القاهرة ١٩٨٤م.
٣٠. ينظر التقرير الذي قدمه الأستاذ عبد الكريم خليفة إلى مــؤتمر التعريــب الثالث عن مجمع اللغة العربية الأردني، في: اللسان العربي، المجلد ١٥، الجزء ٣، سنة ١٩٧٧م، ص ١٩-٢٢.
٣١. نشر مشروع النظام الأساســي لاتحــاد المجــامع اللغويــة العربيــة فــي: اللسان العربي، المجلد الثامن الجزء الأول، يناير ١٩٧١، ص ٥٤٠-٥٤١.
٣٢. اللغة العربية في العصر الحديث، ص ٦٢.
٣٣. لغتنا والحياة ص ١٥٥-١٥٦.

الفصل الرابع

أعلام الخط العربي في العصر العباسي

أعلام الخط العربي في العصر العباسي

نبغ في العصر العباسي ثلاثة من الخطاطين الأفذاذ هم: ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمى، ولكل منهم منهجه وخصائصه وإبداعاته، فلنتعرف في عجالة على كل منهم:

١- ابن مقلة :

وأول هؤلاء الأفذاذ ابن مقلة، وابنا مقلة أخَوان هما: الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة (ت سنة ٣٢٨هـ)، والثاني أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة (ت سنة ٣٣٨هـ)[1].

ومقلة لقب أبيهما علي، ذكره ابن النديم ولم يبين سبب تلقيبه به، وبيَّن ياقوت الحموي سبب التسمية في ترجمة أبي عبد الله الحسن أخي الوزير فقال:

"ومقلة اسم أمٍّ لهم كان أبوها يرقصها، فيقول: يا مقلة أبيها، فغلب عليها"[2].

ورث ابن مقلة موهبة الخط عن أبيه علي الذي كان كاتباً مليح الخط[3]، وعلى خطه كتب ولداه أبو علي وأبو عبد الله، وكذلك ورث هذه الصنعة جماعة من ذراريهم، وهكذا انتشرت الكتابة في أسرة ابن مقلة فأبدعت فيها وجوَّدت، على أن الفضل والكمال كانا للوزير أبي علي الذي بلغ مرتبة عالية في العلم والفن، فقد اتقن النحو وحفظ اللغة، وأبدع في الأدب شعره ونثره، وامتاز بفضائل كثيرة فاق بها أقرانه من أهل عصره، وقد أشاد به الصولي فقال: "ما رأيت وزيراً –منذ توفي القاسم بن عبيد الله– أحسنَ حركة، ولا أظرف إشارة، ولا أملح خطاً، ولا أكثر حفظاً، ولا أسلط قلماً، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء، من محمد بن علي..."[4].

---

(1) ابن النديم: الفهرست: ١٩، ياقوت: معجم الأدباء ٩/ ٢٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٨.

(2) معجم الأدباء ٩/ ٢٨.

(3) السابق ٩/ ٣٠.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٨.

تنقل ابن مقلة في أعمال الدولة، وكان قديراً طموحاً، أدى به طموحه إلى المحن والهلاك، ذكر ابن خلكان أنه كان في أول حياته يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها، وتنقلت به الحال إلى أن استوزره المقتدر بالله[1]. وتقلب ابن مقلة في وظائف الدولة، واستوزر مرات، وعاش حياة عريضة مترفة، فعلَتْ حالُه وكثر ماله، ومن مظاهر ذلك أنه كان له بستان كله شجر، ليس فيه نخل، فجعل له شبكة إبريسم، وكانت تفرخ الطيور التي لا تفرخ في الشجر، كالهزار والقماري والببغ[2] والبلابل والطواويس، وكان فيه من الغزلان والنعام وحمر الوحش كثير، وبُشِّر بطائر بري وقع على طائر بحري وباضا وأفرخا، فأعطى من بشره بذلك مائة دينار[3]، وكان يتصدق بخطه، وأُخِذ خطُّه بألف ألف دينار[4]، ولكن طموحه أداه إلى المهالك، فاشترك في مؤامرات الحكم، وغدر السلطة والسلطان، وذاق بسبب ذلك ضروباً من العذاب والبلاء، كان مثله في غنى عن هذا الجاه الزائل.

استوزر ابن مقلة ثلاث مرات في أيام الخلفاء: المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي، استوزر المقتدرُ بالله ابنَ مقلة وخلع عليه سنة ٣١٦هـ، وقُبض عليه سنة ٣١٨هـ، ثم نفاه إلى شيراز من بلاد فارس، بعد أن صادره[5]، وظل ابن مقلة يتقلب في مكايد السياسة، حتى اعتقله الراضي ووجه إليه ابن رائق الذي التمس من الخليفة أن يقطع يده اليمنى التي كتب بها رسالة إليه، فقطعت ورُدَّ إلى سجنه، ولم يجد منجى من محنته حتى مات فيه[6] وكان قد قطع لسانه قبل أن يموت.

---

(1) وفيات الأعيان ٢/ ٦١.

(2) جمع الببغاء.

(3) الصائغ: تحفة أولي الألباب: ٤٨.

(4) السابق والصفحة، ابن خلكان ٤/ ١٩٩.

(5) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٨٤، الجهشياري: الوزراء والكتاب: ٤٥، ٤٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٥٨، المسعودي: التنبيه والإشراف: ٣٢٩.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٩٩، ابن الطقطقي: الفخري: ٢٧٢.

أدبــه:

عُرف ابن مقلة بأنه أديب شاعر بالإضافة إلى إبداعه في الخط والكتابة، فمـا روي من أسلوبه قوله في الشعر والغناء: "يعجبني الشعر تأدباً لا تكسباً، وبتعـاطي الغناء تطرباً لا تطلباً"، وقوله في الحكمة: "إذا أحببت تهالكت، وإذا أبغضت أهلكت، وإذا رضيت آثرت، وإذا غضبت أثَّرْت"[1]، ومن إنشائه من رسالة أنفذها من سجنه إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات قوله:

"أمسكت -أطال الله بقاء الوزير- عن الشكوى، حتى تناهت البلوى في النفس والمال، والجسم والحال، إلى ما فيه شفاء للمنتقم، وتقويم للمجترم، حتى أفضيت إلى الحيرة والتبلد، وعيالي إلى الهتكة والتشرد، وما أبداه الوزير -أيده الله- في أمـري إلا بحق واجب، وظن غير كاذب، وعلى كل حال فلي ذمـام وحرمـة، وصـحبة وخدمة، إن كانت الإساءة أضاعتها، فرعاية الوزير -أيده الله تعالى- بحفظـه، ولا مفزع إلا إلى الله بلطفه، وكنف الوزير وعطفه، فإن رأى -أطـال الله بقـاءه- أن يلحظ عبده بعين رأفته، وينعم بإحياء مهجته، وتخليصها من العذاب الشديد، والجهد الجهيد، ويجعل له من معروفه نصيباً، ومن البلوى فرجاً قريباً"[2].

شعره:

ونقلت الكتب التي ترجمت له مقطوعات من شعره، منها ما صح له، ومنها ما اختلط بشعر ابنه (أبي الحسين)، ومنها ما استشهد به من شعر الآخرين.

ومن شعره ما روي له قوله[3]:

جرَّبني الدهرُ على صَرْفِهِ ... فلم أخُرْ عند التصاريفِ

ألِفْتُ يوميهِ ويا ربَّما ... يُؤْلَفُ شيءٌ غيرُ مألوفِ

---

(1) ابن خلكان: الوفيات ٢/ ٦٢، ابن العماد: شذرات الذهب ٢: ٣١١.

(2) ابت تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٨.

(3) ابن الطقطقي: الفخري: ٢٤٤ ط دار المعارف، و٢٧٠ ط دار صادر.

وكتب إلى ولده وقد مرض[1]:

لقّـــاكَ ربُّـــكَ صـــحةً وســــلامةً ... ووقاكَ بي مــن طــارقِ الأرزاءِ

ذُكِرَتْ شكاتُكَ لــي وكاســي فــي يــدي ... فمزجتُها دمعــي مكــانَ المــاءِ

وقال يشير إلى قطع يده[2]:

ما ســئمتُ الحيــاةَ لكــن توثَّــقْـــ ... ــتُ بأيمانهم فبانــتْ يمينــي

بعــتُ دينــي لهــم بــدنيايَ حتــى ... حرموني دنياهمُ بعــدَ دينــي

ولقد حُطْتُ ما استطعتُ بجهدي ... حِفْظَ أرواحِهمْ فمــا حفظــوني

لــيسَ بعــدَ اليمــينِ لــــذَّةُ عــيشٍ ... يا حياتي بانتْ يمينــي فبينــي

ومما ينسب لابن مقلة قوله[3]:

إذا ما مات بعــضُكَ فابــكِ بعــضاً ... فإنَّ البعضَ من بعــضٍ قريــبُ

وقد أسف الشعراء في قطع يد ابن مقلة فقالوا في ذلك شعراً كثيراً.

خط ابن مقلة:

أخذ ابن مقلة الخط عن الأحول إسحاق بن إبراهيم الذي كان يعلِّم المقتدر وأولاده، يكنى بأبي الحسين، وله رسالة في الخط والكتابة سماها (تحفة الوامق)، لم يُرَ في زمانه أحسن خطاً منها، ولا أعرف بالكتابة، وهو أستاذ أبي علي ابن مقلة.

ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلثمائة إلى الوزير أبي علي محمد بن مقلة، وأخيه أبي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة، وولَّدا طريقة اخترعاهــا وكُتِــب فــي زمنهما فلم يوازوهما، وتفرد أبو عبد الله بالنَّسْخ، والوزير أبو علي بالدَّرْج، وكــان

---

(1) السابق.

(2) ابن خلكان ٤/ ٢٠١، ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ٣١١.

(3) ابن العماد: شجرات الذهب ٢/ ٣١١. والبيت مع آخر للخريمي في طبقــات ابــن المعتــز: ٢٩٣، والورقة لابن الجراح: ١٠٠.

الكمال في هذه الصناعة للوزير، فإنه اخترع وهندس الحروف، وأجاد تحريرها، وأسس قواعدها، ومنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[1]. وقال ياقوت: "كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبه (قلم الرقاع) و(التوقيعات) لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع، وكان أبو عبد الله أكتب من أخيه في (قلم الدفتر) و(النسخ) مسلماً له في فضيلته، غير مفاضل في كَتْبَته"[2]، وقد أكمل قواعد الخط من بعد ابن مقلة وتممها ابن البواب، واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة[3]، وابن مقلة أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط، وضبطها ضبطاً محكماً، وكان قد أخذ الخط عن الأحول المحرر من صناع البرامكة، وكذلك أخوه أبو عبد الله الحسن بن مقلة، وكان خطهما في غاية الجودة.

الكتابة المنسوبة:

ولما نبغ ابن مقلة أطلق على خط النسخ اسم (البديع)، وكان قد سمي النسخ بهذا الاسم، لأنَّ الكُتَّاب كانوا ينسخون به المصحف، ويكتبون به المؤلفات، وهو مشتق من (الجليل) أو (الطومار) أو منهما معاً، وكان ابن مقلة يسميه البديع، وكان الكُتَّاب المجودون في عصر المأمون يسمون الخطوط المتقنة يومئذٍ بـ (الخطوط الأصلية الموزونة)، ثم سُميت في زمن ابن مقلة (الكتابة المنسوبة)،وحين بدأ ذيوع هذا الوصف للخطوط الجميلة المكتوبة وفق الرسوم والقوانين التي ابتكرها ابن مقلة، زيادة على مبتكرات سابقيه وعُرِفت بالكتابة المنسوبة، طفق الناس يتساءلون عن اشتقاقها وسبب تسميتها، أسميت منسوبة لتناسبها أم لأنها نسبت إلى واضعها، وما سبب إعجاب كافة الناس بها، ونجد جواب ذلك وغيره في رسالة أبي حيان التوحيدي الذي يرى أنه: "تناسب الخط في أشكاله الهندسية المتقنة الجودة، ونسبتها إلى إمام من أئمته، ذلك

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٩٨، القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٧، ضوء الصبح المسفر ١/ ١٨٣، الصائغ: تحفة أولي الألباب: ٤٦.

(2) معجم الأدباء ١٠/ ٢٩.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٧.

أن الكاتب إذا بلغ في تعلم صناعة الخط غاية قدرته، كانت لخطه ملامح خاصة يعرف بها، ومعان تخصه، ويعرفها أهل التمييز والنقد، كما تعرف وجوه الناس -وإن تشابهت أعضاؤها وتشاكلت أجزاؤها- بمعان تخص كل وجه منها، تعرفها القلوب، وتشهدها العيون، وكل كاتب يبلغ بالتجويد حداً، تميل به نفسه إلى معانٍ تخص خطه، وتميزه عن غيره ممن يكتب على طريقته، ولو اجتهد في محاكاة خطه، فينسب الخط -من هذه الجهة- إلى كاتبه المجيد.

ثم علل أبو حيَّان إعجاب الناس بـ (الكتابة المنسوبة) بما توفر فيها من التناسب والانسجام والحسن، وإن حسن الكتابة جمال مطلوب للنفس، وصحة نسبتها صورة معشوقة للقلب، فإذا ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره، وما قبله في كلمته، واعتدلت مقاديره، وبهر العيون صفاؤه وقوته، طلبته النفس وعشقته، كالصوت: إذا تناسب فحررت الألحان، وعد بالأوزان، شرف شأنه، ودان له ذوو الأخطار. الخط المنسوب من حيث تشاكله وتناسبه وإشراق معانيه، كالجوهر محبوب الشيمة، محفوظ القيمة، معدود من الأعلاق النفيسة، والذخائر الكريمة"[1].

كتابة المصحف:

كتب ابن مقلة المصحف الشريف مرتين، وقد كان أحد هذين المصحفين في خزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز، ورآه ابن البواب في ثلاثين جزءاً، وجمع ابن البواب أجزاءه من خزانة بهاء الدولة، فاجتمع له تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحد لم يظفر به ابن البواب رغم كثرة تفتيشه، فعلم أن المصحف ناقص، وقص نبأه على بهاء الدولة، فطلب منه أن يتممه له، فأجابه إلى ما أراد، ولكن على شريطة أنه إذا أبصر الجزء الناقص منها ولا يعرفه، أن يخلع عليه خلعة ومائة دينار، فما زال يتخير له من خزانته من أنواع الكاغد السمرقندي

---

(1) أبو حيان: رسالة في علم الكتابة، نشرها محمود عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية ١/١/١٢٣-١٢٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٨، والخطاط البغدادي: ٦٧.

والصيني والعتيق ما يشابه كاغد المصحف، حتى ظفر بما يوافقه، وكتب الجــزء، وذهَّبه وعتق ذهبه، وقلع جلداً من جزء من الأجزاء فجلده به، وجلد الذي قلع منــه الجلد وعتقه، ومضى على ذلك نحو السنة، فأحضر له المصحف كاملاً، فلم يــزل بهاء الدولة يقلبه جزءاً جزءاً، وهو لا يقف على الجزء الذي بخط ابــن البــواب، وأراده أن يدله على الجزء الذي كتبه بخطه، فأبى عليه، وقال له: لا تعرفه فيصغر في عينيك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي ابن مقلة، وتكتم سرنا[1].

وقال الثعالبي: "إن ابن مقلة كتب كتاب هدنة بين المسلمين والــروم بخطــه، فوضعوه في كنيسة قسطنطينية، فكانوا يبرزونه لحسن خطه في الأعياد، ويجعلونه في جملة زينتهم في أخص بيوت العبادة، ويعجبون من فرط حسنه، وكونه غاية في فنه"[2].

ولم يصل إلى عصرنا شيء من كتابة ابن مقلة بخطه، ويظن بعضهم أن هناك مصحفاً أو كتاباً في إحدى المدن العراقية دُوِّنَ عليه أنه بخط ابن مقلة، ولكــن لــم تثبت صحة ذلك حتى الآن[3]، وقد ذُكِر أن في مكتبة متحــف هــراة بأفغانــستان مصحفاً كتب بخط الوزير ابن مقلة (خطه كوفي)[4]، وذكر أن بالأندلس مــصاحف ذات شهرة، يقول ابن خليل السقوني: إنه رأى في مسجد من مساجد أشبيلية الجزء الرابع من مصحف بأحرف تشابه حروف الكوفة، ويؤكد أبو الحسن ابن طفيل أنــه كان بخط ابن مقلة المشهور[5]، ولا شك أن الجزم بصحة نسبة هذه المصاحف إلى ابن مقلة أمر صعب.

---

(1) ياقوت: معجم الأدباء ١٥/ ١٢٢، "الخطاط البغدادي" ٥١.

(2) "ثمار القلوب" ١٦٧، وفيات الأعيان ٢/ ٦١.

(3) الخطاط الغدادي: ٥٠.

(4) مقالة للأب دبور كوي: مجلة مقمعهد المخطوطات العربية م٢ ج١ ص ٣٢.

(5) المقري: نفح الطيب ٢/ ٦٤١، وانظر: خوليان ريبيريا بحث بعنوان: (المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية) مجلــة معهــد المخطوطــات العربيــة ســنة ١٣٧٧هـــ، ص ٩٥ ترجمة جمال محمد محرز، وانظر: المصرف، مصور الخط العربي: ٣١٩.

مؤلفاته:

ألف ابن مقلة رسائل في الكتابة والخط وغيرها، وقد حفظت كتب الكتابة والتراجم والأدب طرفاً من هذه الرسائل، وقد وصلت بعض هذه الرسائل وما زالت مخطوطة، من ذلك:

١. رسالة في علم الخط والقلم. مخطوطة في دار الكتب المصرية.

٢. رسالة في ميزان الخط. مخطوطة بمكتبة العطارين بتونس.

٣. أصناف الكتاب. مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط.

رأي ابن مقلة في تجويد الخط:

وننهي الكلام عن ابن مقلة بذكر رأيه في وجوه تجويد الكتابة والخط، بحسن التشكيل وحسن الوضع، لتكون نبراساً وهادياً للمتعلمين في تجويد الكتابة وتحسين الخط، قال ابن مقلة[1]:

"تحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء:

الأول- **التوفية**: وهي أن يؤتى كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي يركب منها، من مقوس ومنحنٍ ومنسطح.

الثاني- **الإتمام**: وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها، من طول أو قصر أو دقة أو غلظ.

الثالث- **الإكمال**: وهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها، من انتصاب وتسطيح وانكباب واستلقاء وتقويس.

الرابع- **الإشباع**: وهو أن يؤتى كل خط حظه من صدر القلم الذي يتساوى به، فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض، ولا أغلظ، إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزائه بعض الحروف من الدقة عن باقيه، مثل الألف والراء ونحوهما.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٣٩، المصرف: مصور الخط العربي: ٣٧٢-٣٧٣.

الخامس- **الإرسال**: وهو أن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه، ولا توقف يرعشه.

وأما حسن الوضع فيحتاج إلى أربعة أشياء:

الأول- **الترصيف**: وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف.

الثاني- **التأليف**: وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.

الثالث- **التسطير**: وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطراً منتظم الوضع كالمسطرة.

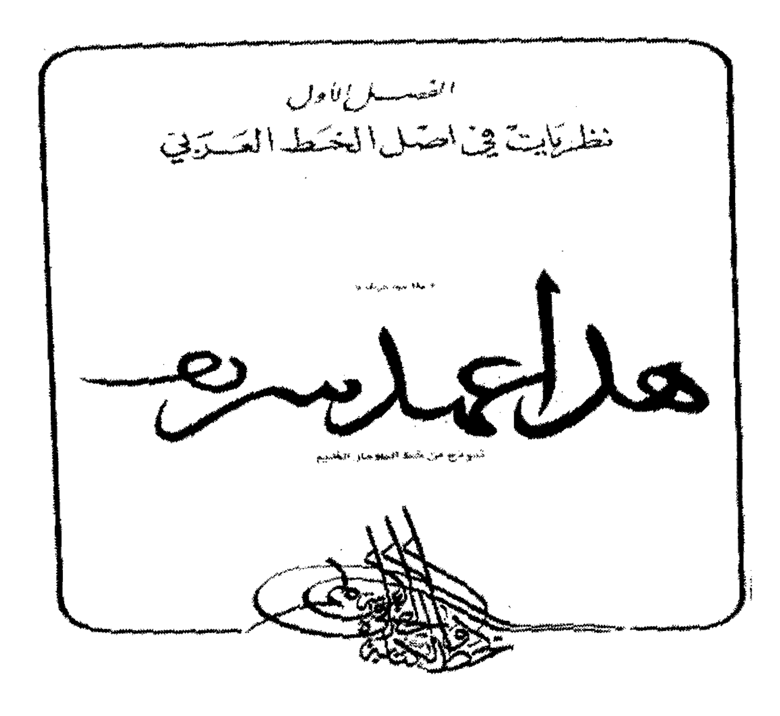
الرابع- **التنصيل**: وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة.

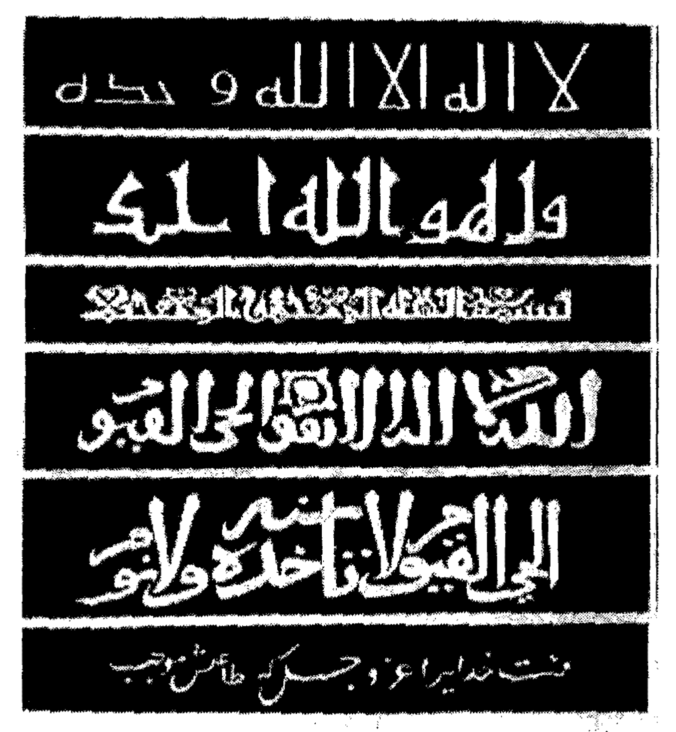
وقال في (مواد البيان): وهذه المدات تستعمل لأمرين:

أحدهما: تحسن الخط وتفخمه في مكان، كما يحسن مدة الصوت اللفظ ويفخمه في مكان.

الثاني: إن المدة ربما وقعت ليتم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر.

نماذج من خطه





٢-ابن البواب:

هو أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المشهور بابن البواب، كان أبوه هلال بواباً لبني بويه، ولذلك لقب بـ (السِّتْري) لأنه ملازم لستر الباب[1] وكان ابن البواب يُعَيَّر بلقب أبيه هذا ويُهجى به، على ما نقل ابن الجوزي، قال: "بلغنا أن أبا الحسن البَتِّي دخل دار فخر الملك أبي غالب، فوجد ابن البواب جالساً في عتبة باب ينتظر خروج فخر الملك، فقال: جلوس الأستاذ في العتب رعاية للنسب، فرد ابن البواب وقال: لو أن لي من أمر الدنيا شيئاً، ما مكَّنتُ مثلك من الدخول، فقال البتي: ما تترك صنعة الشيخ رحمه الله"[2]، ويروى أيضاً أنه قال: "لا يترك الأستاذ صنعة الوالد بحال"، وهجاه آخر بهذا النسب في قوله[3]:

ماذا رأيتم من النسَّاخِ متَّخِذاً ... سِبالَ لِصٍّ على عُثْنُونِ مُحتالِ

هذا وأنتَ ابنُ بوابٍ وذو عَدَمٍ ... فكيفَ لو كنتَ ربَّ الدارِ والمالِ

على أن هذا اللقب لم يقعد بابن البواب، بل استطاع أنْ يرقى بفنه وعلمه فبلغ مبلغاً يعجز عنه أولو الحسب والنسب.

انصرف ابن البواب منذ صباه إلى تحصيل العلم، فقرأ القرآن، وتفقه بالفقه الحنبلي فقد كان من أهل السنة، وأخذ العربية عن أبي الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، وصحب أبا الحسين ابن سمعون الواعظ البغدادي[4] وصار ابن نفسه

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٤٥، وانظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٥/ ١٨، الكامل في التاريخ ٩/ ١٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٤، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٧ وغيرها.

(2) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ١٠.

(3) ياقوت ١٥/ ١٢٤، والسبال: الشوارب واحدها السبلة، والعثنون: اللحية، جمعها عثانين، يشير إلى طول لحية ابن البواب.

(4) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ١٠، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٤.

واعظاً، وعظ في جامع المنصور ببغداد[1] وعبر الرؤيا، وقال النثر والنظم، وكـان رجلاً دَيِّناً، وأثنى عليه غير واحد في دينه وأمانته[2].

عمل ابن البواب في أول نشأته مزوّقاً يصور الدور، دهاناً في السقوف، ثـم صوَّر الكتب، ثم تعاطى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتـأخرين، ووصفه ابن الفوطي فقال: "صاحب الخط الذي اشتهر ذكره في العالم، وفاق بحسن الخط في بني آدم.... وإلى الآن لم يلحق شأوه وهيهات"[3]، وأثنى عليه ابن الفوطي وذكـر محاسنه وآدابه في قوله: "كان مع ما رزقه الله من المعجزات فـي حسن خطـه وجودة ضبطه، قد رزق ملاحة الكتاب، ومحاسن الآداب، مـن الفضل الظـاهر والنظم الباهر، كأنما ألفاظه الفصيحة مُدامة ٌ تُعَلُّ بماء المزن"[4].

لقد ترقت أحوال ابن البواب، فتوثقت صلته برجال الدولة البويهيـة، فاتـصل بالوزير فخر الملك محمد بن علي الواسطي، الذي كان والياً على العراق من قبـل بهاء الدولة بن عضد الدولة، وصار من ندمائه، وكان لا يفارقـه لفـضائله التـي جمعت فيه، من حسن الخط والإنشاء والشعر، وكان فخر الملك من أعظـم وزراء آل بويه بعد ابن العميد والصاحب بن عبـاد[5]، وعمـل ابـن البـواب بـشيراز لبهاء الدولة بن عضد الدولة أميناً لخزانة كتبه، وكان ابن البواب يتصرف فيها على اختياره ويراعيها له، وكان أمرها مردوداً إليه، وقد مر في ترجمة ابـن مقلـة أن ابن البواب ظفر في هذه المكتبة بمصحف بخط ابن مقلة ينقص منه جـزء فأكملـه بخطه وعَرَضه على بهاء الدولة[6].

---

(1) ابن الأثير: الكامل ٩/ ١٢١، ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ١٠.

(2) ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ١٩٩، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٤، الخطاط البغدادي: ١٢ تحقيقات الأثري.

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب الورقة ٢٣٥، الخطاط البغدادي ص ١٠ هامش.

(4) السابق نفسه.

(5) ياقوت: معجم الأدباء ١٥/ ١٢١، ابن خلكان ٢/ ٦٥.

(6) ياقوت: معجم الأدباء ١٥/ ١٢٢.

خطــه:

أخذ ابن البواب الخط عن محمد بن أسد بن علي بن سعيد الكاتب المقرئ البــزاز البغدادي (ت ٤١٠هــ)، وأخذ كذلك عــن محمــد بــن السمــسماني (ت ٤١٥هـــ)، والسمسماني ومحمد كلاهما أخذ الخط عن الوزير ابن مقلة، وأخذ عن ابن البــواب مجموعة كبيرة من الرجال والنساء.

يعد ابن البواب أكبر كتّاب الخط بعد ابن مقلة، لأنه استطاع أن يقلب الخط الكوفي بعده على وجه يسترعي الانتباه، وأن يستنبط منه أسلوب الثلث والنسخ، ويعلو بهما إلى مرتقى رفيع من الكمال، وجاء في (ميزان الخط على وضع أستاذ السلف) عند الكــلام عن ابن مقلة: "أن الأستاذ علي بن هلال المعروف بابن البواب، هو الــذي أكمــل الخط وأتمه، واخترع الكتابة بافضل أسلوب مقبول، استناداً إلى خــط ابــن مقلــة، وتدرج خط علي بن هلال في مدارج الكمال على مر الأيام، وارتقى كثيراً من بعد على يد ياقوت المستعصمي"[1] وجاء في رسالة الكتابــة المنــسوبة: ".... فــرأى (ابن البواب) ابني مقلة قد أتقنا قلمي التوقيعات والنسخ، لكي يرسخا –رحمهما الله- في اتقانهما ذلك النسخ، فكمل معناهما وتممه، ووجد شيخه ابن أسد يكتــب الــشعر بنسخ قريب من (المحقق) فأحكمه وحرر (قلم الذهب) وأتقنه، ووشّى برد الحواشي وزينه، ثم برع في (الثلث) و(خفيفه)، وأبدع في (الرقاع) و(الريحــان) وتلطيفــه، وميز قلم المتن والمصاحف، وكتب بــ (الكوفي) فأنسى القرن السالف"[2].

وبالإضافة إلى جهد ابن البواب في إتمام ما بدأه ابن مقلة من تطــوير الخــط ونقله من الكوفي إلى النسخ والثلث، فإنه أكمل قواعد الخط وأتمها، واخترع غالــب الأقلام التي أسسها ابن مقلة، وأبدع في أوضاع الحروف العربية وأبعادهــا، وبلــغ شأواً بعيداً لم يبلغه أحد في عصره، وانتهت إليه الرياسة في الخط في أيامه، ولــم

(1) سهيل أنور: الخطاط البغدادي: ٨.

(2) أبو حيان: رسالة الكتابة المنسوبة ١٢٣/١/١، الخطاط البغدادي: ٤٨.

يقاربه أحد في خطه[1]، ويعود إليه الفضل في ابتداع الخط الريحاني الذي كتب فيه مصحفاً كان بحوزة السلطان سليم الأول العثماني الذي أهداه إلى جامع (لا له لـــي) في استانبول[2]، والخط الريحاني هو الخط الديواني نفسه، إلا أنـــه يختلـــف عنـــه بتداخل حروفه بعضها في بعض بأوضاع متناسبة متناسقة، ولا سيما ألفاته ولاماته، فإن تداخلها بعضها في بعض يشبه اعواد الريحان، ولذلك سمي هذا الخـــط قـــديماً بالريحاني، وقد وصف ابن البواب الخط الريحاني بقوله: "وأمـــا الريحـــاني فهـــو بالقياس إلى المحقق كالحواشي إلى النسخ، وكوضع حروف الريحان علـــى مثـــال حروف المحقق إلا أن فيه دقة، ويضبط بجملة قلمه، ويختص هذان القلمـــان بـــألا تطمس فيهما ميم ولا واو ولا عين ولا قاف ولا فاء، وأن يكونا منيَّرين"[3]، وأطلق على الريحاني في العصر الحديث الخط الغزلاني، نسبة إلـــى مـــصطفى غـــزلان الخطاط المصري (ت ١٣٥٦هـــ)، فإنه كان يتقنه اتقاناً كبيراً وله ذوق سليم فيه[4].

إن خط ابن مقلة لم يصل إلينا حتى نستطيع أن نقارن ونتبيّن مـــدى التطـــور الذي حدث بعده على يد ابن البواب، ولكن الخطوط التي وصلت بخط ابن البـــواب تنبيء عن فن متطور بالغ الجودة والإتقان.

لقد وصل من آثار ابن البواب الخطية عدد من النماذج لا يستهان به، من ذلك:

١. خطه لشعر سلامة بن جندل، ففي خزانة قصر بغداد بمتحف سراي طوب قبو شعر سلامة بن جندل، مرقوم بـــ (١٢٥) يستهل الكلام فيه بالبـــسملة ويقول: قال سلامة بن جندل. ويقرأ في ختامه إمضاء علـــي بـــن هـــلال

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٤٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٧.

(2) دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٠٣ الترجمة العربية.

(3) الطيبي: جامع محاسن كتابة الكتاب" ١٧، ٢٧.

(4) الكردي: تاريخ الخط العربي: ١٢١.

بخطه مكتوباً بماء الذهب، ومؤرخاً بشهر رمضان سنة ٤١٣هـ. (لوح ٤٥)[1].

٢. وفي خزانة كتب الأوقاف بمتحف الآثار التركية الإسلامية (كتاب بزوغ الهلال) لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب، الكاتب المشهور بخطه، مؤرخاً بسنة ٤٠٨هـ ورقمه ٢٠١٥.

٣. وفي خزانة كتب أيا صوفيا مجموعة في الآداب رقمها ٢١٢٠ جاء في أولها: (قلم الثلث طريقة الأستاذ الجليل علي بن هلال المعروف بابن البواب).

٤. وفي خزانة قصر بغداد بمتحف طوب قبو صفحتان من الخط بـ (قلم الطومار طريقة الأستاذ علي بن هلال).

٥. وهناك جملة امضاءات لابن البواب جاءت على الشكل الآتي:

- ❖ (كتبه علي بن هلال حامداً لله تعالى على نعمه ومصلياً على نبيه محمد وآله وعترته).
- ❖ (كتبه علي بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مائة حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله).
- ❖ كتبه علي بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مائة حامداً لله على نعمه ومصلياً على نبيه محمد وآله).

وهناك كتابات أخرى ذكرها كتاب الخطاط البغدادي[2] ويروى أن ابن البواب كتب أربعة وستين مصحفاً، وأن أحد هذه المصاحف كتب بالخط الريحاني، وأن السلطان سليماً الأول العثماني أهدى هذا المصحف إلى جامع (لاله لي) في استانبول وهو محفوظ فيه. ولم تنل آثار ابن البواب في زمنه المكانة التي تستحقها.

---

(1) نماذج من خط ابن البواب.

(2) سهيل أنور: الخطاط البغدادي: ٢٢-٢٤.

رائية ابن البواب ورسالته في صناعة الخط:

١- الرائية:

ترك ابن البواب قصيدة نفيسة ضمنها قواعد علم الخط، وقد احتفل القدماء والمحدثون بها، وأثنوا عليها وشرحوها، وذكر المعنيون بالخط هذه القصيدة وبينوا صفاتها، ذكرها كاتب جلبي في (كشف الظنون) وقال: "وصفها الأدباء بغاية البلاغة، وقد استقصى ابن البواب أدوات الخط " ثم أورد منها بيتين[(1)].

وذكرها ابن خلدون في المقدمة[(2)] في كلامه عن الخط والكتابة، فقال:

"وللأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن البواب قصيدة من البحر البسيط (كذا)[(3)] على روي الراء، يذكر فيها صناعة الخط وموادها، من أحسن ما كتب في ذلك، رأيت إثباتها في هذا الكتاب لينتفع بها من يريد تعلم صناعة الخط "[(4)].

شرحت الرائية أكثر من شرح، وأهم شروحها هو شرح ابن الوحيد شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الكاتب (ت ٧١١هـ)، وهناك شرح آخر هو شرح الشيخ برهان الدين بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ)، ونثبت هنا أصل القصيدة كما وردت بتحقيق الشيخ الأثري[(5)]، قال ابن البواب:

يامن يُريد إجادةَ التحريرِ ويرومُ حسنَ الخطِّ والتصويرِ

---

(1) كشف الظنون ١/ ٧١١.

(2) المقدمة طبعة كاترمير ٢/ ٣٤٦، والقصيدة فيها ثلاثة وعشرون بيتاً، وقد سقطت هذه القصيدة من الطبعات العربية للمقدمة.

(3) الصواب من بحر الكامل، ولعله من وهم النساخ.

(4) وقد ذكرها من المحدثين الأستاذ الحصري في كتابه (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) ط دار المعارف مصر ١٩٥٣، ونبه إلى الفقر الساقطة من المقدمة في الطبعات العربية، وذكرها أيضاً محمد طاهر الكردي في كتابه (تاريخ الخط العربي) ص ٤٢٨-٤٢٩، ولم تسلم من التحريف.

(5) الخطاط البغدادي: ٣١-٣٢ القسم الثاني.

إنْ كان عزمُكَ في الكتابةِ صادقاً ... فارغبْ إلى مولاكَ في التيسيرِ

أعْدِدْ من الأقلامِ كلَّ مثقَّفٍ ... صُلْبٍ يصوغُ صناعةَ التحبيرِ

وإذا عمدتَ لبريهِ فتوخَّهُ ... عند القياسِ بأوسطِ التقديرِ

انظرْ إلى طرَفيْهِ فاجعلْ بَرْيَهُ ... من جانبِ التدقيقِ والتخصيرِ

واجعلْ لجلفتهِ قواماً عادلاً ... يخلو عن التطويلِ والتقصيرِ

والشِّقَّ وسِّطْهُ ليبقى بريُهُ ... من جانبيهِ مُشاكِلَ التقديرِ

حتى إذا اتقَنْتَ ذلك كلَّهُ ... إتقانَ طَبٍّ بالموادِ خبيرِ

فاصرِفْ لرأي القَطِّ عزْمَكَ كُلَّهُ ... فالقَطُّ فيهِ جُمْلَةُ التدبيرِ

لا تطمَعَنْ في أنْ أبوحَ بسِرِّهِ ... إني أضِنُّ بسِرِّهِ المستورِ

لكنَّ جملةَ ما أقولُ بأنَّهُ ... ما بينَ تحريفٍ إلى تدويرِ

وألقِ دواتَكَ بالدُّخانِ مُدبِّراً ... بالخَلِّ أو بالحِصْرِمِ المعصورِ

وأضِفْ إليهِ مَغْرةً قد صُوِّلَتْ ... مع أصفرِ الزرْنيخِ والكافورِ

حتى إذا ما خُمِّرَتْ فاعمِدْ إلى الـ ... ـورقِ النقيِّ الناعمِ المخبورِ

فاكْبِسْهُ بعدَ القَطْعِ بالمِعْصارِ كي ... ينأى عن التَّشْعيثِ والتغييرِ

ثم اجعلِ التمثيلَ دأبَكَ صابراً ... ما أدركَ المأمولَ مثلُ صبورِ

إبْدأ به في اللَّوْحِ منتضياً لهُ ... عزماً تجَرِّدُهُ عن التَّشْميرِ

لا تخجَلَنَّ من الرديءِ تخُطُّهُ ... في أولِ التمثيلِ والتسطيرِ

فالأمرُ يصعُبُ ثم يرجِعُ هَيِّناً ... ولَرُبَّ سهْلٍ جاءَ بعدَ عسيرِ

حتَّى إذا أدركْتَ ما أمَّلْتَهُ ... أضحيتَ ربَّ مسرَّةٍ وحُبُورِ

فاشْكُرْ إلاهَكَ واتَّبِعْ رِضْوانَهُ ... إنَّ الإلهَ يجيبُ كلَّ شَكُورِ

وارْغَبْ لكفِّكَ أنْ تخُطَّ بنانُها ... خيراً تخلِّفُهُ بدارِ غُرورِ

فجميعُ فِعْلِ المرءِ يلقاهُ غداً ... عندَ التقاءِ كتابِهِ المنشورِ

٢- رسالة ابن البواب في الخط:

روى ياقوت الحموي[1] رسالة أنشأها ابن البواب في الكتابة، كتبها إلى بعض الرؤساء، ونقلها من خط الحسن بن على الجويني الكاتب، وهذا نصها:

"قد افتتحت خدمة سيدنا الجليل -أطال الله بقاءه، وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده، وكبت عدوه- بالمثال المقترن بهذه الرقعة، افتتاحاً يصحبه العذر إلى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه، والخلل البادي لمتأمليه.

وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدم بالغايات المرضية من كل صناعة، تأدياً لسؤدده وعلائه، وتصدياً للفوز بجميل رأيه، ولم يعدُ بي عن هذه القضية جهل بها، وقصور عن علمها. لكني هاجر لهذه الصناعة منذ زمن طويل هجرة قد أورثت يدي حَبْسةً ووقفة، حائلتين بينها وبين التصرف والافتتان والوفاء بشرط الإجادة والإحسان. ولا خفاء عليه -أدام الله تأييده- بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملة العناية إليها، والكلف الشديد بها، والولوع الدائم بمزاولتها، فإنها شديدة النِّفار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نوَار قيدها الأعمال، شموس قهرها الوصال، لا تسمح ببعضها إلا لمن آثرها بجملته، وأقبل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه، واعتاضها عن خِلِّه وسَكَنه[2]، لا يؤسيه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويوادعهاعند الكلال والملال، حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزلة العلية، وتنقاد الأنامل لتفتيح أزهارها، وجلاء أنوارها، وتظهر الحروف موصولة ومفصولة، ومعماة ومفتحة، في أحسن صيغها، وأبهج خلقها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في

---

(1) معجم الأدباء ١٥/ ١٢٧، وانظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ١٤٤، ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، الورقة ٢٣٥، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ١٩٩، الخطاط البغدادي: ١٥-١٦ القسم الثاني.

(2) نوار: أي نفور، سكنه: أي زوجه.

تجاورها والتئامها، لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومَفْتَـشُها بَهِجٌ فاتن، كأنما كاتبها -وقد أرسل يده، وحثَّ قلمَه- رجَّحَ فيها فكره ورويته، ووقف على تهذيبها قدرته وهِمَّتَهُ. القلب بها في حجر نـاظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه، وما ذهبت في هذه الخدمة مذهبَ المُطْرِف المُغْرِب بها، ولا المعَوّل على شوافعها[1]، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها، إقامة لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم.

فإن سعدتُ بنَفَاقِها عليه، وارتضائها لديه، سلمت من وصمة التضجيع[2] والإهمال، وهُجْنَة التقصير في شكر الانعام والأفضال، ولسيدنا الأستاذ الجليل -أطال الله بقاءه- علوُّ الرأي في الأمر بتسلم ما خدمت به، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه، إن شاء الله تعالى".

وفاتـه:

وكانت وفاة ابن البواب سنة ٤١٣هـ في خلافة القادر بالله، وقد رثاه الشعراء وكانت أجود وأطول مرثية هي قصيدة الشريف المرتضى نقيب الطالبيين ببغداد، وتقع في خمسة وثلاثين بيتاً، نقتطف منها قوله[3]:

من مثلها كنت تخشى أيها الحذرُ	والدهرُ إنْ هَمَّ لا يُبقي ولا يذَرُ
نعاك نَاعٍ إلى قلبٍ كأنَّ به	لواذِعَ الجَمْرِ لمَّا ساءَهُ الخَبَرُ
فلم يكن ليَ إلا أنْ أقولَ لهُ	بفيك ناعي هذا الراحل الحجرُ
كم ذا نداء لماضٍ غير ملتفتٍ	وكم عتاب لجانٍ ليس يعتذرُ
فكلما استُلَّ منا صاحبٌ فمضى	ولا إيابَ لهُ قالوا: هو القدَرُ

(1) المغرب: المجاوز للحد، شوافعها: معينها.

(2) نفاقها: رواجها، وصمة التضجيع: عيب التقصير.

(3) الخطاط البغدادي: ٢٣-٢٤.

حتى يقول:

رُدِّيْـتَ يـا ابـن هـلالٍ والـردى غَـرَضٌ ... لم يُحْمَ منه علـى سُـخْطٍ لـه البـشرُ

مـا ضـرَّ فقـدُكَ والأيـامُ شـاهدةٌ ... بـأنَ فـضلَكَ فيهـا الأنجـمُ الزُهُـرُ

أغنيـتَ فـي الأرضِ والأقـوام كلهـمُ ... من المحاسنِ مـا لـم يُغْنِـهِ المَطَـرُ

فأنت شمسُ الـضُّحى للـساربينَ ولـلـ ... ـساريـنَ فـي جُـنْحِ ليـلٍ ضـوؤكَ القمـرُ

إنْ تُمْـسِ مَيْتـاً بـلا سـمعٍ ولا بـصَرَ ... فطالما كنـتَ أنـتَ الـسمعُ والبَـصَرُ

ورثاه شعراء آخرون منهم أبو العلاء المعري من قصيدة مطلعها(1)

طـربْنَ لـضوء البـارقِ المتعـالي ... ببغدادَ وهْناً مـا لهـنَّ ومـا لـي

يقول فيها:

ولاحَ هلالٌ مثـلُ نـونٍ أجادَهـا ... بماءِ النَّضارِ الكاتـبُ ابـنُ هـلالِ

---

(1) ديوان سقط الزند: ١٠١.

٣- ياقوت المستعصمي

أبو الدر جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي الطواشي البغدادي، الملقب بقِبْلَة الكُتَّاب، يكنى بأبي الدر وأبي المجد[1]، وياقوت من أصل رومي، كان من مماليك المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد فانتسب إليه، وكان المستعصم قد اشتراه صغيراً ورُبِّي بدار الخلافة، واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبد المؤمن، ثم كتب على ابن حبيب، وتميز ياقوت بالأدب والشعر وجودة الخط، وهو آخر من انتهت إليه رئاسة الخط المنسوب، كان يكتب على طريقة ابن البواب، وقال ابن رافع: "كتب عليه خلق من أولاد الأكابر، وكان محترماً معظماً"[2]، ولم ينبغ بعد ابن البواب كاتب غير ياقوت المستعصمي، على الرغم من أن ما بين الرجلين ما يقرب من ثلاثة قرون (٢٨٥ سنة).

تعلق ياقوت بالخط العربي منذ صباه، وبرع فيه، وأظهر من المهارة والبراعة ما جعله في مصاف عظماء الخطاطين، وبقي ياقوت يتملى خطوط الأئمة المجودين ممن سبقوه في هذا المضمار حتى بلغ الغاية في جمال الخط وحسنه، وضبط قواعده وأصوله، وفاق ابن البواب في جمال الخط وحسن تنسيقه، والإبداع في تراكيبه، حتى لُقِّبَ بقِبْلَة الكتَّاب[3].

قيل إنه أخذ الخط عن ابن البواب بالواسطة، إذ ولع بخطه فعكف على قطعة يقلدها ويحاكيها مدة طويلة، حتى برع ومهر في الكتابة بضروب الأقلام كلها، وخاصة الثلث، وبلغ خطه أروع ما بلغه الخط العربي من جمال، وكتب الكثير من

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤٤٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٤/ ٦، الفاسي: منتخب المختار: ٢٣٣، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٧١١.

(2) الكتبي: فوات الوفيات ٤/ ٦٢٣، الفاسي: منتخب المختار: ٢٣٣.

(3) كشف الظنون ١/ ٤٦٦، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١/ ٣٨٤، مرزوق: العراق مهد الفن الإسلامي: ٤٤.

المصاحف وانتشر خطه في الآفاق، وقيل إنه أحد علماء المستنصرية، وقيل: إن أول من نقل الخط الكوفي إلى الطريقة العراقية ابن مقلة، ثم جاء ابن البواب فزاد في تعريب الخط وإبداعه، ثم جاء ياقوت وختم في الخط وأكمله، وما زال حتى يومنا هذا يقلده الخطاطون المحدثون وينسجون على منواله[1].

أخذ ياقوت صناعة الخط عن الشيخ صفي الدين عبد المؤمن أحد فقهاء المدرسة المستنصرية، وأشهر كتاب زمانه[2]، وأخذ كذلك عن شهدة بنت الأبري، وهي زينب بنت أبي نصر إحمد بن الفرج بن عمر الإبري، فقيهة شهيرة ولدت سنة ٤٨٢هـ أصلها من الدينور ووفاتها ببغداد سنة ٥٧٤هـ، روت الحديث وسمع عليها خلق كثير، عرفت بالكاتبة لجودة خطها، أخذت الخط عن محمد بن منصور بن عبد الملك، وممن أخذ عنها أمين الدين ياقوت بن عبد الله بن محمد الموصلي النوري الملكي، وهو غير ياقوت المستعصمي، وقد وقع في هذا الوهم ابن العماد الذي خلط بين الاثنين[3] تصدر ياقوت لتعليم فن الخط، وبلغت شهرته الآفاق، حتى وصفه طاش كبري زادة بقوله: "ثم ظهر أبو الدر ياقوت الرومي المستعصمي، وهو الذي طبق الأرض شرقاً وغرباً اسمه، وسار مسير الأمطار في الأمصار، وأذعن لصنعته الكل واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته، فضلاً عن الوصول إليها، لأنه سحر في الكتابة سحراً لو رآه السامري لقال: إن هذا سحر حلال"[4]، وقصده الناس وبالغوا في اقتناء خطوطه، وأخذ عنه أبناء الأكابر في بغداد، وممن أخذ عنه: مظفر الدين علي بن علاء الدين الجويني صاحب الديوان، وكتب عليه أولاده وأولاد أخيه، وشرف الدين هارون زوج حفيدة الخليفة المستعصم، ونجم الدين

---

(1) المصرف: مصور الخط العربي: ٣٢٨.

(2) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/ ٨٠، مرزوق: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه: ١٧٣.

(3) شذرات الذهب ٥/ ٨٣، ٤٤٣.

(4) مفتاح السعادة ١/ ٨٤.

البغدادي النحوي العروضي القارىء، وأبو المعالي محمد نجل ابن الفوطي المؤرخ، وعلم الدين سنجر بن عبد الله الرومي[1].

ومن الخطاطين الذين ساروا على طريقة ياقوت في القرن الثامن الهجري بعد سقوط بغداد: عبد الله الصيرفي الذي اشتهر بإجادة خط النسخ، وعبد الله أرغون الذي اشتهر بإجادة الخط المحقق عام ٧٤٢هـ، ويحيى الصوفي تلميذ الصيرفي الذي اشتهر بإجادة خط الثلث عام ٧٣٩هـ، ومبارك شاه قطب الذي اشتهر بإجادة خط التواقيع عام ٧١٠هـ، ومبارك شاه السيوفي الذي اشتهر بإجادة الخط الريحاني عام ٧٣٥هـ، والشيخ أحمد السهروردي الذي اشتهر بإجادة خط الرقاع عام ٧٢٠هـ، وكانت إمارة الخط وولايته بعد ياقوت إلى الخطاط الولي العجمي[2].

عمل ياقوت خازناً بدار الكتب في المدرسة المستنصرية، بإشراف المؤرخ الكبير ابن الفوطي[3]، وقد أفاد ياقوت من دار الكتب في تثقيف نفسه وتنمية مواهبه، وكان يجتمع بالأدباء والشعراء والعلماء والوزراء، فعرفوا فضله وقدروا فنه، ونال رعايتهم وتشجيعهم، وعُزل ياقوت عن خزانة كتب المستنصرية عند سقوط بغداد على يد هولاكو، وفوَّضَ أمر خزائن الكتب إلى موفق الدين أبن أبي الحديد وأخيه عز الدين ابن أبي الحديد[4].

لقد بلغ ياقوت القمة في الخط، وصار يضرب المثل بحسن خطه، فكان الناس إذا استحسنوا خطاً قالوا: (خط ياقوتي)، وكان لياقوت الفضل في تطوير الخط وتهذيبه، وبفضل جهوده صارت مدرسة بغداد الخطية هي السائدة في العالم الإسلامي، وقد دأب الخطاطون

---

(1) الكتبي: فوات الوفيات ٤/ ٦٢٤، ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/ ٨٦.

(2) محمد مرتضى الزبيدي: حكمة الإشراق: ٨٩.

(3) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ٢/ ١٣٦، بغداد عرض تاريخي مصور: ١٤١، ١٤٩.

(4) بغداد عرض تاريخي مصور: ١٤٧.

على تقليد خطه ويمشقون على قاعدته التي لا تـزال حتـى يومنـا هـذا تمتـاز بخصائصها عن المدرسة العثمانية التي أعقبتها[1].

آثاره الخطية:

كتب ياقوت سبعة مصاحف بخطه، وهناك من يبالغ فيقول: "يقال إنه كتب ألف مصحف ومصحف"[2]، وتشتمل خزائن الكتب في استانبول على مـصاحف كثيـرة كتبها ياقوت بخط النسخ والثلث والمحقق وقلم المـصاحف، وزخرفـت بزخـارف جميلة، وبخطه كذلك مؤلفات بدار الكتب المصرية في القاهرة، وهناك خطوط كثيرة لياقوت في خزائن الكتب في أنحاء العالم، من ذلك[3]:

- ديوان المتقب العبدي، ديوان شعر الحادرة، ديوان أبي محجن الثقفي، ديوان المتنبي، ديوان جرير برواية السكري، وغير ذلك.

أما مؤلفاته، فله مؤلفان هما:

١. أخبار وأشعار وملح وحكم ووصايا منتخبة، طبع في الأستانة سنة ١٣٠٢ هـ. أسرار الحكماء، طبع في الأستانة سنة ١٣٠٠هـ[4].
٢. وينسب إليه كتاب في النوادر، لعله أحد هذين الكتابين، لأنه وصل بعنـاوين مختلفة بعدة روايات[5].

أما وفاته فلم تكن موضع خلاف، فقد توفي ياقوت ببغداد سنة ثمان وتـسعين وستمائة للهجرة، رحمه الله تعالى[1].

---

(1) وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد: ١٢٧.
(2) المصرف: مصور الخط العربي: ٣٢٨.
(3) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الملحق ١/ ٥٩٨، سزكين: تاريخ التراث العربي، الترجمة العربية مجلد ٢ جزء ٢ ص ١٤٣، ١٨٦، ١٨٧، ٣٣٤، وجزء ٤ ص ٤٠.
(4) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ١٣١، سزكين ١/ ١٤٣.
(5) بروكلمان، الملحق ١/ ٥٩٨، سزكين ١/ ١٤٣.

شعره:

عرف ياقوت باهتمامه بالأدب والشعر، وقد ذكرت له كتب الأدب والتاريخ طرفاً من شعره، نذكر بعضاً منه، من ذلك قوله في الموت وزوال نعيم الدنيا[2]:

أتعتقدون أنَّ المُلْكَ يبقى ... وأنَّ العيشَ في الدنيا يدومُ

ولا يجري الزوالُ لكم ببالٍ ... كأنَّ الموتَ ليس له هجومُ

فهَبْكمْ نلتمُ ما نالَ كِسرى ... وقيصَرُ والتبابِعةُ القُرومُ

ومُتِّعتمْ بذلك عمرَ نوحٍ ... وحفَّتْكم بأسعَدِها النجومُ

أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى زوالٍ ... لعَمْرِ أبي لقد هَفَتِ الحلومُ

قال الحافظ علم الدين البرزالي، قال أنشدني أبو شامة، قال أنشدني ياقوت لنفسه[3]:

رعى اللهُ أياماً تقَضَّتْ بقربكم ... قِصاراً وحيَّاها الحَيَا وسقاها

فما قلتُ ايهٍ بعدَها لمسامرٍ ... من الناسِ إلا قالَ قلبيَ آهَا

وله شعر عاطفي رقيق، فمن ذلك قوله[4]:

يا خليلي والمنى كاذبةٌ ... والليالي شأنها أنْ تسلبا

قُمْ بنا ما قعدتْ حادثةٌ ... نقْضِ من حَقِّ الصِّبا ما وَجَبا

نَعْصِ مَنْ لامَ على دينِ الهوى ... هذهِ سُنَّةُ أيامِ الصِّبا

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤٤٣، الكتبي: فوات الوفيات ٤/ ٢٦٤، طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ١/ ٨٤.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ٥٠٠.

(3) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤٤٣، الكتبي: فوات الوفيات ٤/ ٢٦٤.

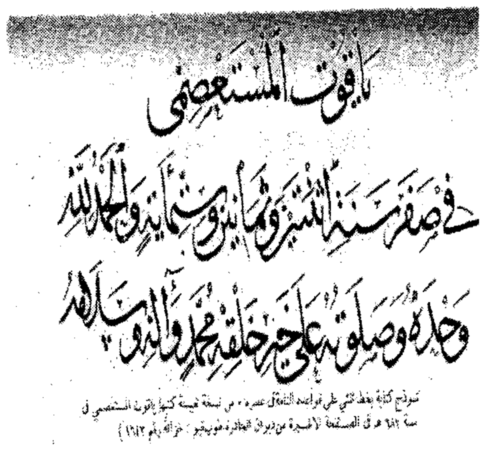
(4) الكتبي: فوات الوفيات ٤/ ٦٢٣.

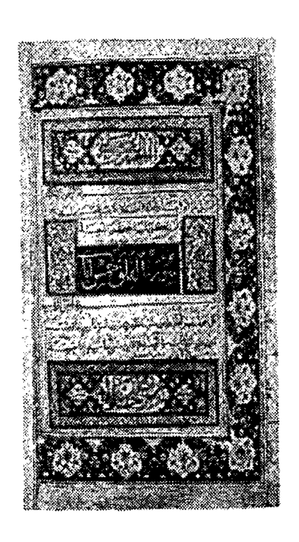
وقال في الغزل(1):

وعَدَتْ أنْ تـزورَ لـيلاً فـألوَتْ ... وأتـتْ بالنهـارِ تـسحَبُ ذيـلاً

قلتُ هَلاَّ صدَقْتِ في الوعـدِ قالـتْ ... هل توهَّمْتَ أنْ تـرى الـشميَ لـيلاً

نمـاذج مـن خـط يـاقوت المستعـصمي







---

(1) السابق ٤/ ٢٦٤.

الفصل الخامس

تجليات الخوف في الشعر العربي القديم

العلماء المسنون بعد الثمانين وعطاؤهم الفكري

العلماء وقولهم "لا أدرى" من قال لا أدرى فقد أفتى

تجليات الخوف في الشعر العربي القديم

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة قبلية قوامها العصبية، وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، يرأسها شيخ أو رئيس تتوافر فيه صفات السيادة والشجاعة والشرف، ولما جاء الإسلام برسالته السماوية الخالدة، نقل العرب من النظام القبلي إلى نظام جديد، ووحد القبائل وجعلهم أمة واحدة دستورها الإسلام، وتبعاً لذلك ظهر مفهوم الدولة، وتضاءل المفهوم القبلي، وأصبح الولاء والعصبية للإسلام.

لقد رسخ الإسلام فكرة الأمة التي عمادها العقيدة والمساواة والتفاضل في التقوى والعمل الصالح، وضمن الإسلام حرية الفرد، ومن الطبيعي أن لا تنتفي العصبية القبلية كليةً، فقد بقيت جذورها، وكان صوتها يعلو حين تسنح الظروف، وقد خبا صوت العصبية إبَّان حكم أبي بكر وعمر، وبعد عمر يجيء عثمان، ويترافق عهده بالرخاء والغنى، وقد أغدق على رعيته وولاته من هذا الغنى، وولَّى ذوي قرباه، وفيهم من لم تحمد سيرته، وتفاقمت الأمور بعد السنوات الست الأولى، وصار الناس يقارنون بين عهد الخليفتين، والعهد العثماني الأموي القبلي، وتعالت أصوات المعارضة وقويت، حتى انتهت بمصرع الخليفة عثمان بن عفان.

وبويع عليٌّ في جو مشحون بالخلاف والغضب. وأعلن معاوية نفسه خليفة في الشام بحجة الأخذ بثأر الخليفة القتيل والاقتصاص من القاتلين. ونقض بيعة علي بعض مَنْ بايعه من القرشيين طمعاً بالسلطة، ويذهب عليٌّ بجيشه إلى البصرة، وتكون وقعة الجمل، ثم إلى الكوفة، وتكون وقعة صفين، ثم التحكيم الذي أدى إلى الانقسامات الداخلية في جيشه والتذمر والخروج عن الطاعة، ثم يُقتل عليّ، وتخلو الساحة لمعاوية، وتستقيم له الأمور، ويعلنها ملكية وراثية.

ومنذ العهد الأموي يعلو صوت العصبية، وصوت المعارضة أيضاً، وتكثر الفتن، ويستحر القتل بالمعارضين من الشيعة والخوارج والزبيرية والموالي، وسلط الأمويون على الناس ولاةً قساة ظالمين سفاكين للدماء، نشروا القتل والتعذيب

والسجون والخوف، ومن طليعة رموز القتل والخوف والعذاب: زياد بن أبيه، والحجاج، وعبيد الله بن خالد القسري، وأخوه أسد بن عبد الله، ويزيد بن المهلب، وعبيد الله بن زياد، ومسلم ابن عقبة المري، وقُرَّة بن شريك، وأمثالهم كثير. وكلهم قد تجاوز شرع الله وحكم بهوى الحاكم، ونشر الرعب والخوف، مخالفاً لشرع الإسلام، شرع الله.

لقد شهد العصر الأموي فظائع ومجازر، وكان في طليعتها مقتل الحسين سبط النبي ﷺ، ووقعة الحرَّة، واستباحة الحرم المكي، ورمي الكعبة بالمنجنيق، ومقتل عبد الله بن الزبير في الحجاز، ومقتل أخيه مصعب في العراق، وثورة المختار الثقفي، وثورة ابن الأشعث، وثورات الخوارج والشيعة، وغيرها.

ولما تضعضعت دولة الأمويين، وجاء العباسيون، واصلوا سياسة القتل والخوف والعذاب، وكان عبد الله بن محمد السفاح مسرفاً في قتل الأمويين، وبلغ مَنْ قتلهم أبو مسلم الخراساني ستمائة ألف، بين رجل وامرأة وغلام، وكان من وصية إبراهيم الإمام أن يقتل أي غلام بلغ خمسة أشبار ممن يشك في ولائهم، وافتن الولاة والطغاة في فنون القتل والتعذيب ونشر الخوف، ومن أبسط ذلك الحبس والجلد، ثم القتل وقطع الرؤوس، والصلب، وسَمْل العيون، وتقطيع الأعضاء، والحرق، والسلخ، وتكسير العظام، وغير ذلك. وكل ذلك خروج على مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وقد ذاق الشعراء من هذا القتل والخوف والعذاب، بل نال بعضهم نصيباً وافراً من هذا العذاب والخوف، وكان شعرهم صدى للرفض والتمرد والخلاف، ونالوا مما نال غيرهم من هذا العذاب، وإذا اتخذنا عينة من الشعراء الذين مثلوا الرفض وتمردوا على الخوف فنالهم العذاب والتنكيل والقتل، نجد من هؤلاء:

الشاعر **يزيد بن مفرغ الحميري**، الذي حُبس وعُذِّب ورُبِطَ بخنزيرة وطيفَ به، وأعشى هَمْدان الذي أُسِرَ وقتله الحجاج صبراً، والعرجي الذي جُلِدَ وشُهِّرَ به وحُبِسَ حتى مات في الحبس، والكُمَيْت بن زيد الأسدي الذي حُبِسَ وجُلِدَ وشُرِّدَ،

وقتله حرس الأمير وهو يُنْشِدُ الشعر، أما أبو نخيلة فقد كان أداة بيد الخلفاء، وألعوبة لأغراضهم السياسية، وكان مصيره الذبح وسلخ وجهه، وكان مصير سديف ابن ميمون أنْ دُفِنَ حيًّاً، وقُتِل بشار بن برد ضرباً بالسياط، وكان نصيب صالح ابن عبد القدوس أنْ ضُرِبَ بالسيف فشُطِرَ شطرين، وعُلِّقَ كلُّ شطرٍ على جسر ببغداد، وكان نصيب العَكَوَّك (علي بن جبلة) أنْ قُطِعَ لسانُه وقُتِلَ، وكان جزاء علي بن الجَهْم أنْ سُجِنَ وصُلِبَ وصودرت أمواله. هذا غيض من فيض، والقائمة طويلة على مرِّ الأزمانِ والدهور، وخير ما يمثل ثقافة الخوف والرعب والعذاب هو شعرهم الذي حفظته الدواوين والأجيال، وصدحت به كلما عَمَّ الظلم وظهر الفساد.

كان الخلفاء الأمويون يسلطون على الشعراء الذين يعارضونهم الولاةَ القساة، فينتقمون منهم بوسائل شتى، وكان أكثر الخلفاء حلماً وأقلهم تنكيلاً معاوية، فقد كان يحذر العواقب ويتقي ألسنة الشعراء، وخاصة الذين كانوا مزوَرِّين عنه، ومنحازين إلى علي بن أبي طالب، ومصداق ذلك أن النابغة الجعدي كان قد خرج مع علي في صِفِّين، فلما صفت الأمور لمعاوية كتب إلى مروان بن الحكم أن يأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان بن الحكم، فأنشده[1]:

مَنْ راكبٌ يأتي ابنَ هند بحاجتي ... على النأي والأنباءُ تُنْمَى وتُجْلَبُ
فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بظِنَّةٍ ... فإني لحَرَّابُ الرجالِ مُحَرَّبُ
صبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كلِّه ... سوى الظلمِ إني إنْ ظُلِمْتُ سأغضَبُ

التفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألاَّ تردَّ عليه شيئاً، فقال معاوية: ما أهونَ والله عليك أنْ ينجحرَ هذا في غار ثم يقطع عِرضي عليٍّ، ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إنْ كنتَ لَمِمَّنْ يرويه! ارْدُدْ عليه كلَّ شيءٍ أخذتَهُ منه. وفي الرواية بيان لخوف السلطة من شعر شعراء المعارضة، وخوف الشاعر مما حلَّ ويحلُّ به.

ولكن الولاة لم يكونوا بهذا الحلم وبعد النظر في سياسة معاوية، فسرعان ما كانوا يبطشون ويستَعِرُ شعر السُخْطِ والهجاء. وممَّن قاسى من وبال الولاة الظلَمَة: الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري، فقد صحب يزيدُ عبَّادَ بن زياد بن أبيه إلى سجستان طمعاً في ماله، وكان عبَّاد كما وصفه القدماء: طَرِفاً ملولاً بخيلاً، قتَّرَ على الجُند والخيل، فقلَّ علف الخيل، فلما كانوا في الطريق هَبَّتْ الريح فنفَشَتْ لحية عبَّاد، وكان عظيم اللحية، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لَخْم كان إلى جنْبه(٢):

ألا ليتَ اللِّحى كانت حشيشاً فنعلفها خيولَ المسلمينا

فسعى اللخمي إلى عبَّاد، فغضب عبَّاد، ولما عاد إلى مجلسه، أحضر ابن مفرغ وطلب منه أن ينشد شعراً قيل في هجاء أبيه ربيعة بن مفرغ، وكلَّفَ غلاماً أنْ يقفَ بالسوط على رأسه، فاضطر يزيد أن ينشد ما قيل في هجاء أبيه، وحاول الاعتذار فلم ينفعه مع غضب عبَّاد وحقده، فأمر بضربه بعد ذلك بالسياط في محبسه، ودعا كل من كان له دَيْن على يزيد فأحضروا، وطالبه بأداء الدَّيْن الذي لا يملك منه شيئاً، فباع عبَّاد فرس يزيد وأثاثَهُ وغلامَه وجاريتَهُ، وبعد اعتذار يزيد وندمه، أطلقه عبَّاد من الحبس، فهرب يزيد إلى البصرة وصار يقول الشعر مستنجداً بمعاوية، وعَرَّض بنسب زياد من معاوية، فَسَنحتْ الفرصة لعبيد الله بن زياد أن ينتقم لأخيه ولنسبه، فأرسل إليه الشُّرَطَ فأُتيَ به فجُلِد، وأمر أنْ يُسْقى نبيذاً حلواً قد خُلِطَ معه الشبرم، وهو نبات مسهل، ووُضِعَ على دابة مربوطاً بهرَّة وخنزيرة، وطِيْفَ به في أسواق البصرة وهو يسلح، والصبيان خلفه يصيحون به، فسقط وكاد يهلك، فأودِعَ السجن وأقيم عليه الحراس يضربونه بالسياط في كل يوم، وعلم عبيد الله بن زياد أن ابن مفرغ كان قبل أن يهرب من عبَّاد قد كتب على الحيطان شعراً في هجاء آل زياد، فأرسله إلى سجستان وأوكل به الشُرَط أن يمحو بعظام أصابعه ودمه، ثم سُلِّم إلى عبَّاد فأودعه السجن، وهكذا عاش الشاعر في خوف ورعب وعذاب سنوات، حتى شفعت له بعد لأي قبيلتُه.

كان القضاء على الأمويين ومجيء العباسيين بأسنة الرماح والسيوف، وقد كثر القتلُ وعمَّ الخوف، وبالرغم من استتباب الأمر للعباسيين إلا أنَّ شهوة القتل ظلت كامنة في نفس أول خليفة، وهو أبو العباس السفاح، فقد ثبتت له الدولة، وأمَّنَ من بقي من أشراف الأمويين على أنفسهم، ودعاهم إلى مجلسه، ولكن سورة الحقد والغضب ظلت تنخر في قلبه، فعمد إلى تمثيلية ساذجة، كان أحد أبطالها شاعر ناقم على بني أمية هو سديف بن ميمون، أحد شعراء الحجاز، الذي نشط في هذا العصر في هجاء الأمويين، فأوعز له السفاح أن ينشد في مجلسه شعراً يحرض على قتل الأمويين، وأحضر السفاح بني هاشم وبني أمية، وأعدَّ لاستقبال سديف في رواية حُبِكَتْ فصولُها، فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل حجازي أسود ملثم ولا يُخبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك، قال: هذا مولاي سديف، يدخل، فدخل، فلما نظر إلى أبي العباس، وبنو أمية حوله، حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول[٣]:

أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس	بالبهاليل من بني العباسِ
يا أميرَ المطهرين من الذَّمْ	مِ ويا رأسَ منتهى كل رأس
لا تقيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثاراً	واقطَعَنْ كل رَقْلةٍ وغِراسِ
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ	ـهُ بدار الهوان والإتعاس
خوفهم أظهر التَّوَدُّدَ منهم	وبهم منكم كحَزِّ المواسي
أقْصِهِم أيها الخليفةُ واحسِمْ	عنكَ بالسيفِ شأفَةَ الأرجاسِ

وقيل إنه قال:

يا ابنَ عَمِّ النبيِّ أنت ضياءٌ	استَبَنَّا بك اليقينَ الجليا
جَرِّدِ السيفَ وارفعْ العفوَ حتى	لا ترى فوقَ ظهرِها أمويا
لا يغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ	إنَّ تحتَ الضلوعِ داءً دَوِيَّا

أقول: وهل يعقل أن يأمر شاعر مغمور ماذا يصنع الخليفة؟! ولكن التمثيلية تأخذ أبعادَها، فقد تغيَّرَ لون أبي العباس، وأخذَتْهُ رِعدةٌ، وأقبلَ على بني أمية وهم ضيوفُه وفي مأمنه، فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا، وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا؟! خذوهم، فأخذتهم الخراسانية بالكافركوبات(٤) فأهمدوا، وكتب السفاح إلى عماله في النواحي أن يقتلوا بني أمية.

وتستمر مسرحية الحقد ونشر الخوف، فدعا أبو العباس بالغداء حين قُتلوا، وأمر ببساط فبُسِطَ عليهم، وجلس فوقهم يأكل وهم يضطربون تحته، فلما فرغ من الأكل قال: ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب لنفسي منها. فلما فرغ قال: جروا بأرجلهم. قال الراوي: فأُلقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياءً. ثم حفِرَتْ لهم بئر فألقوا فيها(٥).

ولكن هل اطمأنَّ سديف بعد ذلك، وذهب الخوف عنه، وهو من الشيعة؟! وقد يئس الشيعة من المشاركة في الحكم، وما هي إلا سنوات حتى ثار محمد بن عبد الله بن الحسن، الملقب بالنفس الزكية، ويكون سديف أحد شعرائه المتحمسين للثورة ضد العباسيين، وتفشل الثورة، ويُقتل دُعاتُها، ويهرب سديف ويتوارى خائفاً من عواقب أفعاله، ويكتب الشاعر إلى أبي جعفر المنصور يعتذر ويسأله أن يمُنَّ عليه بالعفو، ولكن هيهات! فقد كتب المنصور إلى عمه عبد الصمد بن علي يأمره بقتل سديف، ولم تشفع له مواقفه من السفاح، فيقال إنَّ عبد الصمد قطع يديه ورجليه، ثم ضرب عنقه، وقيل أيضاً: إنه حُمِلَ إلى المنصور فضربه ثم دفنه حيّاً(٦). وما كان ما نزل بسديف من عذاب وخوف وترويع إلا درساً لكل شعراء العصر، وإرهاباً لمن تحدثه نفسه أن يغضبَ السلطان أو يخرج عن طاعته.

وكثيراً ما يكون الشاعر الطامع المتذبذب فريسة لنزوات السلطان، ويعيش في خوف دائم، من ذلك أنَّ أبا نُخَيْلة بن حزن التميمي، كان يمدح الأمويين طمعاً في مالهم، ثم صار يمدح العباسيين ويتنصل من مديحه لخصومهم، ويعلل ذلك بالخوف من سلطانهم وجبروتهم، في مثل قوله لأبي العباس السفاح(٧):

كنـــا أناســـاً نمـــدحُ الأملاكـــا إذ ركبـــوا الأعنـــاقَ والأوراكـــا

قـــد ارتجينـــا زمنـــاً أباكـــا ثـــم ارتجينـــا بعـــدَهُ أخـــاكا

ثـــم ارتجينـــا بعـــده إيَّاكـــا وكـــان مـــا قلـــتُ لمـــن ســـواكا

زوراً فقد كَفَّرَ هذا ذاكا

ثم اتفق أنْ أراد المنصور عزلَ ولي عهده عيسى بن موسى، وتولية ابنه المهـــدي مكانه، فأوعز لأبي نُخَيلة أن يقول شعراً في ذلك يرويه الخدم، وعرف أبو نخيلـــة مـــا يراد به، فإنْ هو أبى أن يقول ذلك وقع في سخط المنصور، وإن هو قال ما يـــراد منه وقع في سخط ولي العهد، فجاء وأنشد أرجوزته[٨]:

لـــم يُنـــسني يـــا ابنـــةَ آلِ معبـــدِ ذكراكِ تكـــرارُ الليـــالي العُـــوَّدِ

ويقول فيها:

يـــا أمـــينَ الواحـــد الموحـــد إنَّ الـــذي ولاَّكَ ربُّ المـــسجدِ

لـــيس ولـــيٌّ عهـــدنا بالأســـعدِ عيـــسى فزَحْلِفْهـــا إلـــى محمـــدِ

مـــن عنـــد عيـــسى معهـــداً عـــن معهـــدِ حتى تـــؤدَّى مـــن يـــدٍ إلـــى يـــدِ

فقـــد رضـــينا بـــالغلام الأمـــرَدِ وقد فرغنـــا غيـــرَ أنْ لـــم نـــشهَدِ

وغيـــرَ أنَّ العِقـــدَ لـــم يؤكَّـــدِ فلو سمعنا قولَـــكَ امـــدُدْ امـــدُدِ

وهكذا خُلِعَ عيسى بن موسى، وقبض أبو نخيلة جائزَتَهُ وهي ألفا درهم، وكان المنصور قد حَـــذَّرَ أبا نُخيلة من انتقام عيسى بن موسى، وأمره أن يهـــربَ إلـــى خراسان، دون أن يحمي المنصور صنيعَتَهُ، أما ولي العهد المعزول فقد جَرَّدَ خلفهُ مولى له يقال له قطري، معه عدة من مواليه، وقال له: نفـــسَكَ نفـــسَكَ أنْ يفوتَـــكَ أبو نُخيلة، فخرج قطري في طلبه مُغِذّاً للسير، فلحقهُ في طريقـــهِ إلـــى خراســـان، فأدركهُ وذبحه وسلخ وجهَهُ، وألقى بجسمه إلى النسور، فلم تُبْقِ منه إلا عظامَهُ.

وهكذا عاش أبو نخيلة خائفاً في العهد الأموي، وخائفاً في العهد العباسي، وخائفاً وهو هاربٌ، وخائفاً وهو مقبوضٌ عليه، وخائفاً وهو مربوط مُعَدٌّ للذبح والسلخ.

وشاعر آخر كان كل جنايته جودة شعره، ولقي لأجل ذلك العذاب ونكد العيش، فعاش خائفاً شريداً يترقب، حتى قُتِلَ شرَّ قتلة ولم يجنِ شيئاً غير براعة فنه في المديح، وكان قاتله هو المأمون، أكثر خلفاء بني العباس علماً وأوسعهم إدراكاً، ولكن الحسد ركِبَهُ، إذ مدح الشاعر أحد ولاته بمديح كان يتمناه لنفسه، والشاعر هو **علي بن جَبَلَة المعروف بالعَكَوَّك**، ولد العكوك أعمى وتثقف ثقافة عربية إسلامية، فبرع في شعر المديح، قصد أبا دُلَف القاسم بن عيسى العجلي، القائد الشجاع الجواد، وهو أحد ولاة المأمون، ومدحه بقصيدة طويلة رائعة يقول فيها[٩]:

دع جَدَا قحطانَ أو مُضَرٍ	في يمانيهِ وفي مُضَرَهْ
وامتدحْ من وائلٍ رجلاً	عَصَرُ الآفاقِ من عَصَرَهْ
المنايا في مقانبِهِ	والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ
هَضَمَ الدنيا بنائلِهِ	وأقامَ الدِّيْنَ من عَثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرضِ من عَرَبٍ	بينَ باديْهِ إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منك مكرمةً	يكتسيها يومَ مفتَخَرِهْ
صاغك اللهُ أبا دُلَفٍ	صِبْغَةً في الخلق من خِيَرِهْ

والقصيدة من روائع شعر المديح، بلغت ثلاثة وخمسين بيتاً، صورَّ فيها بطولةَ أبي دلف وسجاياه وكرمه، ومعاركه الحربية، وشيمتَهُ في السلم والشهامة والكرم. وأعطاه أبو دلف مائة ألف درهم، وندم لأنه لم يعطِهِ مائة ألف دينار، وكانت هذه القصيدة قد أثارت حفيظةَ المأمون وحسدَهُ، وتمنى أن تكون قد قيلت فيه، وقد حاول حميد الطوسي أحد من مدحهم علي بن جبلة أن يتوسط للشاعر في مدح المأمون، فاشترط المأمون أن يكون شعره في المأمون أحسنَ مما قال في أبي دلف، وإلا

ضرب عنقه وقطع لسانه، أو يعفيه من الحضور، فاختار ابن جبلة التواري، وهرب في الآفاق خائفاً مذعوراً، أما المأمون فكان كلما سمع منشداً ينشد أبياتاً من القصيدة يغضب وتثور ثائرته، فكتبوا في الآفاق في طلبه، فلما علم ابن جبلة صار يهرب من مكان إلى آخر خائفاً مُرَوَّعَاً، وهو العاجز الأعمى، فهرب إلى الجزيرة ثم إلى الشام، وعلموا به فأخذوه وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يا ابن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كلُّ مَنْ في الأرضِ من عربِ	بين باديهِ إلى حضرهْ
مستعيرٌ منك مكرمةً	يكتسيها يومَ مُفتَخَرِهْ

جعلتنا ممن يستعيرُ المكارم منه؟! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يُقاس بكم أحد، لأن الله عز وجل فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكالَ القاسم وأقرانَهُ. فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكل، سُلُّوا لسانه من قَفاه. فسلوا لسانه وقتلوه.

وهكذا كانت روعة الشعر قد جَنَتْ على الشاعر، فعاش في خوف ورهبة، حتى استراح بالقتل، ومات المادح والممدوح، والحاسد والمحسود، وبقي الشعر يخلد نبوغَ صاحبه وعبقريته وبراعة فنه.

وآخر من نقف عندهم ممن عاشوا في خوف ورعب وعذاب، **الشاعر علي بن الجهم بن بدر القرشي**، كان من أسرة لها مكانة ومَنَعة في الدولة العباسية، وكان أبوه الجهم على بريد اليمن في زمن المنصور، وولاه الثَّغْر، وولاه الواثق الشرطة في بغداد، وكان أخوه الأكبر محمد بن الجهم عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه.

لمع نجم علي بن الجهم في زمن المأمون والمعتصم، ولكن أكثر أشعاره وأخباره مع المتوكل الذي أذاقه المُرَّ والعذاب والسجن والنفي، وعاش خائفاً في سجنه وغربته.

كان يجالس المتوكل ويأنس بمجلسه وشعره، وكان المتوكل يدعوه ليلاً كما يدعوه نهاراً، إلا أن ابن الجهم كان له خصوم من مجموعة من الشعراء والأدباء، من مجالسي المتوكل، وكان كثير السعاية بهم، وقد اجتمع الشعراء على عدائه والنيل منه، فهجاه بعض

الشعراء، منهم: البحتري، ومروان ابن أبي الجنوب، وسَعَوا لدى المتوكل وكادوا له، وزعموا أنه يُجَمِّشُ خدم القصر ويغمزهم، فتغير عليه المتوكل، وأمره أن يلزم داره، ثم سجنه، وبالغ خصومه في الكَيْد له، فزعموا أنه يطعن في الخليفة ويعيبه، ويزري بالخلافة، فمكث ابن الجهم في السجن ولم تشفع له قصائده في مدح المتوكل واستعطافه، فأمر أن يُترك في السجن، وأن يُقَيّدَ، وفي ذلك يقول مؤملاً عطف المتوكل[١٠]:

لا تجزعي إمَّا رأيتِ قيودَهُ   فإنَّ خلاخيلَ الرجالِ قيودُها

ولا تُنْكري حال الرَّخاءِ وفَوْتَهُ   فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يُعيدُها

وكلما هَمَّ المتوكل أن يطلقه، افتَنَّ خصومُه في الكيد له، وكتب قصيدة وأرسلها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة حظية المتوكل، وقال لها: إن عليَّ بن الجهم قد لاذ بكِ وليس له ناصرٌ سواك، فقد اجتمع خصومه على قتله. فأرسلت المرأة القصيدة بيد ابنها المعتز، وقرأها المتوكل على مسمع من الحاضرين، وأوشك أن يعفو عنه،، ولكن خصومه من الشعراء والكُتَّاب صاروا يتعابثون ويهرجون، والمتوكل يضحك ويشرب حتى سكر ونام، فسرقوا القصيدة ونسيها المتوكل أمير المؤمنين. ثم زيَّن الخصوم للمتوكل أن ابن الجهم يهجوه، فأمر بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان، وكتب إلى أمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر أن يصلبه يوماً إلى الليل، ثم يحبسه، فلما وصل إلى الشادياخ حبسه طاهر، ثم أُخْرِجَ فصُلِبَ يوماً إلى الليل، مجرداً من ثيابه، ثم أُنزِلَ إلى الحبس، وقال ابن الجهم يصف ما نزل به وتماسكه وصلابته رغم كيد أعدائه[١١]:

لم ينصبوا بالشادياخِ عشيَّةَ   الاثنين مسبوقاً ولا مجهولاً

نصبوا بحمد الله مِلْءَ قلوبهم   شرفاً ومِلْءَ صدورِهم تبجيلاً

ما ازدادَ إلا رِفعَةً بنكولِهِ   وازدادتِ الأعداءُ عنه نكولا

ومكث في سجن طاهر بن عبد الله زمناً، ثم بعد لأيٍ رَقَّ له المتوكل، فكتب إلى طاهر بن عبد الله بإطلاقه، فأطلقه طاهر ووصله وحمله وكساه.

ولما انجلت المحنة عن ابن الجهم، بقي يعيش في ذكريات الخوف والعذاب، فلم يجد له صديقاً يواسيه، وساء ظَنُّهُ بالناس وسئم العيش، وزهد في الدنيا،

واشتاق إلى الوطن، بعد أن ذهب أهله، ومات من يحبهم، فصار في خراسان يجاور القبور، ويرتاح إلى مجالسة الموتى، ويذري الدمعَ سخياً، وينشد معبراً عن حزنه وغربته وعذابه: [١٢]

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عند غُربَتِهِ	ويذكرُ الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسَيتُ أذكُرُهُ	إلا المقابرَ إذْ صارت لهم وطَنا

ويعود ابن الجهم إلى داره في شارع دُجيل ببغداد، وقد رافقته الغربة في وطنه، فاعتزل وانصرف الناس عنه، ويُقتَل المتوكل بيد قوَّاد جيشه، وبتدبيرٍ من ابنه المنتصر، وتضطرب أمور البلاد، وتقوى شوكة العدو، ويغزو الروم المسلمين ويسلبونهم أموالهم ونساءَهم، ويخرج ابن الجهم لقتال العدو، ويصبر في الحرب، ويصاب بطعنة قاتلة، فاحْتُمِلَ وهو ينزف، فلما أحَسَّ بالموت صار يتشوَّق إلى أهلِه ووطنه ويصف حاله، وينشد الشعر المؤثر الحزين [١٣]:

أزيدَ في اللَّيلِ ليلُ	أم سالَ بالصبحِ سَيْلُ
ذكرتُ أهْلَ دُجَيْلٍ	وأينَ منِّي دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان معه في القافلة، ومات في السَّحَر، فدُفِنَ في ذلك المنزل على مرحلةٍ من حلب، وحين نُزِعتْ ثيابُه بعد موته، وُجِد معه رقعة يذكر فيها معاناته وغربته [١٤]:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ النا	زحِ ماذا بنفسِهِ صنعا
فارقَ أحبابَهُ فما انتفعوا	بالعيشِ من بعدِهِ ولا انتفعا

وهكذا ارتاح الشاعر بعد رحلة عذاب وخوف وغربة وتشريد.

وبعد فهذا غيضٌ من فيض من ثقافة الخوف والرعب والعذاب التي عاشها الشعراء، وليس ما قدمناه إلا نماذج قليلة منتقاة، وإلا فالقائمة طويلة ورحلة العذاب كبيرة لدى الشعراء وغير الشعراء، في الأدب العربي، وفي كل زمان ومكان.

الهوامش:

١. الأغاني ٥/ ٣٥ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٢، ديوان النابغة: ٢٧-٢٨، تحقيق واضح الصمد، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٨م.
٢. ديوان ابن مفرغ: ٢٢٥، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط بيروت ١٩٩٣ م، الأغاني ١٨/ ١٦٦، وانظر كتاب محن الشعراء والأدباء، يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.
٣. الأغاني ٤/ ٣٣٩-٣٤٠.
٤. آلة يضرب بها، والكلمة أعجمية.
٥. الأغاني ٤/ ٣٤١، طبقات ابن المعتز: ٣٩.
٦. طبقات ابن المعتز: ٤٢، تاريخ ابن عساكر ١٥/ ١٢٦.
٧. الأغاني ٢٠/ ٤٠٥.
٨. الأغاني ٢٠/ ٤٢٨-٤٢٩.
٩. شعر علي بن جبلة: ٦٥-٦٨، جمع حسين عطوان، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، الأغاني ٢٠/ ٢١.
١٠. ديوان علي بن الجهم: ٥١، تحقيق خليل مردم، ط بيروت ١٩٨٠م.
١١. الديوان: ١٧١، الأغاني ١٠/ ٢٥٣.
١٢. الأغاني ١٠/ ٢٧٠.
١٣. الديوان: ١٧٠، الأغاني ١٠/ ٢٧٩.
١٤. الديوان: ١٥، وانظر سيرته ومأساته في: محن الشعراء: ١٨٥-١٩٢.

مع العلماء الكبار وعطاؤهم الفكري

شاع بين الناس -وما أكثر الأخطاء الشائعة- أن سن السبعين هي سن الشيخوخة والتقاعد والكسل واليأس والإهمال، فما بالك بالثمانين والتسعين، وقد يكون هذا صحيحاً لدى الفئات التي لا تعنى بالعلم والتفكير والثقافة، أما فئة العلماء فسن السبعين هي سن النضج والكمال الفكري والعطاء الناضج الغزير، فجل ما قدمه العلماء المشهورون في الحضارة العربية وغيرهم من حضارات الأمم الأخرى كان في سن الكمال والنضج وهي سن السبعين، وقد تمتد إلى الثمانين والتسعين، وإذا نظرنا في التراث العربي نجد أن خير العطاء وأجزله وأكثره نضجاً وتعقلاً وسداداً كان في هذه المرحلة وما بعدها، وسنعزز هذه المقولة بنماذج من عطاء المفكرين في الحضارة الإسلامية والمفكرين العرب في العصر الحاضر.

ولا شك أن الأعمال العضلية تختلف عن الأعمال التي تعتمد على التفكير والقراءة والبحث والكتابة، فالأعمال التي تعتمد على الجهد العضلي تستهلك القوى وتبدأ علامات الشيخوخة والإجهاد في سن مبكرة لا تتجاوز الستين من العمر، وكلما طالت سني العمر نقصت القوى وزاد الجهد وقل العطاء، أما الجهد الفكري فكلما تقدم العمر زاد الباحث والمفكر خبرة وسهل عطاؤه ونضجت خبراته، وتفتحت أمامه آفاق العلم وسهلت عليه وسائله، فما كان ينجزه الباحث في سن الثلاثين ينجز أضعافه في سن الستين والسبعين، على الرغم من حيوية الشباب وقوة التحمل، وإذا نظرنا فيما خلفه العلماء العرب والمسلمون في التراث، نجد أكثر إنتاجهم وأنضجه كان فيما بعد الستين والسبعين إلى الثمانين.

ولأمر ما كانت سن الستين هي سن التقاعد للوظائف التي تحتاج إلى جهد عضلي أو لأعمال روتينية، ولكن الأعمال العلمية تتأخر، وقد فطنت الجامعات العريقة في أوربا وبعض الدول العربية إلى مد سن التقاعد للأساتذة والعلماء إلى سن متأخرة، وحتى بعد أن يحال العالم إلى التقاعد فإن عمله العلمي يكون مستمراً،

وعرفنا في بعض الجامعات رتبة الأستاذ المتميز الذي له أبحاث أصيلة فلا يستغنى عن خدماته ويبقى مستمراً في عمله في الجامعة مع تفرغه للبحث العلمي والدراسات العليا، ومعروف أن كثيراً من الجامعات تخفض العبء التدريسي لمن بلغ الستين ساعتين أسبوعياً، فإذا كان العبء الأساسي ثماني ساعات أسبوعياً يصبح ست ساعات، وعرفنا في بعض الجامعات العربية وأكثر الأوربية أساتذة بلغوا السبعين والثمانين وما زالوا في الجامعات متفرغين للبحث والإشراف على الرسائل الجامعية ويستشارون في القضايا العلمية وهم في مكاتبهم، ويبقون أعضاء في المجالس، وقد شهدت في جامعة كمبريدج أساتذة بلغوا الثمانين أو التسعين وهم في مكاتبهم ويناقشون الرسائل الجامعية أو يشرفون عليها، ويُرجَع إليهم في الاستشارات ويحضرون اجتماعات مجالس الجامعة، ويُعتز بهم في الاحتفالات والمناسبات، وعرفت في الجامعات المصرية من أساتذتي الذين بلغوا الثمانين أو يزيد يعتبرون أساتذة غير متفرغين ويشرفون على رسائل الماجستير والدكتوراه، ويكرم الأستاذ بأن يذهب طلاب الدكتوراه إلى بيته لتلقي الدرس دون أن يكلف الأستاذ بالذهاب إلى مكتبه في الجامعة. وأذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد محمد حسين والدكتور أحمد محمد خلف الله، يرحمهم الله في جامعة الإسكندرية، والدكتور شوقي ضيف والدكتور يوسف خليف والدكتور أحمد الحوفي وغيرهم في جامعة القاهرة، وكلهم أساتذتي الذين أعتز بهم رحم الله من رحل منهم ومد الله في أعمار من بقي منهم.

ونسأل هنا سؤالاً: لماذا يعمر كثير من العلماء على خلاف غيرهم من العاملين؟ أقول: لعل هناك جملة أسباب، منها:

١. إن أكثر العلماء من السابقين والمعاصرين هم من الطبقة الوسطى، لا الفقيرة المجهدة، ولا الغنية المترفة.

٢. إن أكثر العلماء كانوا يتبعون الوسائل الصحية في العيش فلم يكن منهم النهم في طعامه أو شرابه ولم تكن لهم طموحات غير علمية تجعلهم في توتر وعصبية أو خوف وترقب، كأن تكون لهم طموحات سياسية أو مالية.

وفي الجملة فإن حياتهم كانت هادئة وصحية، والصحة والهدوء يطيلان العمر. يقول الأطباء: إن التفكير الصحيح والمنطق السليم في إتباع وسائل المعيشة الصحية المنظمة في الأكل والشرب والنوم والسكن والعمل والرياضة وكل ما يتصل بمسائل الحياة، كل ذلك يطيل العمر ويوفر العيش الهادئ ويبعد الأمراض والعلل، إن مدى الحياة لا تحد بحدود ثابتة معينة، فهو يتفاوت بين الناس، ومرحلة الشيخوخة لا تسير في طريق واحدة عند جميع الأفراد، إذ تتدخل في سيرها عوامل عدة وتغيرات منوعة[1]، ومن المعروف أن معدل العمر يختلف إلى حد ما باختلاف الأجناس والشعوب ونوع المهنة التي يكسب منها قوته، فبعض الطوائف التي يغلب على عملها النظام والسكون والهدوء مثل العلماء ورجال الدين يمتازون عن غيرهم بطول العمر.

إن أكثر حوادث الموت التي تصيب الأمم المتحضرة سببها إتباع الوسائل الخاطئة في المعيشة، وتكون سبباً في انتشار أمراض مثل البول السكري، وتضخم الكبد الكلى، والمرارة والزائدة الدودية، والبدانة المفرطة، وارتفاع ضغط الدم، والسرطان، وتصلب الشرايين، وأمراض القلب والرئتين. ولا شك أن احتفاظ المرء بشبابه وصحته ليست مصادفة، ولا هي بالقضاء والقدر، بل أساسها فن وعلم، وهي تعتمد على خطة حكيمة موضوعة، وأساليب مرسومة، وفلسفة يجب أن يسير المرء بموجبها منذ الصغر، والملاحظ أن الذين يعمرون طويلاً لهم صفات معينة في الأكل وصفات المعيشة، وهم في العادة بعيدون عن المشاكل المعقدة في الحياة ويكرهون الانغماس في المسرات، ولا يسرفون في الأكل وتناول المكيفات والاستمتاع بالملاذ التي يقبل عليها غيرهم من الناس.

ومن الملاحظ أيضاً أن أكثر العلماء المعمرين هم من الطبقة المتوسطة، لا الغنية المترفة ولا الفقيرة المحرومة، فالغنيُّ في العادة يجد السبيل أمامه ممهداً للانغماس في الشهوات، وقد يسرف في الأكل والشرب والسهر والتدخين، والاستمتاع بملاذ الحياة، وأما الفقير فهو على خلاف ذلك، فلا يجد الغذاء الكافي والحياة الصحية ويضطر للعمل المجهد الشاق مع عدم توفر الأسباب الصحية في العيش وعدم تيسر الغذاء الصحي، فلا يستطيع شراء اللحوم والبيض واللبن والسمن والفاكهة وغيرها من الأغذية الجيدة، فيصاب بالأنيميا والضعف، وتقل مناعة جسمه لمقاومة كثير من الأمراض التي تنشأ عن سوء التغذية، كما أن الأعمال التي يكسب منها الفقير قوت يومه غالباً ما تكون شاقة ومجهدة، بالإضافة إلى أن ساعات العمل قد لا تكون مناسبة، فتضطره إلى المكث مدة طويلة في جو رطب أو بارد أو حار أو غير صحي، مما يؤثر تدريجياً في صحته(٢). أما الطبقة الوسطى فهي في الغالب التي تتوفر لها التغذية الصحية والتمتع بقسط من الراحة وعدم الانهماك بمشاغل الحياة، وممارسة كل أمر فيها من أعمال وملذات في شيء من الاعتدال، فإن جسمه يظل نشطاً قوياً إلى ما بعد الثمانين، وتبقى قوة احتماله لأعباء الحياة وقدرته على مقاومة التعب مستمرة، وتكون أعراض الشيخوخة والمرض متأخرة.

وإذا عدنا إلى العلماء المسنين من القدماء والمحدثين نجد أن جلهم كانوا من الطبقة الوسطى، ولم يعرف عنهم الحرمان، ولا الانهماك في الملذات والعادات السيئة ولا الطموح غير المشروع البعيد عن اهتماماتهم.

فأما العلماء القدامى في التراث العربي والإسلامي الذين أثروا الحياة الفكرية وقدموا العطاء الوفير في اللغة والأدب والعلم والحضارة، فنجد منهم من جاوز الثمانين إلى التسعين أو يزيد، وكان أكثر مؤلفاته الناضجة الرائعة قد أنجزت بعد السبعين، ومن هؤلاء الأفذاذ من علماء وأدباء التراث، فممن جاوزا الثمانين (وهم عينة وحسب): الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الذي توفي وعمره اثنان وتسعون سنة (١٦٣-٢٥٥هـ) وأنجز في هذا العمر الحافل أكثر من أربعين مؤلفاً

بين كتاب ورسالة، وفي الكتب ما يبلــغ مجلــدات ســبع مثــل كتــاب الحيــوان.
وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي القرشي الذي تــوفي وقــد قــارب التــسعين (٥٠٨-٥٩٧هــ)، وقد بلغت مؤلفاته المئات، قيل ٦٠٠ كتاب وصل منها خمــسون كتاباً ومنها في مجلدات مثل كتاب المنتظم الذي بلغ عشر مجلدات.

والطبري، محمد بن جرير الذي بلغ الــسادسة والثمــانين (٢٢٤-٣١٠هــــ) وأنجز روائع، يكفي أن نذكر منها تاريخ الأمم والملوك في أحــد عــشر مجلــداً، وتفسير الطبري في ثلاثين مجلداً.

وأبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان الذي بلغ السادسة والثمانين (٣٦٣-٤٤٩هــ) وخلف سبعة عشر كتاباً، غير الدواوين الشعرية على الرغم مــن ظروفه القاسية.

والإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة الذي بلغ السادسة والثمانين (٩٣-١٧٩هــ)، وكل حياته ثبات وجهــاد، لــه الموطأ وستة كتب أخرى.

والفارابي الذي بلغ الثمانين (٢٦١-٣٣٩هــ) وقد عرف بعلمه وفلسفته وكــان يسمى المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول، ألف أربعة عشر كتاباً.

ويطول بنا الكلام إذا ذهبنا نستقصي المعمرين ممن بلغوا الثمانين وأثروا الفكر بمؤلفاتهم، أما من بلغ الخامسة والسبعين وجاوزوها فهم كثير، وعطــاؤهم زاخــر وأكثر ما قدموه وأنضجه كان بعد السبعين، فمن هؤلاء:

الإمام أحمد بن حنبل صاحب المــذهب الحنبلــي بلــغ الــسابعة والــسبعين (١٦٤-٢٤١هــ) وله من الكتب عشر مجلدات.

والمبرد محمد بن يزيــد الثمــالي الأزدي الــذي بلــغ الــسادسة والــسبعين (٢١٠-٢٨٦هــ)، صاحب الكامل ومؤلفاته كثيرة.

وابن خلدون صاحب المقدمة والعبر بلغ السادسة والسبعين (٧٣٢-٨٠٨ هــ).

وابن الأثير علي بن محمد المؤرخ صاحب الكامل في التاريخ بلغ الخامسة والسبعين (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ).

ونصير الدين الطوسي محمد بن محمد الفيلسوف وعالم الرياضيات، بلغ الخامسة والسبعين (٥٩٧-٦٧٢هـ)، وله من الكتب ثمانية وثلاثون كتاباً. ونكتفي بهذه العينة.

أما من بلغ السبعين وأثرى الفكر العربي الإسلامي فأكثر مما يحيط بهم حصر. هذا من علماء التراث أما علماء العصر الحديث الذين أثروا الفكر وكان عطاؤهم مميزاً بعد أن بلغو الثمانين أو جاوزوها، فأكثر من أن يحاط بهم، نذكر بعضهم على سبيل التمثيل لا الحصر، ولا نذكر الأحياء هنا فهم كثر مد الله في أعمارهم من مثل الأستاذ الشيخ يوسف القرضاوي، وشوقي ضيف[٣]، وصلاح الدين المنجد، وعبد الهادي التازي، وفؤاد سزكين، وناصر الدين الأسد، وشاكر الفحام، ومازن المبارك، وغيرهم كثير بارك الله في عطائهم الميمون، ولكننا سنقف عند كوكبة من علمائنا الأفذاذ الذين أثْرَوا حياتنا الفكرية وخاصة فيما يخص اللغة والأدب، وجلهم من أساتذتي الذين نهلت العلم منهم، سواء من التقيت بهم أو أخذت العلم من تراثهم العلمي المكتوب. فممن أنعم الله عليهم وبلغو التسعين أو تزيد:

الأستاذ الشيخ أحمد عبيد، أحمد بن محمد حسن بن يوسف بن عبيد أحد علماء الشام النادرين بلغ السابعة والتسعين (١٨٩٢-١٩٨٩م) له كتب كثيرة في إحياء التراث العربي تحقيقاً وتأليفاً.

الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثري الذي بلغ الرابعة والتسعين (١٩٠٤-١٩٩٦م)، ومؤلفاته كثيرة تزيد عن الأربعة عشر كتاباً غير الأبحاث المنشورة في المجلات.

الأستاذ إبراهيم الأبياري الذي بلغ الثانية والتسعين (١٩٠٢-١٩٩٤م) وهو من أعلام المحققين في مصر، وله من الكتب أكثر من ستة عشر كتاباً وجلها مجلدات.

الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الهندي الذي بلغ الحادية والتسعين (١٩٠١ -١٩٩٢م)، ألف وحقق بالعربية كتباً إسلامية كثيرة بالإضافة إلى ما ألفه بالأوردية، وكتبه كثيرة.

والأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وهو من علماء الهند المسلمين النادرين السباقين إلى تحقيق التراث، بلغ التسعين (١٨٨٨-١٩٧٨م) وله من الكتب ما يزيد عن أربعة عشر كتاباً، من بينها كتابه الكبير سمط اللآلئ.

الأستاذ الشيخ حمد الجاسر الذي بلغ التسعين (١٩١٠-٢٠٠٠م) وهو أشهر من أن يعرف، علامة الجزيرة وصاحب مجلة العرب وقد ظل يكتب ويحقق ويدقق حتى آخر أيامه، ومؤلفاته كثيرة جداً بلغت المئات، وكان يكتب أكثر مجلة العرب التي جاوز عمرها خمسة وثلاثين عاماً، وما زال يصدرها طلابه ومحبوه.

أما من جاوز الثمانين من علماء العربية وسدنة التراث فهم كُثْر نذكر منهم:

الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر الذي بلغ الثامنة والثمانين (١٩٠٩-١٩٩٧م)، وهو من نوادر علماء العربية والمحققين، زادت مؤلفاته عن الخمسة عشر كتاباً بعضها مجلدات.

والأستاذ سعيد الأفغاني من علماء دمشق الذي بلغ الثامنة والثمانين (١٩٠٩-١٩٩٧م)، وألف وحقق أكثر من اثني عشر كتاباً.

والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الذي بلغ السادسة والثمانين (١٨٨٢- ١٩٦٨م) ومؤلفاته كثيرة في مجال علوم القرآن والحديث النبوي وقد بلغت مؤلفاته أكثر من خمسة عشر كتاباً، ومن درر أعماله المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

والأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) التي بلغت السادسة والثمانين (١٩١٢-١٩٩٨م)، وقد أثْرَت الدراسات الأدبية والإسلامية بمؤلفاتها وتحقيقاتها التي زادت عن خمسة عشر كتاباً.

والأستاذ الدكتور حسين مؤنس من كبار الأدباء والمؤرخين الذي بلغ الخامسة والثمانين (١٩١١-١٩٩٦م) وقد خلف أكثر من أربعة عشر مؤلفاً، ولو لم يكن له إلا (أطلس التاريخ الإسلامي) لكفاه فخراً.

والأستاذ العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب الذي بلغ الرابعة والثمانين (١٨٨٤-١٩٦٨م)، وكان مولعاً بالحضارة العربية الإسلامية وخلف أكثر من عشر مجلدات.

والأستاذ الباحث العراقي كوركيس عواد الذي بلغ الرابعة والثمانين (١٩٠٨-١٩٩٢م) وقد ألف أكثر من عشرين كتاباً في مجال الأدب والتاريخ والحضارة.

والأستاذ الدكتور طه حسين الذي بلغ الرابعة والثمانين (١٨٨٩-١٩٧٣م)، وخلف تراثاً كبيراً في الأدب والنقد والسيرة والتاريخ.

والأستاذ أحمد فارس الشدياق العلامة اللبناني الذي بلغ الثالثة والثمانين (١٨٠٤-١٨٨٧م)، وألف عشرة كتب كبار في اللغة والأدب بالإضافة إلى ديوان شعر كبير.

والأستاذ خير الدين الزركلي الدمشقي الذي بلغ الثالثة والثمانين (١٨٩٣-١٩٧٦م) وألف في التراجم والرحلات، ويكفي أن يكون له كتابه الكبير (الأعلام) في ثماني مجلدات.

والأستاذ الباحث الأديب المؤرخ حبيب الزيات الدمشقي الذي بلغ الثالثة والثمانين (١٨٧١-١٩٥٤م) وقد ألف أكثر من أربعة عشر كتاباً غير المقالات التي نشرها في المجلات.

والأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الذي بلغ الثالثة والثمانين (١٨٨٥-١٩٦٨م) وله مجموعة من الكتب، ومقالات كثيرة في مجلة الرسالة التي كانت مدرسة أدبية دامت طويلاً وخرَّجت أجيالاً من الباحثين والأدباء.

هؤلاء وغيرهم كثير، وكثير جداً من المعمرين الذين جاوزوا الثمانين أو جاوز منهم التسعين من أعلام الفكر والثقافة والحضارة العربية الإسلامية، وما ذكرنا منهم، هم نماذج مختارة أما استقصاء أمثالهم فأمر عسير، ولا نقف عند من بلغ السبعين أو جاوزها إلى الثمانين فإنهم كثير لا يحدهم حصر وقد أثروا الحياة الثقافية في الجيل الماضي ورفدوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم النفيسة في اللغة والأدب والتاريخ والحضارة وإحياء التراث العربي.

ونعود لما سبق أن ذكرناه: من أن الإنسان إذا التزم في حياته الاعتدالَ في العيش واعتاد العادات الصحية فإنه يبلغ السن الكبيرة ولا يقعد عن عطائه الفكري ونشاطه العقلي، ما دام المسن يعيش في جو صحي بعيد عن الانفعالات النفسية، ولم يعتد العادات السيئة من التدخين وتناول لمسكرات، بل اعتاد على مزاولة الرياضة والقيام بالأعمال التي تناسب العمر، وتناول الغذاء الصحي المناسب للجسم في أوقات معينة دون شره أو إكثار.

وقد قيل: "إن باستطاعة كبار السن أن يتعلموا تعلماً منتجاً، وأن سنوات السن المتقدمة تشكل أطول مراحل عمر الإنسان، وإنها مرحلة الحكمة والنور والخبرة الواسعة والواقعية"(٤).

ويتميز كبار السن بذخيرة من الدراية والخبرة، هي حصيلة الوراثة والظروف البيئية، فالكبار لديهم خبرات كبيرة ومتنوعة تمكنهم من عملية التعلم والتعليم والعطاء الثَّر الغزير، ولذلك فإن مرحلة الشيخوخة بالنسبة للمتعلمين ليست مرحلة خمول وتراخ واندثار، بل مرحلة عطاء ونشاط فكري، وهي مرحلة الخبرة والحكمة، وقد لوحظ أن بعض الراشدين يظلون نشطين في مرحلة الشيخوخة المبكرة حتى عامهم التسعين، وبعضهم يشيخون عقلياً قبل بلوغهم الستين(٥).

وما ذكرناه من نشاط المعمرين العرب والمسلمين وغزارة عطائهم في الحضارة العربية الإسلامية، هو من هذا الضرب من المسنين، ولا ننسى ما وُهِب هؤلاء من ذكاء وخبرة وراحة نفسية وحوافز وطموح في البذل والعطاء.

الهوامش

١- نحن المعمرون ص ١٢.

٢- السابق ص ٢١.

٣- توفي بأخرة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رحمه الله، وقد ترك تراثاً ضخماً من المؤلفات في كل علم وفن، وتخرج على يديه أجيال من العلماء والباحثين تغمده الله برحمته.

٤- روبي كيد: كيف يتعلم الكبار ص ٣٥، وانظر سيكولوجية الشيخوخة: مسارع الراوي ص ١٨ ط بغداد ١٩٩٩م.

٥- بيسكوف: علم نفس الكبار ص ٥٧٨ وما بعدها، عن سيكولوجية الشيخوخة ص ٣٥.

المراجع:

- الأعلام - الزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.
- أعلام التراث في العصر الحديث - محمود الأرناؤوط، ط دار ابن العماد، بيروت ٢٠٠١.
- أعلام الفكر الإسلامي - أحمد تيمور باشا، ط القاهرة ١٩٦٧.
- دراسات في سيكولوجية المسنين - عبد اللطيف محمد خليفة، ط دار غريب، القاهرة ١٩٩٧.
- سيكولوجية الشيخوخة - مسارع الراوي ن ط بغداد ١٩٩٩.
- المعاصرون - محمد كرد علي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق.
- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣.
- نحن المعمرون - حسن عبد السلام، ط دار المعارف، مصر ١٩٥٢.

العلماء وقولهم "لا أدرى"
من قال: لا أدرى فقد أفتى

كان وما زال بعض العلماء المتثبتين الراسخين في العلم إذا سئل عن قضية ولم يتوثق منها كل التوثق يقول: "لا أدرى"، أو "لا أعلم"، أو "والله أعلم"، حتى لا يفتي فيقع في الخطأ ويأثم. وكانوا يُجِلون العالِم إذا سئل ولم يعرف أن يقول لا أدرى. أما من يجيب دون تثبت حُباً في التظاهر بالعلم فكانت تنحط منزلته في أعين الناس؛ إذ إن السائل يسأل العالم فإذا أجابه بغير الحق سأل غيره وغيره، حتى تتضح حقيقة السؤال فيعلم أيهم كان مصيباً، وبهذا ترتفع منازل العلماء الثقات الذين لا يجيبون إلا عن المسائل التي يعرفونها كل المعرفة من غير شك ولا لبس، وتسقط منازل من يجيبون دون علم خجلاً من أن يقولوا: لا أعلم أو لا أدري.

وكان العلماء المسلمون يقولون: "تعلم" لا أدرى "فإنك إن قلت: لا أدرى، علموك حتى تدري، وان قلتَ: أدرى، سألوك حتى لا تدرى"[١]، وكانوا يقولون: "لا أدرى: هذه نصف المعرفة"[٢]. وقديماً كان فلاسفة اليونان على هذا المنهج؛ فقد نُقل عن سقراط قوله: "إني أعرف أنني لا أعرف"، وكان أفلاطون يقول: "ما معي من فضيلة العلم إلا علمي بأني لست بعالمٍ"، وسُئل أفلاطون عند موته عن الدنيا، فقال: "خرجت إليها مضطراً، وعشت فيها متحيراً، وها أنا أخرج منها كارهاً، ولم أعلم فيها إلا أننى لا أعلم"[٣]. وكان الشعبي يقول: "لا أدري هذه نصف المعرفة"[٤].

ويكون الاعتذار بـ "لا أدري" في القضايا الشرعية أوجب من غيرها، لما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة؛ ولذلك كان الشعبى يتحرج من الإجابة عن المسائل التي لم يتحقق منها كل التحقق، فكان كثيراً ما يقول: "لا أدري". نُقِل عن السيوطى عن القاضي التنوخي: "أن الشعبي سُئل عن مسألة، فقال: لا أدري. فقيل له: بأي شيء تأخذون رزق السلطان؟ فقال: لأِقُولَ لا أدري فيما لا أدري"[٥] وينقل السيوطي رواية أخرى عن كتاب "الأشراف" لابن أبي الدنيا، جاء فيها أنه قيل

للشعبي: إنا لنستحي من كثرة ما تُسأل فتقول: لا أدرى، فقال: لكن ملائكة الله المقربين لم يستحوا حين سُئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾(٦). وكان العلماء يرفعون من قَدْر العالِم المتواضع الذي يقر بجهله فيما يُسأل عنه. يقول ابن جماعة: "واعلم أن قول المسؤول "لا أدري" لا يضع من قدره كما يظن بعض الجهلة، بل يرفعه، لأنه دليل عظيم على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه، وطهارة ربه، وكمال معرفته، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورِقة دين، وربما يُشهر خطؤه بين الناس، فيقع فيما فر منه، ويتصف عندهم بما احترز منه"(٧).

وقد حفظتْ كتب الأدب واللغة والحديث روايات عن الصدر الأول في قضية (لا أدري). وقد أفرد ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" باباً في موضوع (ما يلزم العالِم إذا سُئل عما لا يدريه من وجوه العلم)، وقد بدأه بقول لرسول الله ﷺ حين سئل عن خير البقاع وعن شر البقاع فقال: لا أدرى. فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي البقاع خير؟ قال: لا أدري، فقال: أي البقاع شر؟ فقال: لا أدري. فقال: سَلْ ربك. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل، أي البقاع خير؟ قال: لا أدري، فقال: أي البقاع شر؟ فقال: لا أدرى. فقال: سَلْ ربك، فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ، فقال: ما أسأله عن شيء، فقال الله عز وجل لجبريل: سألك محمد أى البقاع خير؟ فقلت: لا أدري، وسألك أي البقاع شر؟ فقلتَ: لا أدرى؛ فأخبرْه أن خير البقاع المساجد، وأن شر البقاع الأسواق"(٨). وقد أدب رسول الله ﷺ المؤمنين أن يقولوا بما يعملون، وإذا لم يعلموا أن يقولوا: الله أعلم.

فعن ابن مسعود أنه سمع النبي يقول: "يا أيها الناس! من عَلِم منكم شيئاً فيلقل، ومن لم يعلم فليقل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن من عِلْمِ المرء أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. وقد قال الله لنبيه ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ص: ٨٦(٩).

إن قريشاً لما أبطأوا على رسول الله ﷺ بالإسلام، وذكر الحديث[١٠].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتحرجون أن يقولوا فيما لا يعلمون، فعن أبي معمر عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله بغير علم"[١١]. وكذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ يوصى مَن لا يعلم أن يقول: لا أدرى. فقد سأل عمر رجلاً عن شيء، فقال: الله أعلم. فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لانعلم أن الله أعلم. اذا سُئل أحدكم عن شيء لا يعلمه، فليقل: لا أدرى[١٢]. وذكر الشعبي عن علي ﷺ أنه خرج عليهم، وهو يقول: "ما أبردها على الكبد، ما أبردها على الكبد، فقيل له: وما ذاك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم[١٣].

وكانوا يجلون مَن سُئل ولم يعلم أن يقول لا أعلم أو لا أدرى. فعن نافع عن ابن عمر أنه سُئل عن شيء، فقال: لا أدري، فلما ولى الرجل قال: نعما، قال عبد الله بن عمر: سُئل عما لا يعلم، فقال: لا علم لي به[١٤]. وسُئل سعيد بن جبير ﷺ عن شيء فقال: لا أعلم، ثم قال: ويل للذي يقول لما لا يعلم: إنى أعلم. وكان القاسم بن محمد كثيراً مايُسأل فيقول: لا أعلم. فعن يحيى بن سعيد أن القاسم قال: "يا أهل العراق! إنا والله لا نعلم كثيراً مما تسألونا عنه، ولأن يعيش المرء جاهلاً إلا أنه يعلم ما افترض الله عليه، خير له من أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم"[١٥]. وجاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: "لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دُفعت إليك، لا أعرف غيرك. فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي! الزمها، فو الله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم. فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحب إلى من أن يتكلم. بما لا علم لي به"[١٦].

وكان علماء الصدر الأول يفصحون عما لا يعلمون باعتداد ودون حرج، ويخشون أن يقولوا على الله ورسوله ما لا يعلمون. فعن عبد الرحمن بن مهدي قال: "كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل. فسأله الرجل عن مسألة، قال: لا أحسنها. قال: فبُهت الرجل، كأنه قد جاء إلى مَن يعلم كل شيء، قال، فقال: فأي شيء أقول لأهل بلدتي إذا رجعت لهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن"(١٧). وكان مالك يقول: "ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول: لا أدري، فإنه عسى أن يُهيأ له خير". وقال ابن وهب: "لو كتبنا عن مالك: لا أدري، لملأنا الألواح". وكان مالك يقتدى برسول الله ﷺ في هذا، فكان يقول: "كان رسول الله ﷺ أمام المسلمين وسيد العالمين، يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي"(١٨).

وعن مالك بن أنس: "كان ابن عباس يقول: إذا أخطأ العالِم لا أدري أُصيبتْ مقاتِلُه". وكانوا يخشون الله تعالى أن يفتوا في أمر فيه شبهة فيوقعهم في المهالك؛ فعن عقبة بن مسلم قال: "صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً، فكثيراً ما كان يُسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إلي فيقول: تدرى ما يقول هؤلاء، يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً لهم إلى جهنم"(١٩). وكانوا يرون أن قول الرجل فيما لا يعلم: لا أعلم، نصف العلم. وعلى العالِم أن يقول بما يعلم بعد التوثق والتحري. أما إذا جهل فعليه أن يعتذر عن الإجابة بلا أدرى أو لا أعلم، قال الشاعر:

إذا ما قتلت الأمر علماً فقل به ... وإياك والأمر الذي أنت جاهلُهْ

وكذلك يقول الراجز(٢٠):

فإنْ جهلتَ ما سُئلتَ عنهُ ... ولم يكن عندك علمٌ منهُ

فلا تقلْ فيه بغير فَهْم ... إن الخطا مُزْرٍ بأهلِ العلمِ

وقلْ إذا أعياكَ ذاك الأمرُ ... ما لي بما تسألُ عنه خُبْرُ

فذاك شطر العلــم عنـــد العلمَـــا كذاك ما زالــت تقــول الحُكمَـــا

وكانوا يعدون الذين يتجرأون على الفتوى أقل الناس علماً. قال نعيم بن حماد: سمعت ابن عُيينة يقول: "أجسر الناس على الفُتيا أقلهم علماً"(٢١). وكان الصحابة إذا سُئل أحدهم عن حديث أو فتوى، ود أن يكفيه غيره كراهة أن يقول فيخطئ، فعــن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: "أدركت عشرين ومائــة مــن الأنصار من أصحاب محمد ﷺ، ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلا ود أخاه كفــاه، ولا يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه"(٢٢). وكان ابن عباس يقول: "إن مــن أفتــى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون"(٢٣). وكانوا يرون الجريء على الفُتيا في كل ما يُسأل أقل الناس علِماً.

روى عن سحنون بن سعيد أنه قال: "أجرأ الناس على الفُتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم، يظن أن الحق كله فيه". وقال أيضاً: "إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء، فكيف ينبغي أن أعجــلَ بالجواب، حتى أتخير، فلِمَ أُلامُ على حبس الجواب؟"(٢٤).

هكذا كان علماء الصدر الأول، حريصين أن لا يقولوا بغير علــم، ولا يفتــوا بفتوى فيها شبهة، ويرون في لا أدرى ولا أعلم، والله أعلم، منجاة من الوقوع فــي الإثم، وكانوا يرون أن يقال لأحدهم لا يعلم أو لا يفهم، خيراً لهم من أن يقولوا مــا لا يعلمون.

ثم جاءت بعد هذا الجيل الصالح أجيال من العلماء في العصور العباسية وما تلاها (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلوةَ وَاتبَعُوا الشهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا)(٢٥)، فصار للسلطان مُفْتٍ وقاضٍ مهمته أن يلوى بالنصوص ليخرج بفتــوى تبــرر ســقطات الحاكمين، وقد يتسابق وعاظ السلاطين في تلفيق الأحاديث التي ترضــى الحــاكم الجاهل، والسلطان الجائر.

وصار الأدباء والرواة يتسابقون في ادعاء العلم وأنهم يعلمــون مــا لا يعلــم غيرهم، تقربًا للخليفة أو حُبا في أن يقال أنهم يعلمون كل شيء ويجيبون عن كل ما

يُسألون. فقد جمعوا العلم من أطرافه. من ذلك ما يروى عن المبرد أنه كان يجيب عن كل ما يُسأل عنه، حتى إنه اتهم بالوضع، قال المفجع البصري: "كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يُتهم بالوضع فيها، فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها، لننظر ماذا يجيب، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حنانيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ

فقال البعض: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، وتردد على أفواهنا من تقطيعه (قِ بعضنا) ثم ذهبنا إلى المبرد فقلت له: أيدك الله تعالى، ما القبعض عند العرب؟ فقال: هو القطن، وفي ذلك يقول الشاعر:

كأن سنامَها حُشِيَ القَبَعْضا

فقلت لأصحابي: ترون الجواب والشاهد، فإن كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان مُختلَقًا على البديهة فهو أعجب"[٢٦].

وتلفيق آخر للمبرد، حفظه كتاب "الفصوص" لصاعد بن الحسن الربعي، ففي رواية عن ابن الأنبارى قال: "سُئل المبرد عن معنى حديث نهى عن المجثمة، ما المجثمة؟ قال: المهزولة، فسُئل عن الشاهد على ذلك، فقال قول الشاعر:

لم يبقَ من آل الوجيه نسمهْ إلا عُنَيز بالفلا مجثمهْ

قال: فبلغ هذا الكلام أبا حنيفة الدينوري، فقال: كذب، فعل الله به وصنع، أخطأ التفسير، وكذب في الشاهد، وإنما اختلقه في وقته، والدليل على ذلك أنه لحن في قوله: إلا عنيز بالفلا، وتصغير عَنْزة عُنَيزة، لأنها أنثى. وإنما المجثمة: الشاة تجعل غرضاً وتُرمى، وهي المصبورة"[٢٧].

وفي رواية أخرى ذكرها ياقوت الحموى يظهر فيها كذب المبرد وتلفيقه، فقد "زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينَور زائراً لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه، قال له عيسى: أيها الشيخ، ما الشاة المجثمة التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن، مثل اللجبةِ، فقال: هل مِن شاهد؟ قال: نعم قول الراجز:

لم يبقَ من آل الحُمَيَدِ نَسَمَهْ   إلا عُنَيْزٌ لَجْبَةٌ مُجَثَّمَهْ

فإذا بالحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى، فلما دخل قال له: أيها الشيخ، ما الشاة المجثة التي نُهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبتيها وذُبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول وهذا شيخ العراق -يعني أبا العباس المبرد- يقول هي مثل اللجبة، وهى القليلة اللبن، وأنشده البيتين. فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه. فقال أبو العباس: صدق الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنِفْتُ أن أرِد عليكَ من العراق، وذكرى ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه. فاستحسن منه هذا الإقرار وتَرْكَ البَهْت[٢٨].

وأذكر حين كنت في زمن الطلب أول حياتي العلمية، كان أستاذنا الدكتور جميل سعيد -رحمه الله- الذي نهلت منه العلم والخُلق والرعاية، كان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدرى أو لا أعرف، وكنا نعجب منه وهو العالم الحافظ الذي قلما تذكر قصيدة إلا وكان ينشدها كاملة، وكان يوصينا ونحن على وشك التخرج إننا سنكون مدرسين في المدارس الثانوية، فيجب أن نُحضر ونقرأ كثيراً، لأن الطالب قد يسأل أسئلة من خارج المنهج، وكثيراً ما يسأل عن معلومة سمع بها وعرفها، فإذا أجبته بغير ما في ذهنه استهان بك وفضحك، وإذا قلت لأ أدرى رماك بالجهل. أما في الدراسات الجامعية فليس من العيب حين تُسأل ولا تعرف أن تقول: لا أعلم، حتى تراجع المسألة في مظانها ثم تجيب عنها، وهذه أصول البحث العلمي. وكذلك كنا قد أخذنا بهذه النصيحة الغالية.

وحين وقفنا عند سِيَر العلماء المسلمين وغيرهم وجدنا العلماء الثقات لا يفتون ولا يجيبون إلا بما يعلمون هو الصواب، وهو الحق، وهو الصدق. وإن مَن يجيب بغير عِلْم طلباً للشهرة والمباهاة سرعان ما يُبْهت ويُفْضح. وأذكر من حياة الطلب الأولى أن مدرساً كان يدعى العلم ويرى من العيب ألا يجيب عن كل شيء، وفي أي تخصص، وكنا نسأله فيجيب، وحين نرجع إلى الكتب نكتشف وهمه وخطأه،

وصار بعضنا يوقعه في مزالق بأن يسأله عن أبيات شعر للشريف الرضي مثلاً فيقول له: هل هي لأبي العلاء أم للمتنبي؟ فيختار أحدهما ويقول باعتداد هي لفلان. ويُسأل عن قول للجاحظ، فيقال له: هل هو لطه حسين أم للعقاد؟ فيختار أحدهما ويجيب باعتداد وتعالم، وهكذا حتى فُضِح وسقط وصار حديثاً للمتندرين، أساتذة وطلاباً. إن في قول: لا أدري، ولا أعلم، والله أعلم، منجاة من الزلل والكذب والفضيحة.

ونعيد ذِكر ما تقدم من قولهم الذي فيه حكمة وبصيرة: "تعلم (لا أدري)، فإنك إن قلت: لا أدري، علموك حتى تدري، وإن قلت: أدري، سألوك حتى لا تدري"(٢٩).

ومن ادعى وتعالم وكذب، فلا بد أن يعرف الحق من الباطل ولو بعد حين، وصدق زهير بن أبى سلمى حين قال(٣٠):

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

اللهم ألهمنا السداد والرشاد في القول والعمل، وأن نقول ما نعلم ونتجنب الخوض فيما لا نعلم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَاۤ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَاۤۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾. صدق الله العليم (٣١).

الهوامش:

١. العلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد، ص٥٧، ط. دمشق، ١٣٤٩هـ.

٢. الغزالي: إحياء علوم الدين، ١/ ٦١ وما بعدها، ط. القاهرة، ١٣٤٦هـ.

٣. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١/ ٥٣، تح. موللر، ط. القاهرة، كونكسبرج، ١٨٨٢-١٨٨٤م؛ الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور، ١/ ٢٣، ٢/ ١٠ ط. القاهرة، ١٣٠٠هـ؛ وانظر: فرانز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ١٧٠، ترجمة أنيس فريحة، ط. دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٤. الغزالي: الإحياء، ١/ ٦١.

٥. السيوطي: المزهر، ٢/ ٣١٥، ط. القاهرة، ١٢٨٢هـ.

٦. سورة البقرة، الآية ٣٢؛ المزهر، ٢/ ٣١٥؛ وانظر: المخلاة للعاملي، ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م؛ والمستطرف للأبشيهي، ١/ ٢٥، ط. بولاق، ١٢٦٨ هـ.

٧. ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ٤٢-٤٣، ط. حيدر آباد، ١٩٥٣هـ؛ والعلموي: المعيد، ٥٧.

٨. أخرجه ابن حبان في صحيحه، ١٥٩٩؛ والبيهقي في سننه ٣/ ٦٥؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٨٢٦، تح. أبي الأشبال الزهيري، ط ٤، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩. سورة ص، الآية ٨٦.

١٠. جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٨٣١.

١١. نفس المرجع، ٢/ ٨٣٤؛ وروى مثله عن علي بن أبى طالب رضي الله عنه.

١٢. البيان والتبيين، تح. عبد السلام هارون، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م، ١/ ٢٦١.

١٣. جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٨٣٦.

١٤. نفس المرجع، ٢/ ٨٣٥.

١٥. نفسه، ٢/ ٨٣٧.

١٦. نفسه، ٢/ ٨٣٧.

١٧. نفسه، ٢/ ٨٣٨.

١٨. نفسه، ٢/ ٨٣٩.

١٩. نفسه، ٢/ ٨٤١.

٢٠. نفسه، ٢/ ٨٤٢.

٢١. نفسه، ٢/ ٨٤٣.

٢٢. نفسه، ٢/ ١١٢١.

٢٣. نفسه، ٢/ ١١٢٣.

٢٤. نفسه، ٢/ ١١٢٥.

٢٥. سورة مريم، الآية ٥٩.

٢٦. معجم الأدباء، ٦/ ٢٦٧٩-٢٦٨٠، تح. إحسان عباس، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م؛ لسان الميزان، لابن حجر ٤٣٠-٤٣١.

٢٧. لسان الميزان، ٥/ ٤٣١.

٢٨. معجم الأدباء، ١/ ٢٦٠؛ وانظر: لسان الميزان، ٥/ ٤٣١-٤٣٢، ط. حيدر آباد، ١٣٢٩هـ، مع خلاف يسير فى الرواية.

٢٩. العلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد، ٥٧.

٣٠. ديوان زهير، ٣٢، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.

٣١. سورة البقرة، الآية ٣٢.

الفصل السادس

المحراب

المحراب

بقلم البروفيسور
ر. ب. سارجنت

ترجمة الدكتور
يحيى الجبورى

إن أصل "محراب"[1] غامض بعض الشيء، وتستعمل في الإسلام خاصة في قبلة الصلاة، والمادة في "دائرة المعارف الإسلامية"[2] تتناولها بهذا الشكل فقط، ومع ذلك فإن هذا الاستعمال الفني للكلمة يبدو أنه تفرع من معنى أكثر بساطة وتعميماً، وفي ملاحظة دليل نشوئها كاسم لقسم من المعبد فقد ظهرت دلالته إسلامية خالصة. لقد نوقش "المحراب" من قبل نولدكه[3] Noldke وهوروفتش[4] Horovitz ولاندبرك[5] Landberg، وكذلك نوقش -لصلته بالدراسات المعمارية- من قبل كريزويل[6] Creswell وسوفاجيه[7] Souvaget، وقد اعتمدت هذه الدراسات على مجموعة من المراجع والمصادر التي أعدت فحصها، ولكن

---

(1) يسعدني أن أعترف بديني الذي تشاورت معهم في تحضير هذه المادة. لزميلي محمود الغول الذي أدين له بصورة خاصة لمساهمته الكبيرة جداً، ولفحصه الكامل الذي عمله للمادة المخطوطة. وإني مدين أيضاً للطف البروفيسور كارل راثجنس الذي أذن باستنساخ مخطط هيكل حقة Hugga temple الشكل رقم ٢.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، المواد: (قبلة)، (مسجد)، (محراب).

(3) Neue Beitrage semitischen Sprachwissenschaft Strassburg, 1910, p.52, footnote.

(4) Bemerkungen zur Geschichte and Terminologie, Der Islam (strassburg) zvl, 1927, 260-3.

(5) Glossaire datinois, Leiden, 1920-42, 393 seq.

(6) Early Muslim architecture, Oxford, 1932, 1, p.99.

(7) La mosque omeyyade de Meding, Paris, 1947, 145, seq.

لم يكن غرضي أن أعيدها جملة in toto. لقد أظهر كل من هؤلاء المؤلفين بشكل مقنع أن استعمال قبلة الصلاة بالمعنى الاصطلاحي لم يكن مبكراً.

ومن جانبنا، فالمؤكد أن المصدر الأول والوحيد والمؤكد هو القرآن، فقد جاءت الكلمة فيه خمس مرات فقط في السور: ٣/ ٣٧، ٣٩، ١٩/ ١٠، ٣٨/ ٢١، ٣٤/ ١٣(*).

ومرة أخرى فلسنا بحاجة أن نضيف تفسيراً إلى تفسير الدارسين السابقين، بيد أنه من المهم في أكثر من حالة أن المحراب استعمل ليدل على قبلة الصلاة، لأن النبي عني بوضوح أنه المكان المسقف حيث يجلس الناس.

يحتوي "تاج العروس"[1] مادة كاملة ومهمة في موضوع "المحراب" حيث يبدو من المناسب أن يجعل في الانكليزية كما هو في العربية تقريباً: "المحراب هو الغرفة[2] والمكان العالي "وقد نقل الهروي هذا في كتابه "الغريب"[3] رواية عن الأصمعي: قال وضاح اليمن[4]:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو ارتقى سلما

(*) قلت: يشير المؤلف إلى الآيات: قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴿٣٧﴾﴾ آل عمران: ٣٧، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ آل عمران: ٣٩، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ مريم: ١١، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ ص: ٢١، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ: ١٣.

(1) القاهرة ١٣٠٦هـ ١/ ٢٠٦.

(2) غرفة: جمعها غرف. تبدو صالحة أيضاً للتطبيق على بعض الأنواع من البيوت، وهناك واديان حضرميان مقرونان بهذا الاسم.

(3) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ١٠٧، والملحق ١/ ١٦٦ وما بعدها.

(4) ابن دريد: الاشتقاق ط. وستنفيلد (جوتنجن ١٨٥٤) ص ٤٧ يقرأ: (لم أدن حتى) لـ (لم ألقها أو) الرواية الأولى أفضل.

والمكان البارز في البيت: صدر البيت، وأكرم مكان فيه. قال الزجاج في قول الله تعالى[1]: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ ص: ٢١.

"المحراب أعلى بيت في الدار، وأعلى مكان في المسجد" ثم يقول: "المحراب هنا يشبه الغرفة"[2].

أما فيما يخص الحديث النبوي، فإن النبي أرسل "عروة بن مسعود" إلى قوم له في الطائف. فأتاهم ودخل محراباً له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذن للصلاة، قال: "وهذا يدل على أن الغرفة يرتقى إليها".

قال أبو عبيدة: "المحراب أشرف الأماكن[3]" و"أنه أشرف المجالس التي يجلس بها المرء".

قال الأزهري: "المحراب عند العامة: هو مقام الإمام في المسجد".

قال ابن الأنباري: "سمى محراب المسجد، لانفراد الإمام فيه، وبعده من القوم فيه. يقال: فلان "حرب" لفلان: إذا كان بينهما بعد وتباغض وقيل: "المحراب الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن الناس".

في لسان العرب[4] يقرر بأن: "المحاريب هي الأجزاء البارزة من الأماكن حيث يجلس الناس" صدور المجالس". ومن هذا اشتق المحراب بمعنى المكان الذي يجلس فيه "المجلس"؛ ومنه اشتق أيضاً محاريب غمدان[5] في اليمن. المحراب هو القبلة. ومحراب المسجد هو أيضاً الجزء البارز. وأعلى مكان فيه".

---

(1) سورة ص ٣٨/ ٢١.

(2) لقد فسر المفسرون هذه العبارة (إذ تصعد سور الغرفة).

(3) الفيومي: المصباح المنير، القاهرة ١٩١٢، ص ١٩٨ (أشرف) قد تعنى (أكثر شرفاً).

(4) لسان العرب ١/ ٢٠٦ طبعة جديدة ١/ ٣٠٥.

(5) قصر صنعاء الشهير، الموقع ما زال معروفاً حتى اليوم.

وفي حديث أنس أنه كان لا يحب "المحاريب". يعني الجلوس في المحلات البارزة من المجلس حيث يجلس الناس "صدر المجلس" ويكون في مستوى أعلى من الآخرين، يترفع على الناس.

وفي كلام الله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ مريم: ١١[1] قالوا: يعني من المسجد. المحراب: أكرم مجالس الملوك، كما يقول أبو حنيفة. قال أبو عبيدة: "المحراب سيد المجالس، ولذلك فهو مقدم، وهو أشرفها "يقول" وذلك لصلته بالمساجد"[2].

وعن الأصمعي: أن العرب تسمى القصر محراباً لشرفه، وأنشد:

أو دمية صور محرابها   أو درة سيقت إلى تاجر

وقد عنى بالمحراب: القصر، وبالدمية: الصورة. وروى الأصمعي عن أبى عمرو بن العلاء قال: "دخلت محراباً من محاريب حمير فنفح في وجهي ريح المسك" أراد قصراً وما يشبهه.

وتضمن قول الله: (من محاريب وتماثيل)[3] قال الفراء: "ذكر أنها صور الملائكة[4] والأنبياء كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا اعتباراً"، وقال الزجاج:

"هي واحدة المحراب الذي يصلى فيه"، وقيل: "سمى المحراب محراباً، لأن الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يلحن ويخطئ...".

---

(1) سورة مريم ١١.

(2) قارن بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ١٠٣. ولد أبو عبيدة سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م.

(3) سورة سبأ ١٣. كانت هذه تزود سليمان بالجفان مثل الجابية وقدور الطبخ. المحاريب المزينة كانت في الأغلب أماكن حيث كان الضيوف يسمرون، ومن وجهة نظر المكتشفات الأثرية الحديثة في جنوبي الجزيرة؛ فمن الممتع أن نجد المفسرين يقررون أن عرش سليمان كان محمولاً على أسدين، في حين أن نسرين كانا في أعلاه.

(4) اكتشف رأس ملك من رخام في حصن الرناد في تريم كان ضمن القصر الجديد مبنى في ذلك الموقع.

إن محاريب بني إسرائيل هي مساجدهم التي اعتادوا أن يجلسوا فيها، كما كانت للتشاور في قضايا الحرب. وفي التهذيب: "حيث كانوا يجتمعون فيه للصلاة وما شابه[1]".

وشبيه بهذا رأى ابن الأعرابي: "المحراب هو المكان الذي يجلس فيه الناس ويجتمعون"[2].

والرأي الأكثر دلالة وأهمية -الذي يقتبس- هو رأي الزهري "المتوفي سنة ٧٤٢م" الذي عاش في نهاية العصر الأموي؛ فهو يجعل المحراب في القبلة في نهاية المسجد، ولكنه لم يطابقه بشكل إيجابي على الأقل مع القبلة، لقد عرفه على أنه صيغة لعامة الناس بهذا المعنى، فقد ظهر ليدل على أنه قد نشأ استعمالاً اصطلاحياً في هذه الفترة، وكان المحراب مكاناً مرفوعاً حيث يجلس الناس، وقد اقترن بمفهوم الشرف، وفي هذا المجال ربما له علاقة بالجزء الطيني المرتفع من غرفة الاستقبال في البيت، وقد رأيت ذلك في "ضالع"، ويعرف هناك بـ "الديوان"، وفي صنعاء بـ "الليوان"[3]، ولكن في بيجان بـ "هداح".

وينبغي أن يضاف بأن كلمة "قصر" التي حددت من قِبل بعض الرواة المتقدمين بالمحراب، تعنى في حضرموت: طبقة من دار[4]، ولكني لا أُرجح بالضرورة أنها كانت تستعمل هنا كذلك.

والسؤال في النتيجة يكون: وبعد ماذا كان يعنى المحراب بالضبط قبل الإسلام؟

يبدو لي أن انحدار الكلمة من الحبشية -بسبب علاقتها بجنوب الجزيرة- غير محتمل، لأن الحضارة الحبشية كانت فطرية وثانوية.

---

(1) للأزهري المتوفى سنة ٢٧٠هـ.

(2) C.Rathjens and S.D Goitein , Jewish domestic architect ure in san,a. .Yemen, Jerusalem,1957,73.See also p.451infra

(3) البناء والبناؤون في حضرموت Le Museon ،٦٧ ،١٩٤٩ ،٢٨٤. ربما في كتاب ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ط. لوفكرن O.Lofgren، ليدان ٥١ - ١٩٥٤ هناك صدى لهذا المعنى للقصر.

(4) معنى كلمة ٩-٦٣٧، ١٩٠٨، XX، Jewish Quarterly Review.

لقد حاول ساليس دايجش Salis Daiches أن يربطها بالكلمة العبرية في معنى القصر، ودعم حجته بعدد من الاقتباسات من التوراة.

لقد أمدني زميلي "محمود الغول" ببيانات نافعة في الوقت الحاضر عن جنوبي الجزيرة قديماً حيث اقتبس بتوسع in exteso: "أن كلمة محرب mhrb جاءت مرتين في المخطوطات المعروفة لجنوبي الجزيرة، إنها لم تعرف بالضبط لأي نوع من البناء، أو المكان، ولا لأي شيء تعود، لأن الكلمتين كلتيهما لم تكونا معروفتين إلا بعد أن نقلتا إلى عدن.

المخطوطة الأقدم المعروفة بـ (BM55) ١٠٦، CIXH يبدو أنها نشأت من "كوكبان" في منطقة "همدان" لأن اسم ذلك الموضع مذكور حيث تقرأ:

٢- ؟/ برء

٣- و/ وهشقرن/ محرين

٤- كوكبن؟ أوجدوا

٢- ؟ أوجدوا

٣- وأنجزوا المحراب

٤- كوكبان

إن قراءة كلمة "محربن" محفوفة بالشك. يوازن د. هـ. مولر D.H.MULLER كلمة "محربن" مع "محرمن"، على أساس من وجود تغير حرف صحيح، وترجم الكلمة على أنها "حرم". إن ناشر المجموعة آثر ترجمة الكلمة بـ "حصن" أو "برج" مبيناً ذلك وفقاً لجزيرة الهمداني[1] وصف الـ "كوكبان" على أنه قصر، أو حصن؛ لذلك فإن الناشر اشتقها من الجذر "حرب"، مقرراً أن تفسير النص على أنه "حصن" يناسب تحصين كوكبان جيداً. هذا التفسير -نوعاً ما- يبدو أن له سنداً في التاج "قارن الاقتباس السابق".

---

(1) صفة جزيرة العرب، ط. د. هـ. مولر، ليدن ٨٤-١٨٩١، ١/ ١٠٧، ١٩٥.

المخطوطة الثانية جاء فيها "محرب" في مجموعة كـايكي مـونجرجي Muncherjee Kaiki: أن قراءة "محربه" (R, 4108, 3) مرممة جزئياً، ولا تضيف هذه المخطوطـة لمـا قدمته المخطوطة CIH, 106 شيئاً.

في الواقع أن المخطوطة الثانية كانت قد عهدت من قبل شخص مـا برتبـة "مقتـوى" الملك، ورتبة مقتوى هذه قد أحيت قراءتها، ربما لم تكن دليلاً أكيداً على حجم الـ "محـرب" فيما إذا كان تحصيناً، أو شيئاً آخر لكتابة أكثر خصوصية.

ونص آخر: "تحربت" thrbt وقع في عدد من المخطوطات[1].

موردتمان Mordtmann وميتوح Mittwoch يرفضان هنا إقحام مـا اسـتعمل فـي مخطوطة 12, 357, CIH أصلاً، ذلك أن الكلمة فيها أي شيء يستعمل في الحرب[2] ولقـد أنهيا مناقشتهما بقولهما:

---

(1) قـارن موردتمـان وميتـوح J.H. Mordtmann and E. Mittwoch, Sabaische Inschriften, Hamburg, 931, 2213.

(2) قارن، ٤٦٣٢ ،R حيث صيرهام. هفنر M.Hofner إلى "Kampfszene" لقـد جهزنـي محمود الغول بمـادة إضـافية لـــ "تحـرب": فـي المخطوطـة CIH,537,10-12 تقـرأ: (١٠)/ أحمده/ بهر (١١)- أيت/ هرئي/ لهم (١٢) و/ بتحربن.

ترجم مورتمان وميتوح: "وفي الامتنان له للرؤيا التي أراهم إياها". لقد قارنا مع هذه المخطوطـة مخطوطتين آخرين، وفيها قرابين شكر على ما وهب من رؤيا، في إحدى الحالات قد شـوهدت الرؤيا، أو أوحى في: "بـ نعمن/ وألم "هيكلان" لـ "عثر"، وفي الأخرى: "بمحرمن/ ذموم"، وفي هيكل: "أوم".

وقد علقوا علـى هـذه جميعهـا: "فـي الحـالات الـثلاث جميعهـا فهـي ذات علاقـة بالتحنث Incubationsorakel الرؤيا خلال التقهقر "أكثر من مخطوطة تذكر وحى الرؤيا لتقارن بهؤلاء ٥، ٣٩٢٩، RES حيث تقرأ: حجن/ قهر أيهو/ بسنثو.

لتكون ترجمتها: "بناء على ما أراه له في سنته". قارن: "سنت snt" بـ "سنة" العربية، كما فـي القرآن –سورة البقرة ٢٥٥-: قَالَ تَعَالَى:﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿٢٥٥﴾ ﴾.

وهكذا، فمن هذه المخطوطات ندرك أن هذه الرؤى كانت توحي في الهياكل أثناء النوم، وفي "تحرب". إني لا أظن بأن "تحرين" في المخطوطة، ١٢، ٣٥٧، CIH يمكن أن تتعادل مع هيكل أو مع سنة، ولكنها مظهر آخر، أو ظرف يشترك مع طقس أو أسلوب لمشاهدة الرؤى.

مع هذا الشكل للتحنث يستطيع المرء أن يقارن حالتين تمارسان في الإسلام: صلاة الاستخارة، والاعتكاف في المسجد.

في الأولى يدعو المرء عون الله بوساطة الهامه إرادته أن يدله على القرار الصحيح الذي يجب أن يتخذه، وفقاً للممارسات غير التقليدية unorthodox، ويقوم بصلاة خاصة، وبعدها يذهب لينام مع نظافة تامة للجسم والمكان، وقد تتخذ أحياناً في المسجد نفسه، آملا أن يلهم الرؤيا حين النعاس ما طلب أن يعرف. "قارن دائرة المعارف الإسلامية مادة -استخارة-".

في الاعتكاف يعتزل المتعبد في الأيام العشرة الأخيرة من رمضان في المبنى التابع للمسجد، يلزم نفسه بنظام قاس من الزهد، والمعتزل متصل كلياً بمراقبة ليلة القدر، التي يفترض أن تقع في إحدى الليالي العشر الأخيرة من ذلك الشهر. من الممكن أن توازن "تحربن" كرياضة مع الاعتكاف، ويمكن أن يوجد السند اللغوي في البيان الذي يزعم أن "محراب المسجد" إنما سمى كذلك لأن الإمام يكون فيه وحده، وأن "المحراب" هو المكان الذي يكون فيه الملك وحده "راجع التاج السابق".

إن معنى الاعتزال أو التوحد يقرن تماماً بالمحراب في القرآن ٣/ ٣٧، ٣٩، ١٩/ ١١.

إني أتناول "تحربن" هنا، إذا فهمت على أنها حدث، اسم مشتق من الصيغة الخامسة. وهكذا من الممكن أن تكون اسماً وصفياً مشتقاً، في معنى لإنجاز شيء في، أو يعمل مع "محراب". في هذه القرينة ينبغي أن ينتبه بأن المحراب العربي من الممكن أن يستعمل خيمة "ممر ضيق"، ذلك لأن النبي جعل اعتكافه في خيمة داخل المسجد.

ومع ذلك فإذا أمكن اتخاذ "تحربن" لتدل على مكان، فمن المحتمل بعد ذلك "تفعال" مثل كلمة "تمثال" العربية، كما يقترح الأستاذ بيستون Beeston "قارن الصحاح مادة -تقر- يسوى الصخور، ومن المحتمل من - تنقار جذر نقر".

وكاسم حقيقي "تحرب" ممكن أن يعنى: "مكان الاعتزال"، وفي هذه الحالة: أما أن تكون صومعة في معبد، أو من الممكن حقاً خيمة، أو شيئاً آخر من البناء.

الصيغة الأخرى "تحربت" تبدو من الراجح أن تكون نوعاً من البناء. (RES. ٤٦٣٢) GL.،٧٣٨ كان بناء مطموراً في جدار في طارمة السقي، كان فوقه تمثال يصور رجلاً بيده اليمنى فأس، وفي يده اليسرى ترس، وعلى جانبيه كلبان نشيطان.

"إن الكلمة -كما يعتقد ريكمانس Ryckmans كذلك- من الصعب أن تكون أي شيء يعمل مع الحرب، ولكنها فضلاً عن ذلك تشير إلى أداء عبادة: شعائر، أو بعض الأشياء المرتبطة بالشعائر، وإنها لتذكر المرء بالمحراب الإسلامي".

يقرأ النص:

١- مرطدم/ ابنه/ رطدم/ بنى

٢- (ذ) يهرحب/ شمو/ تحربت

٣- (ن/) لو فيهم

تترجمه ماريا هفنر Maria Hofner:

١- مرطدم ززلده رطدم من قبيلة.

٢- ذ- يهرحب قد شيدا هذا المشهد الحربي.

٣- لأجل أمنهم.

ترى الدكتورة "هفنر" أن الكلمة "تحربت" قد فسرت بحلية معمارية للتمثال، وأن الكلبين يمثلان الأعداء، ولكني أقترح إذا كان جوسق السقى حيث قد بنى النقش هو بناء أثرى، وإذا كان النقش جزءاً أصلياً من البناء، فإن "تحربت" تعود إلى الجوسق نفسه، والكلمة سوف تحمل بعد ذلك معنى "غرفة" أو "جوسق"، ومن المحتمل لأجل المشاهدة -وهذا يعزز كذلك بالمخطوطة RES،٣٥١٢، ولسوء الحظ فإن النقش قد أصابه تلف كثير- أن الكلمة هي في ما يقدم للهيكل، في المتحف البريطاني، ويبدو أنها تقدم على أنها صلاة شكر، لأجل تشييد بناء "تحربت".

السطر الثالث يقرأ:

/ذ ء معدم/ بموقر/ ذ تحربهن/ بطلم،

لفاكهة طازجة، أو تمر، لأجل أن تقدم -أو ربما وجبة طعام، وليمة- لجوسق الصخر.

أم عدم: قارن "معد" العربية: خضرة طرية، فاكهة طازجة، أو تمر، موقر: قارن "وكرة" العربية، "وكر"، طعام، وجبة، تعطى أو تصنع بمناسبة الانتهاء من البناء، الفعل: وكر.

طلم: قارن كلمة سلم العربية جمعها: سلام، وسلم، حصاة في لهجة حمير. كأنه مبادلة بين حرف (س) وحرف (ط) إنه يدل بصورة كافية على أن هذه الكتابة هي في الحميرية، اللهجة التي عرفت باستبدال حرف (س) بحرف (ط). م.غ

إن المصادر ذات الصلة بالموضوع ترى أن كلمة "محراب" كانت معروفة في العربية قبل الإسلام، وأن هذا لم يكن ليثبت حقيقة، ليكون أي ترابط مباشر مع الشعائر. إنه لمن المناسب أن نورد إيضاحاً جديداً لمعنى المحراب، حيث يبدو أنه يلقى ضوءاً مختلفاً نوعاً ما على معناه الأصلي.

المسجد الحضرمي:

أثناء محادثتي مع محدثي الحضرمي الجليل الشيخ "عبد الله رحيم بافضل" استعمل عبارات عربية نوعاً ما -في تسمية أجزاء من المسجد- استرعت انتباهي. في إجابته على استفساراتي الكثيرة رسم لي تخطيطاً بسيطاً للشكل (١) ورسم فوقه بخط غير متقن صورة مسجد، ولو أنه لم يقصد مسجداً معيناً، ولا بد أن يكون لرحيم حس دقيق، في معرفة تصور تخطيط المسجد، لأنه قد أمضى أكثر حياته في -أو حول- مساجد "تريم" وغيرها. إنني لم أُصادف أحداً مثل هذا الشيخ في كمال الحكمة الدينية.

في النهاية العليا من الرسم قاعة مسقفة، مختلفة في الحجم حسب الحاجة، مسدودة من كافة الجوانب ومجهزة بسقف وأبواب ونوافذ، وتسمى هذه القاعة بـ "الحمام" أو "كنين" أو "المكان الكنين" مشتقة من الجذر "يكن" الإنسان، أو "يكتن" في معنى: يغطى[1].

إن عبارة "حمام" متأتية صراحة من معنى الدفء، لأنه خلال الشتاء يكون البرد قارساً في حضرموت في الصباح الباكر وبعد الظلام، وفي الواقع.. كثيراً ما يجد المرء في بعض الأحيان أكواماً من جذوع النخيل قرب المسجد، تستعمل في تسخين الماء لأجل الوضوء قبل الصلاة ؛ فالحمام لم يكن معروفاً بعد في المصادر المتقدمة، مثل كتاب "الجزيرة" للهمداني، وعلى أية حال لقد وجدت في "الجوهر الشفاف"[2] المؤلف قبل سنة ٨٥٥ هـ ١٤٥١م ذكراً

---

(1) استرعى محمود الغول انتباهي إلى العبارة الآتية من "تاج العروس" قديمة ط ١٠/ ٣٢٣: "والكنة - بالضم جناح يخرج من حائط وشبهه، أو هي سقيفة تشرع فوق باب الدار أو ظلة تكون هناك، أو مخدع أو رف يشرع في البيت، أو كالصفة بين يدي البيت، عن أبى عمرو".

(2) مصور في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية. القسم الثاني حكاية رقم ٤٠٧م.

للحمامات في الشحر بهذا المعنى الخاص، ويشير "المشروع الروي"[1] إلى بناء حمـــام فـــي مسجد "تريم" نحو سنة ٨٠١هـ/ ٩٨-١٣٩٩م.

لدى امتداد الحمام بهذا المعنى لم يدونها "لين" Lane، ويبدو أنهـــا لـــم تكـــن معروفـــة للمعاجم المعروفة.

في مقابل الحمام باحة مسقفة، نوع من الرواق يعرف بالــ "محاريب"، مفتوح من جانبه الآخر على فناء. إن المحراب الواحد كما قرره الشيخ "رحيم" هو: صف حق الـــواري، أي: صف من الأعمدة، على طول المسافات بين كل عمود ولكنه يبدو أن يكون مستعملاً لكل هذه الأجزاء من المسجد. إن هذا المعنى ليس جديداً بل مؤكداً بسيرة مشايخ الخطيب[2] كتاب من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث يتحدث عن: العمود المنصوب في آخر صف المحاريب. ذلك أن كلمة محراب ربما كانت قد استخدمت كجزء من المسجد الذي لـــه

---

(1) محمد بن أبي بكر الشلي: المشروع الروي، ط القاهرة ١٣١٩هـ/١/ ١٤١. ينـــاقش الكتـــاب المذكور ١/ ١٣٦-١٣٧ تشييد مسجد آل باعلوى المعروف سابقاً بمسجد بنـــي أحمـــد فـــي "تريم" من قبل سيد محمد بن علي خالع قسم المشهور. كان قد بني من صلصال جيد من بيت جبير، طابوق غير مفخور(لبن) نقل إلى تريم على واسطة تعرف بـــــ "الجـــراديم"، وهـــي واسطة نقل لها عجلات تجرها الثيران والبغال، وتدعى أيضاً العربة، وكان قد جدد بناؤه من قبل "عمر المحضار" سنة ٨٠١هـ/ ٩٨-١٣٩٩م، وأضيفت المنـــارة بـــالطراز المحلـــي، وليست كمنائر المدن المقدسة ذات الطراز التركي، ثم بني له "محل كنين" للمصلى في أيـــام الشتاء بالقرب منه بالجانب الشرقي، وقد جعل وقفاً كمسجد معروف لهم باسم حمـــام، علـــى اعتبار كونه "كنيناً"، وقد عملت بجانبه أحواض: برك، حيث يسخن بها الماء، وهم يدعونها: حماماً لأن الحمام مشتق من الحميم بمعنى: الماء الحار، لأنه ليس حماماً فارسياً "أعجميـــاً"، وفيما يختص بالصلاة حيث التحريم تحدر إلينا، ثم يقتبس المؤلف حديثين في هذا الموضوع. وهذه العبارة ليست واضحة جداً على أنها موضع الكنين تظهر وكأنها كانت قد بنيت علـــى الجانب المعاكس للقبلة، وربما أضيفت أمام المسجد.

(2) مواد تاريخ جنوب الجزيرة، مجلة مدرســـة الدراســـات الـــشرقية والأفريقيـــة ٣/ ١٩٥٠٢ ص ٣٠٥ BSOSA.

صف من الأعمدة، وإني استدل من "الجوهر الشفاف"[1] بأن للمسجد: محراب شرقي ومحراب قبلي، وأظن بأن هذا ينبغي أن يفهم على أنه رواق مسقف من الجانب الشرقي، والجانب الغربي من ساحة المسجد. إن المسجد الحضرمي له -إلا في النادر- مثل هذه الأعمدة المصفوفة في جميع جهات الساحة الأربع، كما أتذكر من الجامع في "تريم" الذي له اسم "مدين" الرائع، ومعناه تخميناً: مكان الدين. وعلى أبواب مسنة من هذا المسجد -من الجانب الشرقي- أطلق "رحيم" اسم "مفقر" جمعها: مفاقر، ويمكن أن يطلع على صورة لمثل هذا المسجد في كتاب حضرموت. تأليف د. فان دير مولن D.van der Meulen وفون وسمن[2] H.von Wissman الوجه العريض منها، من ذاكرتي عن الغرف يجب أن تقع تجاه القبلة، وتقع أمام المحراب الساحة المكشوفة "الصحن"، وتسمى في حضرموت "ضاحي"، أي المكان المتعرض للشمس، على النقيض من "الكنين" المغطى. إن سيرة مشايخ آل باعباد[3] تشير إلى "ضاحي" مسجد شبام: ساحة مسجد شبام.

ويدعى الممر الذي أمام الساحة المكشوفة "المجاز"، ويؤدى إلى "الجوابي" -مفردها جابية- أو مكان الوضوء حيث -كما أتذكر- يعتبر غير نظيف، والجزء الذي قلما يكون لائقاً في المسجد، هو محل الوضوء. يتحدث "الإكليل الوقاد"[4] عن: مجاز جابية مسجد الحوقة، في شبام حوالي النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهكذا، فإن هذا على أية حال ليس نصاً حديثاً.

المنارة -ولو أنها بعامة غير ثابتة- تكون في الزاوية الشمالية الشرقية في "الركن النجدي" وهي في الواقع من الممكن أن ترى في الصورة لغرفة المسجد في حضرموت، بيد أن "رحيماً" يقرر بأن المنائر تكون قبل كل شيء في منتصف الجانب الشمالي من المساجد،

---

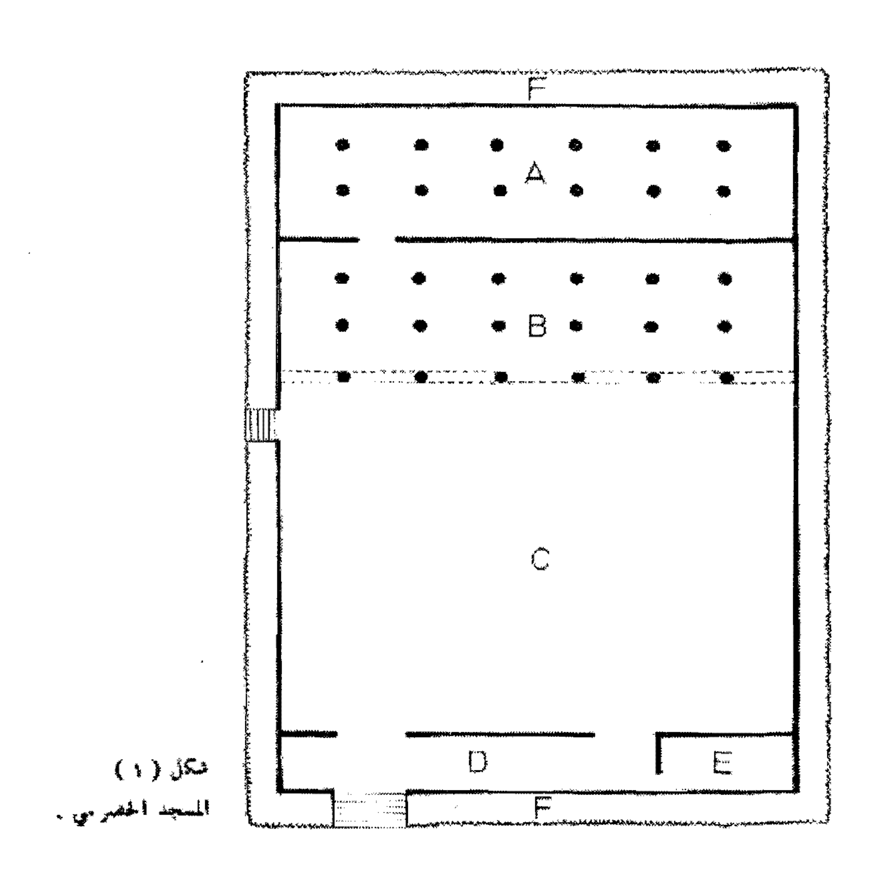
(1) مواد تاريخ جنوب الجزيرة، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ٣/ ١٩٥٠٢ حكاية رقم ٣٢٨.

(2) حضرموت، ط ليدن ١٩٣٢ مقابل ص ١٩٢.

(3) الإكليل الوقاد قارن "مواد تاريخ جنوب الجزيرة ٢" المرجع السابق ٣/١٣ ، ١٩٥٠ ، ٥٨٩.

(4) المرجع السابق نفسه.

وقد انقرض سريعاً أولئك الذين يخططون للمنارة أولاً في الزاوية الشمالية الشرقية من الجامع. في هذا التقليد المقدس جداً، عادة هناك ما يستحب أن يوجد - كمغزى ضمني، ولكن يبدو أنه قد نسي.



شكل (١)
المسجد الحضرمي .

(A) الحمام أو المكان الكنين : القاعة المظلة . (B) المحاريب ، مفتوحة على قاعة المسجد .

(C) الضاحي أو الصحن : الفناء المكشوف من المسجد . (D) المجاز أو الممر .

(F) العصبي ، أو رصيف صخري حيث يشاد عليه المسجد . (E) الجوابي : أحواض للوضوء .

ملاحظة : المنارة أو المئذنة لا ترى : يمكن عد أن المنارة تكون عادة في الزاوية الشمالية الشرقية هذه الأيام ، فينبغي أن توضع في مكان ما في منطقة من الساحة المؤشرة بحرف (E) .
أما القبلة فينبغي أن تكون في مكان ما عند الحرف (A) . المساجد الحضرمية تواجه قليلا فقط من الشمال الغربي وهذا السبب يعرف الغرب بالقبلي .

في الجوانب الغربية من الجوامع أو المساجد الجامعة، وكذلك الحبَّانة التي هي مسجد في موضع الدفن[1]، هناك عادة باب صغير لصلاة العيد وللصلاة على الميت. ويوجد في العادة أيضاً باب للخطيب ليدخل دون أن يجتاز خلال المصلين.

من الممتع ملاحظة أن صلاة الاستسقاء تقام في المسيال أو بالأحرى في كل مكان. جرت العادة في "تريم" أن يمسك المجرى حيث يمر خلال ثلاث مقابر.

المسجد مثل البيت العادي، يبنى على الأساس: رصيف من حجر، أعلى من مستوى الأرض بعدة أقدام على جانب واحد، وأحياناً على شتى الجوانب، وتشكل هذه التأسيسات وراء الجدران نوعاً من الأرصفة تعرف بـ "العصبي"؛ وتفسر على أنها "دكة" أو "رقدة طويلة" والدكة: هي الكلمة الشائعة لهذه العتبة أو الرصيف. وأتذكر أني سمعتها تستعمل فعلاً للغرض نفسه بعيداً عن الجزيرة العربية، كما في مدينة إقليم في جنوبي كانوا في نيجيريا[2]. يتحدث "الإكليل الوقاد" في الفترة بين سنة ٨٣٤هـ وسنة ٨٣٧/ ١٤٣٠-١٤٣٤م عن "العصبي" لجامع في الغرفة، حيث -كما لاحظنا- موضح في حضرموت.

وفي "حريصة" أيضاً نسخة من "الإكليل الوقاد" تتحدث عن مسجد في سنة ٨٣٩هـ ١٤٣٥م: "وعاد نورته بقية والعصبي" و"ما زال جصه باقياً وكذلك العصبي".

وقد قيل لي بأن "المنصب" الذي على قبر الشيخ عثمان في عدن هو "الإفريز" نفسه الذي كان يسمى "البغلة".

المحراب:

إن المصادر الحضرمية تقتبس حتى الآن قصة غريبة لاستعمال المحراب في حضرموت وهي متأخرة نسبياً، ولكن امرأ القيس يعزو إلى "محاريب الأقوال" الأقيال هم أمراء العربية الجنوبية كما هو معروف[3].

---

(1) نوقش في (مقابر تريم) لو مسيون Le Museon ٦٢، ١٩٤٩، ١٥٨.

(2) نوقشت كلمة دكة في (صك بيت يهودي-عربي من حبان) مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩٥٣ ص ١٢٩. الشرجي: طبقات الخواص، القاهرة ١٩٠٣، ص ٧٧ يشير إلى دكة البيت.

(3) دي سلان: ديوان امرئ القيس، باريس ١٩٣٧ ص ٥٢/ ٣٣.

السيد علاوي بن طاهر[1] يروى بأن الزاهد الشيخ "سالم بافضل" - توفي ٥٨١هـ ٨٥-١١٨٦م والذي أنشأ مدارس في هجر - قد ذبح ظلماً وعدواناً، حين كان في محرابه يقرأ السور.

يتحدث الشرجي[2] عن ولى على أنه "جالس في محراب" مدرسة. إن الشرجي[3] على أية حال يستعمل المحراب بوضوح تام، بمعنى القبلة أو المكان الذي تكون فيه القبلة. لقد دهشت حين علمت أخيراً بأن الإمام في عدن يجلس فعلاً في المحراب حينما يلقى الخطبة، لأن المنبر يحرك إلى داخل المحراب، والمحراب كاف لأن يتسع له.

في مساجد "مومباسة" حيث حضرت في مسجدين أو ثلاثة درس المساء "درسه"، إن المدرس لا يجلس في المحراب، ولكن أمامه، وبقية أولئك الذين يحضرون الدرس "درسه" ينتظمون في الغالب في مواجهته، ومن الممتع أيضاً أن في "مالندى" في "كينيا" يعمل بخور النذور "نذيرة" في قبلة المحراب. وهذا مثبت في القبلات المتهدمة لحيدي Gedi التي نقب عنها، فقد أراني جيمس كيركمان James Kirkman نذوراً من هذا النوع علمت حديثاً على أنها شكل من أشكال الصدقة. ويبدو أن كلمة "محراب" من الصعوبة أن تعرف هنا، ومن الواضح حقاً أنها لا تستعمل اعتيادياً في الكلام السواحيلي مطلقاً، ولا من قبل المتكلمين بالعربية في الساحل، مع أن الكلمة قد أصبحت اسماً دينياً، ومجازاً مألوفاً في المعاجم السواحيلية، وهذا -كما أظن- يكون تفسيراً فقط لحقيقة أن المفردة العربية في السواحيلي وفي العبادة الإسلامية مأخوذة مباشرة عن العرب الشوافع في حضرموت، وربما بقدر أقل من اليمن، حيث ينبغي أن يكون الاستعمال الشائع لكلمة "محراب" لشيء ليس مطابقاً مباشرة لكلمة القبلة.

---

(1) عقود الألماس، سنغافورة، ١٩٤٩، ٢، ٧٥.

(2) المصدر السابق ١٨٠.

(3) المصدر السابق ١٥٤.

هنالك مراجع ليست قليلة عن المحراب في الفترة الإسلامية الأولى، حيث تبين أنها ما كانت تستعمل المحراب للكوة(*)، ولكن لشيء أكثر اتساعاً.

في دمشق في الجامع الكبير القسم المعروف بـ "محراب صحابة الرسول" ربما كانت مساحته بقدر الحائط[1]، يتحدث الكندي[2] عن قبلة المسجد على أنها مكان يتعبد فيه المصلي، ويمكن أن تدل هذه العبارة الأخيرة أيضاً على معنى أكثر من "كوة" في البداية.

يتحدث ابن عبد الحكم[3] عن شخص قبل سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م "ركع في المحراب".

يعزوها ابن قلانس[4] إلى محراب المصلى ويستعمل كلمة "محاريب" في أسلوب يتضمن عدم كونها كوى الصلاة، ولكنها أجزاء من المسجد يمكن أن يقف فيها ويصلي مجموعة من الناس. وهناك مراجع متقدمة لمحاريب داود وأنبياء آخرين في القدس تترك انطباعاً بأنها كانت نوعاً من المصلى[5].

(*) المراد بها ترجمة لكلمة niche وهي الكوة النافذة في الحائط حيث يقف فيها الإمام في الصلاة.

(1) كاترمير: تاريخ سلاطين المماليك، باريس ١٨٣٧، ٢ الذيل ص ٢٨٢ وما بعدها. قارن الكتاب السابق ١/ ١٦٤ يقتبس نصاً يعود إلى الجامع الأموي يذكر أن: المحراب فيه ثلاث مقصورات. يستشهد "كاترمير" بعدة مراجع عن المحراب في الجامع الأموي حيث يظهر أن المقصورة احتوت أو جاورت محراباً. ربما كانت العبارة المستشهد بها تعني أن المحراب كان واسعاً جداً بحيث كانت أمامه عدة مقصورات. إن المادة التي اقتبسها في هذه الدراسة على أية حال متأخرة نوعاً ما، عدا فيما يخص اقتراحه بأن اسم محراب ربما يكون مخصصاً من كل المقصورات إلى القبلة أمامه.

(2) أ. ر. كست A. R. Guest: حكام مصر وقضاتها. لندن ١٩١٢ ص ٦٢.

(3) تاريخ فتح مصر، ط توري، نيوها فن ١٩٢٢ ص ٢٣٨.

(4) تاريخ دمشق، ط أميدروز، ليدن ١٩٠٨، ٩.

(5) الطبري، تاريخ، ط دي غويه. ليدن ١٨٧٩ – ١٩٠١، ١/ ٢٤٠٨. ابن حوقل، المسالك والممالك، ط دي غويه. ليدن ١٨٧٣، ص ١١٢ وما بعدها.

يستشهد لامانس[1] بحديث رواه السيوطي، غير موثق وضعيف السند: "اتقوا[2] هذه المذابح. يعني: المحاريب". لقد اقترح سابقاً من قبل باحثين معينين بأنه كان محظوراً أن يستعمل المحراب -حيث يفهم في معنى صلاة المحراب- لأنه كان مرتبطاً بالديانة المسيحية، ومع ذلك فإن هناك شعيرة بمعنى هذا الحديث في التاج[3]: "المذابح -أماكن الذبح- هي محاريب، سميت كذلك بسبب القرابين، والمذابح: هي المقاصير في الكنائس. جمع مقصورة، ويقال: إنها المحاريب والمذابح". لكي يفهم المحراب بمعنى المقصورة أو الهيكل تلقى أضواء مختلفة جداً على التحريم.

إن رواية المسلمين التقليدية عن تطور المقصورة معروف، لا يبدو لي بأن أحداً يحتاج بالضرورة أن يبحث عن التشابه في الكنائس المسيحية في سورية. ليس هناك شك في أن النبي صلى عند القبلة في نهاية المساحة المسقوفة في المسجد الأول في المدينة، أعني أنه ينبغي أن يكون قد صلى وسط الأعمدة التي تسند سقف المسجد، لذلك فإن موقف الإمام في الصلاة كان ثابتاً، وليس من الصعب أن يثبت نوع من القضبان المتصالبة، أو حاجز لربط هذه الأعمدة سوية، وهذا يشكل مقصورة.

وبتغيير بسيط تماماً، بهذا الابتداع الطفيف الذي عمل من قبل "معاوية" استطاع أن يجتذب معارضة العرب المحافظين الشديدي التدقيق في الجزئيات الذين يحتاجون إلى تجربة ومراس كي يدركوا بوضوح.

وهكذا فإني لا أرى في هذا الحديث مهاجمة للمحراب في معناه الأخير على أنه كوة الصلاة، بل على أنه استعمال للمقصورة أدخل من قبل معاوية في دمشق. إن الحديث ضد

---

(1) لامانس، زياد بن أبيه Rivista degli Studi Orientali ‏/٤ ١٩١١ - ١٩١٢، ص ٢٤٦.

(2) إني أجعل "اتقوا" هنا -وفق نظريي- ليست مشتقة دائما من الجذر "وقى" بل أحياناً من الجذر "نقى"، وهذا يعنى -كما هو في العرف القبلي في جنوب الجزيرة هذه الأيام-: التطهير، وأظن أن هذا التأويل سيجعل المعنى هنا أفضل.

(3) تاج العروس، طبعة قديمة ١/ ٧٥٩.

الأمويين من ناحية أن المقصورة استحدثت لتكون بدعة معاوية، حقاً! إنه أكثر الحكام "ديمقراطية" إلا أن العبادة في الواقع كانت شديدة المحافظة.

ومع أنها كلمة عربية قديمة، فإنها لم تكن بلا صلة وثيقة بالموضوع، ذلك أن المحراب لم يظهر في فهرس فنسنك Wensinck للحديث[1]، ومن هنا، فإن الاستنتاج يمكن أن يكون بأنه ليس له مغزى للعبادة.. يمكن أن يكون مصطلحاً فنياً فقط في مفردات فن العمارة.

يتحدث "ابن قيس الرقيات"[2] في بيت يخاطب فيه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" عن دار خربة أصبحت مهجورة: "كما أقوت محاريب دارس الأمم".

ربما كانت هذه "كليشة" في أسلوبه، لأنها قد جاءت في ديوانه مرة أخرى[3]، ويجيء الشرح: "المحاريب: مساجد -أماكن السجود- مصنوعة من حجارة منقورة ومنصوبة على وجه الأرض، ولذلك فإنها تبقى، وهى نصائب. يقرر "التاج"[4]: إن المساجد حجارة تنصب حول الكعبة، يهل عليها، ويذبح.

ويجيء تعريف آخر بأنها: "حجارة منصوبة حول حوض" والفراغات بين هذه الأحجار المنصوبة من طين اللبن. إن هذا النوع من البناء شائع في الجزيرة العربية، ومن الشرح سيدرك بسهولة أن المحراب بمعنى النصائب يجيء قريباً جداً من الاستعمال الحضرمي، والنصبة: تعنى أيضاً سارية، أو عموداً.

إن ربط الضحية بالمحراب هو تذكير بتقديم الأضاحي، عند الأعمدة ومن أجلها، أو عند الحجارة. وهذا يشكل كذلك جزءاً من شعيرة قديمة عن العيد ما زالت حية حتى الآن في حضرموت، وسيأتي وصفها بتفصيل تام في دراسة على وشك الظهور في هذا الموضوع.

---

(1) A. J. Wensinck, Concordance de la Tradition musulmane, Leiden, 1936.

(2) رودر كناكس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، وين ١٩٠٢ ص ٧٤.

(3) المصدر السابق ص ٢٢٢.

(4) تاج العروس، الطبعة السابقة ١/ ٤٨٦.

إن الصورة الشعرية الدائمة هي الدمية في المحراب، وهي على ما يظهر "كليشة" لتعبير شعري عام شائع في الجزيرة العربية. وإضافة إلى ما أقتبس من "التاج"، هناك دمية الأعشى: "دمية في محراب تدمر". يقول عمر بن أبي ربيعة:

دمية عند راهب ذي اجتهاد صورها في جانب المحراب[1]

إني أوثر هنا أن آخذ بنظر الاعتبار كل المعاني على أنها عرضية لمعنى المحراب الأساسي، مثل صف من الأعمدة مع المسافات التي تتخلله، فمن هذا المعنى الأساسي يمكن للمرء أن يرجع المحراب على أنه "كوة" ولكن الأرجح أنه جانب من صومعة المتعبد، أو جانب المذبح، بمعنى حائط موصول بأعمدة، أو بفهم بسيط للبيت، فإنه ينسب للأعمدة مع الدمية المنصوبة بينها. هذا النمط من التزيين كان تقليداً فنياً شائعاً جداً في جنوب الجزيرة نفسها قبل الإسلام، كما نعرف من نقش هومبرجتكون Hombrechtikon الذي نشره البروفيسور هونيمان Honeyman، الأصل الذي يظن أن يكون إقليم مأرب[2].

ذلك أن الدمية كانت رمزاً فضلاً عن كونها صورة، يمكن أن تتضح من بيت لعدي ابن زيد[3]: كدمى العاج في المحاريب

ولنعد إلى تدمر أيضاً، إنها بالطبع غنية بصفوف من الأعمدة، سواء أكانت أعمدتها مسقوفة أم الرواق المهيب لمعبد الشمس نفسه.

يقتبس لاندبيرك[4] Landberg بيتاً من ديوان "قيس بن الحطيم" حيث يصف اليهود – وقد جلبوا البهار والطيب:– إلى قبة دوين السماء بمحرابها.

---

(1) المبرد: الكامل، ط أحمد محمد شاكر، القاهرة ٣٧، ١٩٥٦، ٢/ ٦٠٧. عبارة "في جانب" قابلة لأكثر من تفسير، قارن طبعة رايت ص ٣٧٨.

(2) نقش هومبر جتكون، العراق ١٦، ١، ١٩٥٤، ص ٢٣-٢٨. ربما كان هذا النقش يمثل رقصة عبد الهيكل في بعض الاحتفالات الدينية، وذكراً ناذراً نفسه للهيكل وقد عرى نفسه في نشوة دينية.

(3) الكامل، المذكور أعلاه ٢/ ٧٦٧، ط رايت ص ٤٦٠.

(4) Gloss.dat , 394.

ولعلي أميل إلى أن أرجع هذه إلى: "خيمة مع محرابها" ففي الواقع يمكن أن يقال: إن الخيمة البدوية تشبه القبة، وربما يكون هذا مناسباً كما تأكد من رسوم كولونيل دكسون[1] Colonel Dickson، أن شكل الخيمة الذي وضحه بالصور يجب أن يكون في أقصى الجنوب من بيحان، أما محراب "قيس بن الخطيم" فإني أفهمه على أنه جهة مفتوحة من الخيمة مع صف من أعمدة الخيمة، وقد يفكر أحد بعد ذلك في أصناف البضائع المنتشرة خارجاً أمام الخيمة، ولهذا فإن "إلى" استعملت لتعبر عن موقفهم، بينما صاحب البضائع يجلس في الظل فعلاً داخل الخيمة.

لقد ناقش لاندبيرك Landberg كذلك فرضية رودو كناكس Rhodokanakis في ربط المحراب بالحربة، ومع ذلك فإني لا أستطيع أن أشعر بأن المحراب متصل مباشرة بسنة الرسول في استعمال الحربة كسترة، كما هو مدون في الأحاديث التي استشهد بها البخاري وآخرون.

ربما كان استعمال الحربة في الأمصار المفتوحة لتعيين الوقت أو الاتجاه بالنسبة للشمس، فإن أحداً يتحدث اليوم بكل اعتداد عن ارتفاع الشمس قدر رمح، ومن ناحية أخرى ففي البلاد الإسلامية يمكن أن يحتفظ بأثر العبادة حيث يضحى عند الأعمدة والحجارة المنصوبة، مجرداً من أي أثر أو مغزى إسلامي. إن ربط المحراب بالحربة شيء جذاب من مختلف الوجوه، لأن السهم ما زال مستعملاً ليدل على العمود في حضرموت، وبالتأكيد فإن الخيمة البدوية الواطئة الطويلة تعلق على سلسلة من الأعمدة ليست بعيدة جداً من صف الحراب.

وحتى الآن لم أناقش الفرضيات التي اقترحها محمود الغول[2]. ربما كانت كلمة "تحربت" -المذكورة آنفا- الجاهلية، مشتقة من صيغة من الحذر "حرب" وأريد المعنى

---

(1) دكسون، عرب الصحراء، لندن ١٩٤٩، ٦٨-٦٩. القماش الناتئ فوق قطب الخيمة من الممكن أن يقارن مع القبة، أو العكس بالعكس، أن القبة ينبغي أن تقارن بالجزء الناتي من الخيمة.

(2) انظر ص ٦ هامش ١.

الأساسي في نصب الحراب أو صف الحراب، وبعد، فيمكن أن يطلق على صف الأعمدة أو البناء الذي كانوا يستعملونه.

يقترح البروفيسور بيستون Beeston -إضافة إلى ذلك- أن الكلمة يمكن أن تكون مساوية جداً للشكل "تحرابة"(1)، ومن الممكن أيضاً أن تكون هناك علاقة اشتقاق صرفي مع كلمة "رحبة" المستعملة في ساحة المسجد(2) أو البيت.

المحراب والقبلة:

بقي أن نوضح الطريقة التي بها أصبح المحراب مشتركاً مع كوة الصلاة: المحراب على ما يظهر يمكن أن يعني: مكان جلوس ذو أعمدة، مفتوحاً من جانب واحد، مسلطاً عليه شيء بارز فوق مستوى الأرض الاعتيادية، أينما كان حالياً وصف على أنه مرتفع إني أميل إلى الظن بأنه يماثل نوعاً من الرواق ذي الأعمدة، وهو شائع جداً في البيوت الحضرمية الكبيرة، يتقدم الدور العلوي، أو على السقف، مكوناً جانباً واحداً من فناء صغير. هذا البناء الذي يجب أن يكون مألوفاً لكل زوار القطر، ويمكن أن يرى مثال لذلك في قصر السلطان السابق علي في قطن، مع أن هذا ربما لم يكن أكثر تميزاً(3).

يقارن لاندبيرك Landberg المحراب بـ "ليوان" دمشق، وفي تدمر Palmyra منذ سنوات قليلة سعيدة مضت، جلست في بيت بدوى يشبه تماماً الليوان، ولكنه لم يكن ذا أعمدة. إن بيتاً(4) من الشعر القديم يعزز هذا المشهد:

كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العجم

إن المرء ليتذكر حالاً المدائن Ctesiphon إن العربي العادي مهما كان، لا يستطيع أن يبذل الكثير في بناء مشيد، وبدلاً من ترف مثل محراب - ليوان، فإنه يقنع عادة أن يجلس في ظل بيته، ويقضي الأمسية على دكته. إن محاريب قدماء الأرستوقراطيين العرب ربما كانت جيدة في التنويه بالمباني المطلة على المناظر الرائعة، والأروقة ذوات الأعمدة في مداخلها، مع تلك القصور ذوات السقوف المتوجة، كذلك حين يتحدث "ابن هشام" "وأبو

---

(1) الملاحظة السابقة نفسها.

(2) تاج العروس، يشير إلى علي وهو جالس في رحبة مسجد الكوفة، وهي صحته، قارن ابن سمورة طبقات فقهاء اليمن، ط فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٦.

(3) D.van Meulen Aden to the Hadramaut, London, 1947.

(4) المفضليات، ط سير جيمس لايل. أو أكسفورد، ١٩٢١، ص ٢١٣. الترجمة، اوكسفورد ١٩١٨-٧٥.

نواس"[1] عن عطر -مسك- محاريب صنعاء[2] فإن حجر الاستقبال والأروقة تكون مقصودة. يقتبس ابن المجاور[3] قول ابن دريد:

واحتل من غمدان محراب الدما

من الصعوبة أن يفسر البيت حرفياً كما فعلت: "محراب الدماء" هو بلا شك المكان المحبب الذي اعتادت النساء جميعهن أن يلتقين فيه. غالباً ما يكون جناحهن من البيت في قصور الأُسر الارستوقراطية في الطابق العلوي، مع مدخل إلى جناحهن الخاص من الطابق العلوي الذي بلا شك هو محرابهن. إن الإشارة إلى المسك قد تكون إشارة غير مباشرة إلى النساء، لأنه مما يسترعى الانتباه أن تكون الإشارة إلى المحراب أحياناً مرتبطة بذكر العطر، ومن المحتمل كذلك في الأقل أن تكون الإشارة إلى ولع اليمنيين بالعطور والبخور، ففي الطوابق العليا والأجزاء الأُخرى من البيت غالباً ما ترى مجامر البخور موضوعة مصادفة.

لقد أظهر رانجنس وفون وسمن[4] Rathjens and von Wissmann إعادة بناء ضريح حقة Hugga في اليمن الأعلى (الشكل ٢): إنه يتكون من ساحة، محاطة من جميع جوانبها برواق ذي أعمدة، مع قاعة تشبه -في قليل أو كثير- نظام الحمام الحضرمي نفسه، أمام هذا الحمام -الذي كان فيما قبل الإسلام- رواقاً ذا أعمدة، مرتفعاً قليلاً فوق الساحة، حيث ينتهي بممر من مجموعة متواصلة من درجات السلم. وهذا متفق تماماً مع الوصف الذي جاء عن "عروة بن مسعود" في قطعة مقتبسة من التاج المذكور سابقاً عن أداء الأذان.

يجب أن يلاحظ بأن رسم ضريح الحُقة، هو رسم مسجد النبي ﷺ في المدينة[5]، ورسوم المساجد الإسلامية الأولى، كما أظهرها سوفاجيه[6]، وهي مطابقة أساساً مع المسجد الحضرمي التقليدي، أعنى ساحة مع جزء ذي أعمدة للصلاة في جهة القبلة. وينبغي أن يقارن هذا مرة أُخرى مع رسم الجامع الأكبر في صنعاء، والمعروف أنه كان قد بني في زمن النبي ﷺ[7].

---

(1) مقتبس من قاموس داطينوس، ٣٩٥.

(2) قارن غليوم: حياة محمد ١٩٥٥، ٣٢.

(3) ابن المجاور، المصدر السابق ٢/ ١٨٢.

(4) Vorislamische Altertumer , Sudarabien – ReiseHamburg, 1932, 11, 65.

(5) سوفاجيه، قارن السابق ص ٩٤ "خطط القرن الخامس عشر" ٩٠.

(6) قارن السابق ص ١٠٩.

(7) انظر الخريطة التي وضعها راثجنس وفون وسمن، ملحقة بمصورات هوج سكوتHugh Scott "في أعلى اليمن" لندن ١٩٤٢ ص ١٢٧. ابن رسته، كتاب الأعلاق النفسية ط. دى غويه، ليدن ١٨٩٢ /٧

والنتيجة بإيجاز: أن المعنى الأصلي للمحراب هو صف من الأعمدة. قرب جدران صنعاء، مقابل غمدان، من الصخر والجص في موضع المحراب قبر من قبور الأنبياء.

وكان يطلب في إنشاء الأبنية -وحتى قبل الإسلام- أن تشتمل على صفوف من الأعمدة راسخة، مشيدة على قاعدة مربعة، مثل هيئة القلاع والقصور، تكون متماثلة ومستوية مع بعضها. لقد اقترح بأنه خلال العصر الأموي -بينما الضريح في حُقة(*) في اليمن وفق راثجنس وفون وسمن- لا يرى في السطح مجرى تصريف المياه، لكن من المرجح أن المزارب ينبغي أن يكون مجهزاً. يستذكر معانيها الأُخرى - فإنه كان الاسم الذي أُطلق على المقصورة حيث أعطى حالاً هيئة معينة في الخريطة تجاه القبلة، لكن من المحتمل أن المحراب كان فيه من قبل شيء من فكرة المقصورة.

إني أشعر بميل إلى أن أرى في تطوره الأخير في كلمة "كوة القبلة" اشتقاقاً مباشراً من مغزاه الأساسي، على أنه صف من الأعمدة، لأن المخطط يظهر الأعمدة في جدار القبلة.

من مسجد النبي ﷺ، لكن ربما يمكن أن يتصور تماماً أن معنى الاسم الأخير قد تطور من قربه من المحراب بمعنى مقصورة موقف الإمام.

وكتذييل أود أن اقتبس قطعة من شهادة غير مباشرة حيث تبدو أنها تشير إلى أن المحراب بمعنى المقصورة كان مستعملاً من قبل "المهدية" في السودان. إن الترجمة الإنكليزية لمذكرات سلتين (Slatins memoirs)[1] تشير إلى الصلوات اليومية الخمس، فهو

١١٠، يخبر بأنه كان قد بنى قبل الإسلام، في موضع ضريح -كما يظن- وأن هذا المسجد الجامع كان قد شيد بأمر من حواري الله "Apostle of God".

(*) حقة همدان، بالقاف: قرية معروفة في الناحية الشمالية من صنعاء، على مسافة خمسة وعشرين كيلو متر تقريباً، وجرت فيها منذ خمسين عاماً حفريات أثرية قام بها العالمان الألمانيان كارل وايثجنس وفون في سنة ٣١ – ١٩٣٢، وأبحاثهما عنها منشورة في الجزء الثاني من كتابهما المكون من ثلاثة مجلدات باللغة الألمانية Vor Islamische Von Carl Rathjens and Hermann Von Wissmann Band 2.

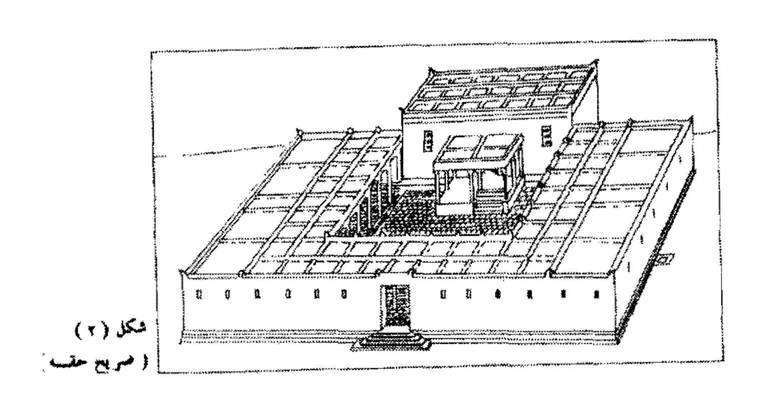
(1) رودولف سي. سلتين، "النار والسيف في السودان" ترجمة ف. ر ونكيت F.r Wingate لندن ١٨٩٧، ص ٣٢٠ إنها تبدو وكأنها " كوة " هو بالأحرى تفسير خاطئ غير بارع من المترجم عن الذي وصفه سلتين إنه بوضوح ليس كوة محراب، ولكنه نوع من المقصورة.

يقر أن "لكل تلك الأوقات، الخليفة يحضر في محرابه، حيث يقوم على الفور أمـــام صـــفوف المؤمنين: إنه بناء على هيئة مربع، مؤلف من سلسلة من الأعمدة مـــرتبط بـــأجزاء حديديـــة مكشوفة، ومن خلاله يستطيع أن يرى كل ما يجري حوله".

ملاحظة إضافية:

وفضلاً عن ذلـــك، فـــإن "محمـــود الغـــول" قـــد نبهـــي إلـــى فقـــرة فـــي "المحلـــى" لعلي بن أحمد ابن حزم "ط القاهرة ١٣٤٨هـــ، ٤/ ٣٣٩" حيث يقرر: أن المحاريب هي بدع ليست معروفة لدى النبي ﷺ[1].

ويظهر من النص أنه يفهم "المحراب" على أنه شيء يشبه المقصورة[*].



شكل (٢)
(صريح حقب)

أفادني بهذه المعلومة مشكوراً أخي الباحث الأستاذ/ إسماعيل على الأكوع مـــدير الهيئـــة العامة للآثار.

(1) المسألة رقم ٤٩٧ – المحلى لابن الحزم ٤، ص ٣٣٩ ط القاهرة سنة ١٩٨٧ هـــ.

(*) نشر هذا البحث في: مجلة الدراسات الشرقية الأفريقية لجامعة لندن المجلد ٢٢ سنة ١٩٥٩ ص ٤٣٩-٤٥٣ R.B. Serjeant: MIHRAB. Bulletin of school of Oriental and African Studies, University of London Volume XXII 1959 pp. 439– 453.

فهارس الكتاب

١- فهرس الشعر.
٢- فهرس الأعلام.
٣- فهرس القبائل والأقوام والجماعات.
٤- فهرس المواضع والبلدان.

فهارس في رحاب التراث

فهرس الشعر

المطلع	القافية	الشاعر	الصفحة
	(أ)		
لقّاك ربك	الأرزاء	ابن مقلة	١٠٤
	(ب)		
دمية عند	المحرابِ	عمر بن أبي ربيعة	١٨٦
ويصهل في	للمعربِ	النابغة الجعدي	٤٨
إذا ما مات	قريبُ	ابن مقلة	١٠٤
من راكب	ويجلبُ	النابغة الجعدي	١٣١
لا تقصيا	مرهوبُ	القتال البجلي	٥٣
جزى الله	الحروبِ	شداد بن معاوية	٥٤
إن عريباً	قريبِ	ثعلبة العبدي	٥١
يا خليلي	تسلبا	ياقوت المستعصمي	١٢٥
	(ت)		
رجعت لنفسي	حياتي	حافظ إبراهيم	٨٥
	(د)		
أريغوني	الوريدِ	خالد بن جعفر بن كلاب	٥١
لم ينسني	العوّدِ	أبو نخيلة	١٣٥
لا تجزعي	قيودها	علي بن الجهم	١٣٨
	(ر)		
من مثلها	يذرُ	الشريف الرضي	١١٩
أو دمية	تاجرِ	شاعر	١٧٠
يا من يريد	التصويرِ	ابن البواب	١١٦

دع جدا	مضَرِةْ	علي بن جبلة	١٣٦
كل من في	حضرةْ	علي بن جبلة	١٣٧
	(س)		
أصبح الملكُ	العباسِ	سديف	١٣٣
	(ض)		
أبا منذرٍ	من بعضِ	شاعر	١٦٠
	(ع)		
داويتُهُ كل	الموسعُ	مالك بن نويرة	٥٢
وا رحمتا	صنعا	علي بن الجهم	١٣٩
	(ف)		
معاقلنا	السيوفُ	لبيد بن ربيعة	٥٢
جرَّبني الدهرُ	التصاريفِ	ابن مقلة	١٠٣
	(ك)		
كنا أناساً	الأوراكا	أبو نخيلة	١٣٥
	(ل)		
متى تكرموها	ينزلُ	فارس من بني عامر	٥٢
أزيد في الليلِ	سيلُ	علي بن الجهم	١٣٩
وعدت أن تزور	ذيـــلا	ياقوت الحموي	١٢٦
لم ينصبوا	مجهولا	علي بن الجهم	١٣٨
أقرب مربط	حيالِ	زيد الخيل الطائي	٥١
ماذا رأيتم	محتالِ	شاعر	١١١
طربن لضوء	ومالي	أبو العلاء المعري	١٢٠
إذا ما قتلتُ	جاهلُهْ	شاعر	١٥٨
	(م)		
ولست بشاريهن	لائمُ	عُيينة المالكي	٥٣
أتعتقدون أن	يدومُ	ياقوت المستعصمي	١٢٥

وابغض بغيضك	أن تحكما	النمر بن تولب	١٥
ربة محراب	سُلَّما	وضاح اليمن	١٦٩
كعقيلة الدر	العجم	شاعر	١٨٩
ومهما تكن	تُعلَمِ	زهير بن أبي سلمى	١٦٢
لم يبق من آل	مجثَّمهْ	المبرد	١٦٠، ١٦١

(ن)

يشتاق كل	الوطنا	علي بن الجهم	١٣٩
ألا ليت اللحى	المسلمينا	ابن مفرغ الحميري	١٣٢
أتأمرني	دعيني	المقعد السعدي	٥٣
ما سئمت	يميني	ابن مقلة	١٠٤
فإن جهلتَ	منـــهُ	راجز	١٥٨

(هـ)

رعي الله	وسقاها	ياقوت المستعصمي	١٢٥

(ي)

يا ابن عمٍّ	الجليا	سديف	١٣٣

فهـــرس الأعـــلام

(أ)

إبراهيم الأبياري ١٤٨ .
إبراهيم الإمام : ١٣٠ .
إبراهيم بن حبيب الفزاري : ٤١ .
إبراهيم السامرائي : ٦٣ .
إبراهيم بن السري (الزجاج) : ٦٣ .
إبراهيم بن الصلت الفلكي : ٤١ .
إبراهيم بن محمد بن المبارك : ٦٢ .
إبراهيم بن عبد الله النصراني : ٤١ .
أبقراط : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٠ .
الأثري (محمد بهجة) : ١١٦ .
ابن الأثير (علي بن محمد) : ١٤٨ .
الأحدب (نجم الدين الزجاج) : ٦٤ .
ابن الأجدابي : ٦٩ .
أحمد تيمور باشا : ٦٧ .
أحمد بن حاتم (أبو نصر) : ٦١ .
أحمد حسن الزيات : ١٥١ .
أحمد حمدي الخياط : ٩٥ .
أحمد بن حنبل : ١٤٧ .
أحمد الحوفي : ١٤٤ .
أحمد السهروردي : ١٢٣ .
أحمد بن أبي طاهر : ٦٢ .
أحمد الطيب السرخسي : ٤١ .
أحمد بن عبد الله بن حمزة : ٦٤ .
أحمد عبيد : ١٤٨ .
أحمد فارس الشدياق : ١٥٠ .
أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني : ٣٦ .
أحمد محمد خلف الله : ١٤٤ .أحمد بن محمد بن يوسف : ١٤٨ .
أحمد بن موسى بن شاكر : ٤١ .
أحمد بن يحيى البلاذري : ٤١ .
أرسطو : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ١٤٧ .
الأزهري : ١٥ .
إسحاق بن إبراهيم (الأحول) : ١٠٤ .
إسحاق بن أبي الحسن : ٤١ .
إسحاق بن حنين : ٣١ .

أسحاق بن القاسم (البقالي) : ٦٣ .
أسد بن عبد الله : ١٣٠ .
الأسود بن رفاعة : ٥٣ .
الأسود الغندجاني : ٦٩ .
ابن الأشعث : ١٣٠ .
ابن الأشناني (عمر بن الحسن بن علي) : ٦٣ .
أصطفان القديم (مترجم) : ١٩ .
الأصمعي (عبد الملك بن قريب) : ٢٩ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٠ .
ابن أبي أصيبعة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٨ .
ابن الأعرابي (محمد بن زياد) : ٥٣ ، ٦١ ، ١٧١ .
أعشى همدان : ١٣٠ .
إفلاطون : ٢٦ ، ٢٧ ، ١٥٥ .
الأقصري (محمود بن عيسى الحنفي) : ٦٣ .
إقليدس : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٩٠ .
الأنباري (قاسم بن محمد بن بشار) : ٦٢ ، ١٦٠ .
أنس بن مالك : ٥٨ .
أنستانس ماري الكرملي : ٩٢ .
أهْرُن القس : ٢١ .

(ب)

البحتري : ١٣٨ .
بختيشوع بن جبرائيل : ٤١ .
بختيشوع بن جرجيس .
البخشي (محمد البخشي الحلبي) : ٦٦ .
ابرقي (أحمد بن أبي عبد الله الكوفي) : ٦٣ .
برهان الدين بن عمر الجعبري : ١١٦ .
بشار بن برد : ١٣١ .
بشر بن غياث المريسي : ١٧ ، ٣٧ .
ابن البطريق : ٢٢ .
بطليموس : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ .
البغدادي (أحمد بن علي الخطيب) : ٦٤ .
بكتوت الرماح الخزندار : ٦٥ .
أبو بكر الصديق : ١٢٩ ، ١٥٧ .
البلقيني (عمرو بن رسلان بن نصر) : ٦٥ .
ابن البناء المراكشي : ٩٠ .
بهاء الدولة بن عضد الدولة : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ .
ابن البواب : ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ .

بيستون (مستشرق) : ١١٨ .
بيدون الخادم : ١٣٨ .
البيروني : ٩٥ .
ابن البيطار : ٩٥ .
البيهقي : ٥٤ .
التاجي (محمد بن كامل) : ٦٤ .

(ت)

تشوسر : ٨١ .
ابن تغري بردي : ٣٧ .
التوّزي (عبد الله بن محمد) ٦١ .

(ث)

ثابت بن أبي ثابت : ٦٢ .
ثابت بن قرة الصابي : ٣١ ، ٣٨ ، ٩٤ .
الثعالبي : ٦٩ ، ١٠٧ .
ثعلبة العبدي : ٥١ .
ثمامة بن أشرس : ٣٧ .

(ج)

جابر بن حيان : ٩٠ .
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : ١٤ ، ٢٥ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٦٢ .
جالينوس : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ .
جبرائيل بن بختيشوع : ٢٩ .
جرجس بن جبرائيل : ٢٢ ، ٤١ .
جرير بن عبد الله : ٥٦ ، ١٢٤ .
الجزائري (محمد بن عبد القفادر الحسيني) ٦٦ .
ابن جزي (عبد الله بن محمد الكلبي) ٦٥ .
جعفر بن محمد البلخي : ٣٥ .
أبو جعفر المنصور : ١٣٤ .
ابن جماعة : ١٥٦ .
جمال الدين ياقوت المستعصمي : ١٢١ .
الجمحي (محمد بن سلام) : ٦١ .
جميل سعيد : ١٦١ .
ابن الجوزي : (عبد الرحمن بن علي القرشي) : ١١١ ، ١٤٧ .
جوليا باندا : ٨٧ .
الجوهري : ١٥ .

(ح)

الحادرة : ١٢٤ .
الحاصباني باك : ٦٦ .

حافظ إبراهيم : ٨٥ .
حبش بن عبد الله المروزي : ٣٥ .
حبيب الرحمن الأعظمي : ١٤٩ .
حبيب الزيات الدمشقي : ١٥٠ .
حُبَيْش بن الحسن : ٣٨ ، ٤١ .
الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٣٠ ، ١٣١ .
الحجاج بن يوسف بن مطر : ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤١ .
ابن حجة الحموي : ٦٦ .
ابن أبي الحديد (عبد الحميد بن هبة الله) : ٤٢ .
الحسن بن إبراهيم الأبَحّ : ٣٥ .
حسن الأحدب الرمَّاح : ٦٨ .
أبو الحسن البَتِّي : ١١١ .
الحسن بن بطلان : ٤١ .
حسن حسني عبد الوهاب : ١٥٠ .
حسن الرماح (نجم الدين الأحدب) : ٦٤ .
الحسن بن سهل بن نوبخت : ٤١ .
الحسن بن علي الجويني : ١١٨ .
الحسن بن علي بن الحسن (ابن مقلة) : ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ .
الحسن بن الهيثم : ٨٩ ، ٩٤ .
حسني سبح : ٩٥ .
الحسين بن علي بن أبي طالب : ١٣٠ .
حسين مؤنس : ١٥٠ .
الحسين بن موسى بن شاكر : ٤١ .
الحصري : ٦٩ .
حمد الجاسر : ١٤٩ .
حميد الطوسي : ١٣٦ .
أبو حنيفة الدينوري : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ .
حنين بن إسحاق العبادي : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ .
أبو حيَّان التوحيدي :٤١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

(خ)

خالد بن جعفر بن كلاب : ٥١ .
خالد بن عبد الملك : ٣٦ .
خالد بن أبي الهياج : ٢٠ .
خالد بن يزيد بن معاوية : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
ابن خالويه : ٦٩ .
الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) : ٦٤ .
ابن خلدون : ١٨ ، ١١٦ ، ١٤٧ .
الخطلي (الختلي ، محمد بن يعقوب) :٦٢ .

ابن أبي الخريش : ٤٠ .
خلف الأحمر : ٦ .
خلف المروزي : ٣٩ .
ابن خلكان : ١٠٢ .
خليفة بن واثلة : ٥٤ .
الخليل بن أحمد : ٢٦ ، ٦٠ .
ابن خليل السقوني : ١٠٧ .
الخوارزمي : ٣١ ، ٩٤ .
خير الدين الزركلي الدمشقي : ١٥٠ .

(د)

داود بن حنين بن إسحاق : ٤١ .
ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) : ٦٣ .
الدقيقي (سليمان بن بنين النحوي المصري) ٦٤ .
أبو دلف العجلي (القاسم بن عيسى) : ١٣٦ .
الدمياطي (شرف الدين عبد المؤمن بن خلف) : ٦٤ .
الدميري : ٦٩ .
ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد) : ٦٢ ، ١٥٥ .
أبو دواد الإيادي : ٥٥ .

(ر)

ابن رائق (الجلاد) : ١٠٢ .
الراضي (الخليفة) : ١٠٢ .
الراغب الأصفهاني : ٦٩ .
ربيعة بن مفرغ : ١٣٢ .
الرسولي (الملك المجاهد علي بن داود) : ٦٤ ، ٦٥ .
ابن رشيق القيرواني : ٥٠ ، ٦٩ .
الرملي (نجم الدين بن خير الدين الحنفي) : ٦٦ .
روسكا (بروفيسور) : ١٩ .
الرياشي (العباس بن الفرج) : ٦٢ .
أبو الريحان البيروني : ٩٠ .
ريكمانس (مستشرق) : ١٧٦ .

(ز)

الزجاج (إبراهيم بن السري) : ٦٣ ، ١٧٠ .
الزجاجي (يوسف بن عبد الله) : ٦٣ .
الزمخشري : ٦٩ .
ابن زهر الأشبيلي : ٨٩ .
زهير بن أبي سلمى : ١٦٢ .
زياد بن أبيه : ١٣٠ .

زيد الخيل بن مهلهل الطائي : ٥١ .
زينب بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الأبري : ١٢٢ .
(س)
ساليس دايجش : ١٧٢ .
سحنون بن سعيد : ١٥٩ .
سديف بن ميمون : ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .
سُطيح : ٤٨ .
سعد المصحفي : ٢٠ .
ابن سعيد الأندلسي : ٦٩ .
سعيد الأفغاني : ١٤٩ .
سعيد بن جبير : ١٥٧ .
سعيد بن هارون : ٣٠ .
السفاح (عبد الله بن محمد) : ١٣٠ .
سقراط : ١٥٥ .
السكري : ١٢٤ .
سلامة بن جندل : ١١٤ .
سلامة موسى : ٨٥ ز
السلطان سليم الأول : ١١٤ ، ١١٥ .
سَلم الحَرَّاني : ٣٣ .
سلم صاحب بيت الحكمة : ٤١ .
سلمون بن بنان : ٤١ .
سليمان بن بنين الدقيقي : ٦٤ .
سليمان صاحب بيت الحكمة : ٢٧ .
سليمان المنطقي : ٤١ .
ابن سمعون (الواعظ البغدادي) : ١١١ .
سنان بن ثابت بن قرة : ٣١ ، ٤١ .
سند بن سعيد : ٣٦ .
سند بن علي : ٣٥ ، ٣٦ .
سهل بن هارون : ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ .
سوفاجيه : ١٦٧ .
سيبويه : ٦١ .
ابن سيده : ٦٩ .
سيلدون ولمور (مستشرق) : ٨٥ .
ابن سينا : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ .
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : ٦٦ ، ١٥٥ ، ١٨٤ .
(ش)
شاكر الفحام : ١٤٨ .

أبو شامة : ١٢٥ .
شداد بن معاوية : ٥٤ .
الشريف الرضي : ١١٩ ، ١٦٢ .
الشعبي : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .
شكسبير : ٨١ .
الشمشاطي (علي بن محمد العدوي) : ٦٩ .
ابن شهاب الزهري : ٢١ .
شهدة بنت الأبري : ١٢٢ .
شوقي ضيف : ١٤٤ ، ١٤٨ .
الشيباني (عمرو بن الحسن بن مالك) : ٦١ ، ٩٣ .

(ص)

الصاحب (تاج الدين محمد بن محمد) : ٦٤ .
الصاحب بن عباد : ١١٢ .
صاعد الأندلسي : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ .
صاعد بن الحسن الربعي : ١٦٠ .
صالح بن عبد القدوس : ١٣١ .
صالح بن الوجيه : ٣١ .
الصغاني (الحسن بن محمد) : ٩٣ .
صفي الدين عبد المؤمن : ١٢١ ، ١٢٢ .
صلاح الدين المنجد : ١٤٨ .
الصولي (إبراهيم بن العباس) : ١٠١ .

(ض)

الضبي (عامر بن عمران) : ٦٢ .

(ط)

طاش كبري زادة : ١٢٢ .
طه الحاجري : ١٤٤ .
طه حسين : ١٥٠ ، ١٦٢ .
طاهر بن عبد الله بن طاهر : ١٣٨ .
الطبري (علي بن عبد القادر المكي) : ٦٦ .
الطبري (محمد بن جرير) : ١٤٧ .
ابن طفيل : ١٠٧ .
طفيل الغنوي : ٥٥ .

(ع)

عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) : ١٥٠ .
عبَّاد بن زياد بن أبيه : ١٣٢ .
العباس بن سعيد الجوهري : ٣٦ .

أبو العباس السفاح : ١٣٣ ، ١٣٤ .
ابن عباس (عبد الله) : ٢٠ .
أبو العباس المبرد : ١٦٠ .
ابن عبد البر : ٢٠ ، ١٥٦ ، .
عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) : ٤٢ .
ابن عبد ربه : ٦٨ ، ١٥٦ .
عبد الرحمن بن عوف : ٥٤ .
عبد الرحمن بن أبي ليلى : ١٥٩ .
عبد الرحمن بن مهدي : ١٥٨ .
عبد الصمد بن علي : ١٣٤ .
عبد العزيز فهمي : ٨٦ .
عبد العزيز الميمني : ١٤٩ .
عبقد الله أرغون : ١٢٣ .
عبد الله بن الحسن بن علي بن مقلة : ١٠٤ .
عبد الله بن الحسين : ٦٧ .
عبد الله بن الزبير : ١٣٠ .
عبد الله بن سهل بن نوبخت : ٣٥ .
عبد الله الصيرفي : ١٢٣ .
عبد الله بن الطيب البغدادي : ٤١ .
عبد الله بن عامر : ١٣١ .
عبد الله بن عباس : ١٥٨ ، ١٥٩ .
عبد الله بن عمر : ١٥٦ ، ١٥٨ .
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٥٨ .
عبد الله بن محمد (ابن أبي الدنيا) : ٦٢ .
عبد الله بن محمد التوزي : ٦١ .
عبد الله بن محمد السفاح : ١٣٠ .
عبد الله بن مسعود : ١٥٦ .
عبد الله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة) : ٦٢ .
عبد الله بن المقفع : ٣١ .
عبد الملك بن قريب (الأصمعي) : ٦٠ .
عبد المؤمن بن خلف الدمياطي : ٦٤ .
العتّابي (كلثوم بن عمرو) : ٦١ .
العتبي (محمد بن عبد الله بن عمرو) : ٦١ .
عثمان بن جني : ١١١ .
عثمان بن سعيد الدارمي : ١٧ .
عثمان بن عفان : ٥٤ ، ١٢٩ .
العراقي (أحمد بن عبد الرحيم) : ٦٦ .
العرجي (عبد الله بن عمر) : ١٣٠ .

عروة بن مسعود : ١٦٩ .
عز الدين بن أبي الحديد : ١٢٣ .
عطاء بن السائب : ١٥٩ .
العقاد : ١٦٢ .
عقبة بن مسلم : ١٥٨ .
العكلي (أبو ثروان) : ٦١ .
أبو العلاء المعري : ٤١ ، ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٦٢ .
علان الشعوبي (علان بن الحسن) : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤١ .
علم الدين البرزالي : ١٢٥ .
علم الدين سنجر بن عبد الله الرومي : ١٢٣ .
علي بن بكر البيطار : ٦٥ ، ٦٧ .
علي بن جبلة (العكوك) : ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
علي بن الجهم : ١٣١، ١٣٧ ، ١٣٨ .
علي بن الحسن (كراع النمل) : ٦٨ .
أبو علي بن زرعة : ٣١ .
علي بن أبي طالب : ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٥٧ .
علي بن عبيدة الريحاني : ٦١ .
أبو علي القالي : ٦٩ .
علي بن محمد العدوي (الشمشاطي) : ٦٩ .
علي مشرفة : ٩٤ .
علي بن موسى بن شاكر : ٤١ .
علي بن هلال (ابن البواب) : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ .
علي بن يحيى المنجم : ٤١ .
ابن العماد : ١٢٢ .
عمر بن خالد المروزي : ٣٦ .
عمر بن الخطاب : ٥٤ ، ٨٨ ، ١٢٩ ، ١٥٧ .
عمر الخيام : ٩٠ .
عمر بن شبَّة : ٣١ .
عمر بن عبد العزيز : ٢١ .
عمر بن الفرخان : ٢٩ ، ٣٥ ، ٤١ .
عمرو بن أبي عمرو الشيباني : ٦١ .
عمرو بن كركرة : ٦٠ .
ابن العميد : ١١٢ .
عنترة العبسي : ٥٤ .
عيَّاش بن الزبرقان بن بدر : ٥٠ .
عيسى بن زرعة : ٤١ .
عيسى بن ماهان : ١٦٠ .
عيسى بن موسى : ١٣٥ .

عيينة بن أوس المالكي : ٥٣ .
ابن عيينة : ١٥٩ .

(غ)

غريغوار الراهب : ٨٢ .
الغندجاني (الحسن بن أحمد الأعرابي) ٥٠ ، ٦٣ .
غياث الدين الكاشي : ٩٠ .

(ف)

فؤاد سزكين : ١٤٨ .
الفارابي : ٩٣ ، ١٤٧ .
فخر الملك (محمد بن علي الواسطي) : ١١١ ، ١١٢ .
الفرّاء (يحيى بن زياد) : ٣٠ ، ٣٦ ، ١٧٠ .
ابن الفرات (أبو الحسن الوزير) : ١٠٣ .
الفضل بن الحباب الجمحي : ٦١ .
الفضل بن سهل بن نوبخت : ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١ .
فنسنك : ١٨٥ .
ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد) : ١١٢ ، ١٢٣ .

(ق)

القادر بالله (الخليفة) : ١١٩ .
القاسم بن عبيد الله : ١٠١ .
القاسم بن عيسى : ١٣٧ .
القاسم بن محمد : ٥٧ .
القاسم بن محمد بن بشار (ابن الأنباري) : ٦٢ .
القاضي التنوخي : ١٥٥ .
القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم) : ٦٣ .
القاهر بالله : ١٠٢ .
قبلة الكتاب (ياقوت المستعصمي) : ١٢١ .
قبيحة (محظية المتوكل) : ١٣٨ .
القتال البجلي : ٥٢ .
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري) : ٦٢ ، ٦٨ .
قدري الأرضرومي : ٦٧ .
أبو قراط : ٣١ .
قرة بن شريك : ١٣٠ .
قسطا بن لوقا : ٤١ .
قطرب (محمد بن المستنير) : ٦٠ .
القفطي (هبة الله بن عبد الله) : ٣٥ .
القلقشندي (أحمد بن علي) : ٤٣ .
قيس بن زهير : ٥٤ .

ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر) : ٦٥ .

(ك)

كاتب جلبي : ١١٦ .
كريزويل : ١٦٧ .
كراع النمل (علي بن الحسن) : ٦٨ .
كسرى أنو شروان : ١٢٥ .
الكرنبائي (هشام بنإبراهيم الأنصاري) : ٦ .
ابن الكلبي (هشام بن محمد) : ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٠ .
كلثوم بن عمرو (العتّابي) : ٦١ .
الكميت بن زيد الأسدي : ١٣٠ ز
الكندي (يعقوب بن إسحاق) : ٦٢ .
كوركيس عواد : ١٥٠ .

(ل)

لامانس : ١٨٤ .
لاندبيرك (مستشرق) : ١٦٧ ، ١٨٩ .
لبيد بن ربيعة العامري : ٥٢ .
لطف الله الرماح : ٦٧ .
لغدة (الحسن بن عبد الله) : ٦٣ .
لوقا بن إسرافيون : ٤١ .

(م)

مازن المبارك : ١٤٨ .
ماسرجويه السرياني : ٢١ ، ٣١ .
ما شاء الله بن أثري : ٣٤ .
مالك بن أنس : ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .
مالك بن نويرة : ٥١ .
المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد) : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٩٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
مبارك شاه السيوفي : ١٢٣ .
المبرد (محمد بن يزيد الثمالي الأزدي) : ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ .
متّى بن يونس : ٣١ ، ٤١ .
المتنبي (أحمد بن الحسين) : ١٢٤ ، ١٦٢ .
المتوكل العباسي (جعفر بن محمد) : ٣٧ ، ٤٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .
المثقب العبدي : ١٢٤ .
محمد بن أحمد الأعرابي (الوشاء) : ٦٣ .
محمد بن إسحاق : ٢٣ .
محمد بن أسد بن علي الكاتب البغدادي : ١١٣ .
محمد بهجة الأثري : ١٤٨ .

محمد جميل : ٩٥ .
محمد بن الجهم : ٣٦ ، ١٣٧ .
محمد بن حبيب : ٦٢ .
محمد بن الحسن الشيباني : ٦٠ .
محمد بن الحسن الكرجي : ٩٠ .
محمد رضوان النمري : ٦٤ .
محمد زكريا الرازي : ٤١ .
محمد بن زياد (ابن الأعرابي) : ٦١ .
محمد السمسماني : ١١٣ .
محمد بن شريف الكاتب ، ابن الوحيد) : ١١٦ .
محمد صلاح الدين الكواكبي : ٩٥ .
محمد الطيب الفاسي : ٦٩ .
محمد بن العباس (اليزيدي) : ٦٢ .
محمد بن عبد الملك الزيات : ٣٨ ، ٤١ .
محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) : ١٣٤ .
محمد علي (حاكم مصر) : ٩١ .
محمد بن علي اللخمي : ٦٤ .
محمد بن علي الواسطي (فخر الملك) : ١١٢ .
محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص : ١٩ .
محمد فؤاد عبد الباقي : ١٤٩ .
محمد محمد حسين : ١٤٤ .
محمد مرسي : ٩٤ .
محمد بن المستنير (قطرب) : ٦٠ .
محمد بن منصور بن عبد الملك : ١٢٢ .
محمد بن موسى الخوارزمي : ٢٩ ، ٣٤ ، ٩٠ .
أبو محجن الثقفي : ١٢٤ .
أبو محلم الشيباني : ٦٢ .
محمد بن يعقوب : ٦٧ .
محمود محمد شاكر : ١٤٩ .
المختار الثقفي : ١٣٠ .
المدائني (علي بن محمد بن عبد الله) : ١٩ ، ٦١ .
مرشد خاطر : ٩٥ .
مروان بن أبي الجنوب : ١٣٨ .
مروان بن الحكم : ١٣١ .
المستعصم العباسي (عبد الله بن منصور) : ٤٣ ، ١٢١ .
ابن المستوفي (المبارك بن أحمد اللخمي) : ٦٤ .
ابن مسكويه : ٤١ .
أبو مسلم الخراساني : ١٣٠ .

مسلم بن عقبة المري : ١٣٠ .
نسلم بن نفيل السكوني : ٥٨ .
مصطفى السقا : ٩٥ .
مصطفى غزلان (الخطاط المصري) : ١١٤ .
مصعب بن الزبير : ١٣٠ .
مظفر الدين علي بن علاء الدين الجويني : ١٢٢ .
أبو المعالي محمد (نجل ابن الفوطي) : ١٢٣ .
معاوية بن أبي سفيان : ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
المعتصم العباسي (محمد بن هارون) : ٤٢ ، ١٣٧ .
المعتمد (أحمد بن جعفر) : ٨٧ .
المعري (أبو العلاء أحمد بن عبد الله) : ٦٣ .
المعتز بن المتوكل : ١٣٨ .
معروف الرصافي : ٩٢ .
معمر بن المثنى (أبو عبيدة) : ٦٠ .
المفجع البصري : ١٦٠ .
المفضل الضبي : ٢٣ .
المقتدر بالله (جعفر بن أحمد) : ١٠٢ .
المقعد بن شماس السعدي : ٥٣ .
ابن مقلة (محمد بن علي) : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ .
أبو مكنف (زيد الخيل) : ٥١ .
المنتصر بن المتوكل : ١٣٩ .
منج هوانج : ١٥ .
المنصور (أبو جعفر عبد الله بن محمد) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ .
المهدي بن المنصور : ٢٣ ، ١٣٥ .
موردتمان : ١٧٢ .
موسى بن شاكر : ٩٠ .
موفق الدين بن أبي الحديد : ١٢٣ .
مولر (مستشرق) / ١٧٢ .

(ن)

النابغة الجعدي : ٤٨ ، ٥٥ ، ١٣١ .
ناصر الدين الأسد : ١٤٨ .
ناصر الدين الطرابلسي : ٦٨ .
ابن نباتة : ٢٧ .
نجيب خوري : ٦٦ .
ابو نخيلة بن حزن التميمي : ١٣١ ، ١٣٤ ن ١٣٥ ، ١٣٦ .
ابن النديم : ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٠١ .

أبو نصر الفارابي : ٤١ .
نصير الدين الطوسي (محمد بن محمد) : ٩٠ ، ١٤٨ .
النضر بن شميل : ٦٠ .
نعيم بن حماد : ١٥٩ .
النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن) : ١٣٤ .
ابن النفيس : ٩٠ .
النمر بن تولب : ١٥ .
النمري (الحسين بن علي) : ٦٣ .
ابن النوبخت : ٣١ .
نولدكه : ١٦٧ .
النويري (أحمد بن عبد الوهاب) : ٦٩ .

(هـ)

هارون الرشيد : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ .
ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن الأندلسي) : ٦٥ .
الهرثمي الشعراني : ٣٠ .
الهروي : ١٦٨ .
هشام بن إبراهيم الأنصاري (الكرنبائي) : ٦١ .
هشام بن محمد (ابن الكلبي) : ٦٠ .
أبو هلال العسكري :٦٩ .
الهمداني : ١٧٧ .
هوروفتش : ١٦٧ .
هولاكو : ٤٣ ، ١٢٣ .

(و)

الواثق (هارون بن محمد) : ٣٨ ، ١٣٧ .
ابن الوحيد (شرف الدين محمد بن شريف) : ١١٦ .
الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق) : ٦٣ .
وضاح اليمن : ١٦٨ .
ول ديورانت : ١٤ .
ولهلم سبيتًا : ٨٤ .
الولي العجمي (الخطاط) : ١٢٣ .
وليام ولكوكس : ٨٥ .
الوليد بن عبد الملك : ٢٠ ، ٢١ .
الوليد بن يزيد بن عبد الملك : ٢١ .
ويلكوكس (مستشرق) : ٨٤ ، ٨٥ .

(ي)

ياقوت الحموي : ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٦٠ .
ياقوت بن عبد الله بن محمد الموصلي : ١٢٢ .

ياقوت المستعصمي : ١٠١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
يحيى بن البطريق : ٣١ ، ٤١ .
يحيى بن خالد البرمكي : ٣٣ ، ٣٥ .
يحيى بن زكريا : ١٥ .
يحيى بن زياد (الفرّاء) : ٣٦ .
يحيى بن سعيد : ١٥٧ .
يحيى الصوفي : ١٢٣ .
يحيى بن عدي : ٣١ ، ٤١ .
يحيى بن أبي منصور : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .
يزيد بن مفرغ الحميري : ١٣٠ ، ١٣٢ .
يزيد بن المهلب : ١٣٠ .
اليزيدي (محمد بن العباس) : ٦٢ .
يعقوب بن إسحاق الكندي : ٤١ ، ٦٢ .
اليمني (عبد الله بن حمزة) : ٦٤ .
يوحنا بن البطريق : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ .
يوحنا بن ماسويه : ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤١ .
يوسف إبراهيم يزبك : ٦٧ .
يوسف خليف : ١٤٤ .
يوسف بن عبد الله (الزجاجي) : ٦٣ .
يوسف القرضاوي : ١٤٨ .

فهـرس القبائـل والأقـوام والجماعـات

(أ)

الأتراك : ٨٦ ، ٨٧ .
الإسبان : ٨٣ ، ٨٦ .
بنو إسرائيل : ١٧١ .
الإغريق : ٢٧ .
الألمان : ٨٣ .
الأمويون (بنو أمية) : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .
الأنصار : ١٥٩ .
أهل السنة : ١١١ ، ١٤٧ .
أهل العراق : ١٥٧ .
الأوربيون : ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ .
أولاد شاكر : ٣٨ .
الإيطاليون : ٨٦ .

(ب)

البرامكة : ٢٤ ، ٤٠ ، ١٠٥ .
آل بويه : ١١٢ .

(ت)

التبابعة : ١٢٥ .
التتر : ٤٣ .

(ج)

جديس : ٥٨ .

(ح)

حمير : ٤٢ ، ١٧٠ .

(خ)

الخلفاء : ١٣١ .
الخلفاء العباسيون : ١٢١ .
الخوارج : ١٢٩ .

(ر)

الروم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٠٩ .
الرواة : ٥٠ .

(ز)

الزبيرية : ١٢٩ .

(ش)

بنو شاكر : ٣٨ .

شعراء الحجاز : ١٣٣ .
الشعوبيون : ٧٩ .
الشهداء : ١٣ .
بنو شيبان : ٦ .
الشيعة : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ .

(ص)

الصحابة : ١٥٩ .

(ع)

العباسيون (بنو العباس) : ٣٤ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .
عبد شمس : ١٣٣ .
بنو عبس : ٥٤ .
العرب : ١٢، ١٤ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٥١ ، ١٦٠ .
العلماء : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .
العلماء الثقات : ١٦١ .
العلماء العرب : ١٤٣ .
العلماء المسنون : ١٤٦ .
العلماء المعمرون : ١٤٦ .

(غ)

الغزاة : ٨٣ .

(ف)

الفاتحون : ١٧ .
الفرس : ٣٤ ، ٨٩ .
الفرنسيون : ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ .
الفقهاء : ٢٨ .
الفلاسفة : ٢٦ .
فلاسفة اليونان : ١٥٥ .

(ق)

قحطان : ١٣٦ .
قريش : ١٥٧ .
القرشيون : ١٢٩ .

(ل)

لخم : ١٣٢ .
المترجمون : ٤٢ .
المحَدِّثون : ٢٨ .
المستشرقون : ٨٣ ، ٨٧ .

المستعمرون : ٧٩ ، ٨٨ .
المسلمون : ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ .
المشركون : ٥٩ .
المصريون : ١٤ ، ٨٥ .
مضر : ١٣٦ .
المعمرون : ١٥١ .
المغول : ٤٢ .
الملوك : ١٨ .
المنجمون : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ .
الموالي : ١٢٩ .
الميدانيون : ٤٧ .

(هـ)

بنو هاشم : ١٣٣ .
الهكسوس : ٤٧ .

(و)

الوراقون : ٣٧ .

(ي)

اليونان : ٢٢ ، ٢٦ ، ٨٩ .

فهـرس المواضـع والبلـدان

(أ)

الأزبكية : ٨٤ .
الاستانة : ١٢٤ .
استانبول : ٨٧ ، ٩١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ .
أشبيلية : ١٠٧ .
أفغانستان : ١٠٧ .
أفريقية : ٨٣ .
الأندلس : ٢٠ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٧ .
أنقرة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٤ .
أيا صوفيا : ١١٥ .

(ب)

البصرة : ١٢٩ ، ١٣٢ .
بغداد : ٢٢، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٢، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ .
بلاد الشام : ٩١ .
بيروت : ٩١ .

(ت)

تركيا : ٨٧ .
تونس : ١٠٨ .

(ج)

جامع لاله لي : ١١٥ .
جامع المنصور : ١١٢ .
الجامعات المصرية : ١٤٤ .
الجامعة الأردنية : ٩٣ .
جامعة الاسكندرية : ١٤٤ .
جامعة القاهرة : ١٤٤ .
جامعة كمبرج : ١٤٤ .
جامعة اليرموك : ٩٣ .
الجزيرة : ١٣٧ .
الجزيرة العربية : ٤٧ .
جنديسابور :٢٢ .

(ح)

الحجاز : ١٩ ، ١٣٠ .
حرّان : ٣٩ .
الحَرَّة : ١٣٠ .

حضرموت : ١٧٦ .
حلب : ٨١ ، ١٣٩ .
حيدر أباد : ٩٠ .
الحيرة : ١٢ .

(خ)

خراسان : ١٣٨ ، ١٣٩ .
الخزانة العامة بالرباط : ١٠٨ .
خزانة قصر بغداد : ١١٥ .

(د)

دار الكتب المصرية : ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٢٤ .
دُجَيل : ١٣٩ .
الدكن : ٩٠ .
دمشق : ١٢ ، ٩١ ، ١٤٩ .
الدينور : ١٢٢ ، ١٦٠ .

(ر)

الرباط : ١٠٨ .

(س)

سامراء : ٤٢ .
سجستان : ١٣٢ .
سمرقند : ١٠٦ .
سنجار : ٣٨ .
سورية : ٤٧ ، ٩٢ .

(ش)

الشادياخ : ١٣٨ .
الشام : ١٢ ، ١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٨ .
الشماسية : ٣٤ ، ٣٦ .
شيراز : ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ .

(ص)

صِفّين : ١٢٩ ، ١٣١ .
صنعاء : ٣٠ .
الصين : ١٣ ، ١٥ ، ٥٨ .

(ع)

العراق : ١٢ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٦١ذ .
عسير : ٤٧ .
عمورية : ٢٣ ، ٢٤ .

(ف)

فارس : ١٠٢ .

فلسطين : ٤٧ .

(ق)

القاهرة : ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٤ .
قبرس (قبرص) : ٢٧ .
القسطنطينية : ٢٦ ، ١٠٧ .
قصر بغداد : ١١٤ .

(ك)

الكعبة : ١٣٠ .
الكوفة : ١٠٧ ، ١٢٩ .

(ل)

لبنان : ٨٣ .

(م)

متحف الآثار التركية الإسلامية : ١١٥ .
متحف طوب قبوسراي : ١١٤ ، ١١٥ .
المجمع العلمي بدمشق : ٩٢ .
مجمع اللغة العربية الأردني : ٩٣ .
مجمع اللغة العربية في دمشق : ٩٢ .
مجمع اللغة العربية في القاهرة ٩٢ .
المجمع العلمي العراقي : ٩٣ .
المحراب : ١٧٠ .
المحيط الأطلسي : ٥٨ .
المدرسة المستنصرية : ١٢٢ ، ١٢٣ .
المدينة المنورة : ١٩ .
مساجد أشبيلية : ١٠٧ .
المستنصرية : ١٢٢ .
مصر : ١٢ ، ١٩ ، ٤٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٤٨ .
المغرب العربي : ٨٢ ، ٨٣ .
مكة المكرمة : ١٢ ، ٣٠ .
مكتبة العطارين : ١٠٨ .
الموصل : ٨١ .

(ن)

نجد : ٤٧ .

(هـ)

هراة : ١٠٧ .
هِرَقْلة : ٢٣ .
همدان : ١٧٢ .
الهند : ٨٣ ، ٨٩ ، ١٤٩ .

(ي)

اليمن : ١٢ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ١٣٧ ، ١٦٩ .
اليونان : ١٥٥ .

الكتب الصادرة للمؤلف.

ت	العنوان	النشر
١-	الإسلام والشعر.	مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٤
٢-	شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه.	مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١، ١٩٨٣، ١٩٩٨
٣-	ديوان العباس بن مرداس السلمي.	وزارة الإعلام، بغداد ١٩٦٨ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢
٤-	الجاهلية (مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي)	مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨
٥-	شعر النعمان بن بشير الأنصاري.	مطبعة المعارف، بغداد١٩٦٨، دار القلم، الكويت ١٩٨٥
٦-	شعر عروة بن أذينة.	مكتبة الأندلس بغداد ١٩٧٠ دار القلم، الكويت ١٩٨١، ١٩٨٣
٧-	لبيد بن ربيعة العامري.	مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٧٠ ، دار القلم ، الكويت ١٩٨١
٨-	شعر المتوكل الليثي.	مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٧١
٩-	شعر الحارث بن خالد المخزومي.	مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٢، دار القلم، الكويت ١٩٨٣
١٠-	الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه.	دار التربية ، بغداد ١٩٧٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧، ١٩٨٥ ، ١٩٩٠، ١٩٩٥، ٢٠٠٠ جامعة قار يونس، بنغازي ١٩٩٣
١١-	شعر عبدة بن الطبيب.	دار التربية، بغداد ١٩٧٢.
١٢-	شعر عبد الله بن الزَّبير الأسدي.	وزارة الإعلام ، بغداد ١٩٧٤.
١٣-	شعر أبي حية النميري.	وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥.
١٤-	شعر عمرو بن شأس الأسدي.	مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٦ دار القلم، الكويت ١٩٨٣
١٥-	شعر عمر بن لجأ التيمي.	مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٦ دار القلم، الكويت ١٩٨١
١٦-	الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية. (ترجمة عن الإنجليزية).	منشورات جامعة بغداد ١٩٧٦.
١٧-	ديوان الطغرائي(بالمشاركة).	مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٦ دار القلم، الكويت ١٩٨٣.
١٨-	شعر هدبة بن الخشرم العذري .	وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٦ دار القلم، الكويت ١٩٨٥
١٩-	أصول الشعر العربي . د. س.	مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨

الرقم	العنوان	النشر
	مرجليوث. (ترجمة عن الإنجليزية).	١٩٨١، ١٩٨٨ جامعة بنغازي ١٩٩٤
٢٠-	عبد الله بن الزبعرى حياته وتحقيق شعره.	معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٧٨ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١
٢١-	كتاب المحن ــ لأبي العرب التميمي .(تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣ ، الطبعة الثانية ١٩٨٨، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦.
٢٢-	ديوان أحمد بن يوسف الجابر. (بالمشاركة) دراسة وتحقيق .	مركز الوثائق، جامعة قطر ١٩٨٤.
٢٣-	الزينة في الشعر الجاهلي .	دار القلم، الكويت ١٩٨٤.
٢٤-	قصائد جاهلية نادرة .(دراسة وتحقيق).	مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢، ١٩٨٨.
٢٥-	شعر خداش بن زهير العامري. (دراسة وتحقيق).	مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٦.
٢٦-	الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك الرسولي(تحقيق) .	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧.
٢٧-	الملابس العربية في الشعر الجاهلي .	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٩.
٢٨-	كتاب الردة للواقدي . (تحقيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠.
٢٩-	كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل. للوشاء (تحقيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١.
٣٠-	منهج البحث وتحقيق النصوص.	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣.
٣١-	الخط والكتابة في الحضارة العربية.	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣.
٣٢-	أمالي المرزوقي. (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥.
٣٣-	المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧.
٣٤-	الكتاب في الحضارة الإسلامية .	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨.
٣٥-	كتاب المنتخل للميكالي . (تحقيق).	دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠.
٣٦-	محمد بن عبد الملك الزيات . سيرته. أدبه . تحقيق ديوانه .	دار البشير، عمان ٢٠٠٢.
٣٧-	المحاضرات والمحاورات للسيوطي . (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢.
٣٨-	محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء.	دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣

٣٩-	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق) المجلد العاشر	المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٣
٤٠-	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد والرابع والعشرون.	المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٤.
٤١-	الشعر الإسلامي والأموي.	دار البشير، عمان ٢٠٠٥.
٤٢-	الغزل العذري.	دار البشير، عمان ٢٠٠٥.
٤٣-	المجموع اللفيف (تحقيق). للقاضي الأفطسي الحسيني.	دار الغرب الإسلامي بيروت ٢٠٠٥.
٤٤-	مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية الإسلامية	دار الغرب الإسلامي بيروت ٢٠٠٥.
٤٥-	بيت الحكمة وذُور العلم في الحضارة الإسلامية.	دار الغرب الإسلامي بيروت ٢٠٠٦.
٤٦-	الحنين والغربة في الشعر العربي.	دار مجدلاوي ـ عمان ٢٠٠٧.
٤٧-	مؤنس الوحدة لابن الأثير تحقيق.	دار مجدلاوي ـ عمان ٢٠٠٨.
٤٨-	كتاب التحف والأنوار المنتخب من البلاغات والأشعار للثعالبي.	دار مجدلاوي ـ عمان ٢٠٠٨.
٤٩-	مع المخطوطات العربية.	دار مجدلاوي ـ عمان ٢٠٠٩.
٥٠-	في رحاب التراث.	دار مجدلاوي ـ عمان ٢٠٠٩.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



☆ كتب صدرت للمؤلف عن دار مجدلاوي

كتاب التحف والأنوار
المنتخب من البلاغات والأشعار

أ.د. يحيى الجبوري
مع المخطوطات العربية
ذكريات وأسفار وصلات بمحبي التراث

الحنين والغربة في الشعر العربي

مؤنس الوحدة
تحقيق أ.د. يحيى الجبوري



Dar Majdalawi Pub.& Dis
Telefax : 5349497 - 5349499
P.O.Box : 1758 Code 11941
Amman - Jordan
www.majdalawibooks.com
E-mail: customer@majdalawibooks.com



تليفاكس : ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص.ب : ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١
عمان - الاردن

Design By Majdalawi